أسست عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Wael AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٥٣٧) جمادى الأولى ١٤٣١هـ ـ مايو ٢٠١٠م

د. طه الدسوقي

لامقارنة بين الوسطية والتعصب المذهبي

الموهوبون .. مكانة وريادة

ترشيد الاستهلاك بين الأصالة والمعاصرة!

الوعي الإسلامي

أرشيف

نداء
إلى كل محبي وقراء المجلة

يرجى ممن توجد لديه النسخ الأصلية من مجلة «الوعي الإسلامي» من العدد (١-١٠٠) التكرم بالتواصل مع إدارة المجلة

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ ـ الكويت

هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

الافتتاحية

الإبداع

الإبداع والابتكار والاختراع.. كلها مترادفات في دلالاتها اللغوية تدور حول معنى واحد يتضمن الجدّة والبداعة، وإبداع الشيء: اختراعه لا على مثال، وإنشاؤه على غير مثال سابق، وجعله غاية في صفاته، وهو الجديد من الأشياء، والنهاية في كل شيء.

لقد خلق الله الكون آية في الجمال والكمال والإبداع، وخلق الله الإنسان فأودع فيه بعضا من خزائن أسراره، وقد حرر القرآن العقل الإنساني من الأوهام، وبدّد الضلالات التي كانت تحول دون رؤية الحقائق الكونية واللطائف الربانية في خلقه.

ولما كان التقليد جمودا وحجابا يحول دون إعمال العقل والتفكير والإبداع؛ فإن القرآن نهى عنه، ونسف ما كان له من دعائم وأركان في عقائد الأمم، واقتلع أصوله الراسخة في المدارك، وحثّ على التفكير في الكون والحياة وفي الإنسان، لأن هذا التفكير هو مصدر المعرفة والإبداع.

ولقد كان موقف القرآن الكريم في الحث على التفكير والإبداع بأساليبه برهانا واضحا على مكانة العقل والعلم؛ إذ العقل آلة التفكير والعلم ثمرته، وبهما يقف الإنسان المبدع على الحقائق، وتزول عنه غشاوة الجهل، ويتحرر من رقّ الأوهام والخرافات، ولأجل هذا كان الإسلام دين الفكر ودين العقل ودين العلم، وقدم منهجا وافيا حول الفكر والعلم والمعرفة والإبداع، فقد كانت دعوته قائمة على النظر والتعرف إلى قدرة الله وعظمته في الخلق والآفاق.

ودعا الناس كافة إلى التأمل واستعمال الحواس وإعمال العقل والفكر، وإلى الاهتمام الكبير بالحساب والهندسة والفلك والتجارة، والانتقال إلى التجربة وتقديم البرهان، ومن هنا نجد الألفاظ المتصلة بالعلم والمعرفة قد وردت في مواضع كثيرة من القرآن الكريم: (رأي، عرف، فكر، الألباب، علم، ذكر، فقه، عقل، الحكم، الحِجاج، الجدل...) وهكذا فإن القرآن، بأنواره المشعة، وبفُيوضاته وبآياته الباهرة الدالة على حكمة الله تعالى في خلقه، والداعية إلى التفكير والتدبر والتفقه والبحث عن المعرفة وطلب العلم، كان ولا يزال وسيبقى، ما دامت الحياة، مصدرًا للمعرفة ومحورًا للنشاط الفكري ودعوةً دائمة إلى الاجتهاد لمواكبة تطور الحياة وارتقاء العلم وازدهار الإنسانية.

وإن من الواجب على المسلم أن يدرس الحضارة الجديدة بما لها وما عليها، ويستفيد من تجاربها في دعم مقرراته، فلا معنى أبدا لأن نتجاهل الجهود الإنسانية التي بذلت في إبداع هذه الحضارة، والاطلاع على ما لدى الآخرين من علم وإبداع وكل مفيد، وينبغي ألا نرفض حكمة جاءت من عدو، ولا نزهد حصاد الذكاء البشري مهما كان موطنه، لنستقبل الجديد من عوامل الإبداع؛ شرطَ ألا ينسينا أصولنا وثوابتنا.

كما أن لدينا مواريث نفيسة في تاريخنا الثقافي لا يجوز أبدا إنكارها، بيد أن هذه النفائس اختفت في ركام عهود الانحلال والانحراف، ما يجعل التبعة علينا ثقيلة في التنقيب عنها، والإبداع من خلالها.

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

في هذا العدد

أيها السائح 6

ترشيد الاستهلاك بين الأصالة والمعاصرة 8

التلقيح الاصطناعي 12

المسجد الأقصى في عصر سلاطين المماليك 36

لماذا اختفت الرواية الإسلامية؟ 52

الدعاة المبشرون 84

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٣٧

العام السابع والأربعون

جمادى الأولى ١٤٣١ هـ

ابريل - مايو ٢٠١٠ م.

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

التنفيذ والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة أو المجلة.

التوزيع

وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

• السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) • اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر • لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ١٨٤/٢٥ • سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات • الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٠٠٩٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢ • مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع • الإمارات العربية المتحدة ٢٦٦٥٣٩٤ - ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع • مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام • المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع • المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف • سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع • قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر.

موضوع الغلاف

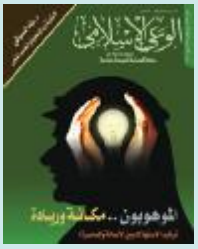

يشهد عالمنا المعاصر نقلة نوعية وسريعة في دنيا الابتكار والاختراع وتسعى الدول النامية حثيثًا لاستخدام التكنولوجيا المعاصرة ورعاية الموهوبين لديها على النحو الذي يسهم في الوصول إلى مرحلة الريادة والإبداع.

داخل العدد

الحقيقة الغائبة	١٨
كيف ننمي الابتكار والموهبة؟	٢٢
القلم العربي وأثره في فضيلة الخط	٢٤
قراءة في المصطلحات الغربية المترجمة	٣٦
سقوط نظرية دارون وتهافت دعاتها	٤٨
قواعد اللغة لا تغير الحكم الشرعي	٥٨

كلمة العدد

مزيدًا من رعاية الموهوبين

الإخوة والأخوات قراء المجلة:

الإبداع والابتكار والتميز في العمل والإنتاج سمة من سمات هذا العصر، وتسعى دول العالم جميعًا كل حسب قدراته وإمكاناته وظروفه إلى الأخذ بكل الوسائل الممكنة لدعم خطط التنمية وتطويرها في جميع الميادين، ولاشك أن شريحة الموهوبين المبدعين تلعب دورًا مهمًا في التطوير والتنمية، لذا فإن دول العالم المتقدم أولت هذه الفئة رعاية خاصة في التعليم والتدريب والتطوير الدائم والمستمر وصولًا إلى مرحلة الإبداع والابتكار والتميز.

لقد حاولنا من خلال هذا العدد الذي نضعه بين أيديكم طرح قضية الموهبة والموهوبين على بساط البحث في عالمنا العربي والإسلامي ودراسة التحديات التي تواجهها والوسائل التي يجب الأخذ بها وحاولنا تقديم نماذج من إبداع أسلافنا في العصور الغابرة لتكون دافعًا لنا نحو عصر إبداع جديد يعيد لنا الريادة في الحضارة الإنسانية المعاصر.

«الوعي الإسلامي»

الأسعار

• الكويت : ٥٠٠ فلسا • السعودية : ٧ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٧ ريالات • الإمارات : ٧ دراهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن : دينار واحد • مصر : ٢ جنيه • السودان : ٥٠٠ جنيه • موريتانيا : ٢٠٠ أوقية • تونس : ٢ دينار • الجزائر : ١٠ دنانير • اليمن : ٧٠ ريال • لبنان : ٢٠٠٠ ليرة • سورية : ٣٠ ليرة • المغرب : ١٠ دراهم • ليبيا : دينار واحد • اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله • اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

الاشتراكات

• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
• الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
• دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
• للمؤسسات : ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

أيها السائح

الإنسان سائح، والكون معرض للمشاهد الملونة، ومكتبة زاخرة مطروحة لنظره وتأمله وسياحته. وهذا السائح أرسل إلى هذا العالم لكي يقرأ هذه الكتب ويزيد من معرفته. هذه السياحة الممتعة لا تتيسر للإنسان إلاّ مرة واحدة. وهذه السياحة الوحيدة تكفي بالنسبة لصاحب العقل الرشيد والقلب اليقظان لإنشاء جنات كجنات عدن وكجنات إرم ذات العماد، أما بالنسبة للذين يعيشون مغمضي العيون فلا تكون سوى لحظة عابرة تأتي ثم تمضي بسرعة.

فتح الله كولن

كلما انسلخ الروح من هذا العالم المادي شاهد التجليات الإلهية المشرقة بشكل أوضح

الذين يتأملون قوانين الطبيعة وقوانين الحياة بعمق ويعرفون قيمتها يرون في ألوان الزهور وفي حركة الأغصان وفي هدير الرعود وفي تغريد الطيور جمالاً لا يمكن وصفه، ويرون في كل صوت تقديسًا وتسبيحًا لصاحب القدرة اللانهائية. ويرون في الضوء والحرارة والجاذبية والعلاقات الكيميائية وفي القوانين التي تحكم الأحياء وتسوقهم آثار تجليات إلهية.

كلما انسلخ الروح من هذا العالم المادي المليء بالضوضاء وانغمر في أعماق «عالم الوحدانية» شاهد التجليات الإلهية المشرقة بشكل أوضح، فيكاد يغيب عن وعيه.

هؤلاء الذين سموا إلى الوصال الإلهي مثل هذا السمو وتركوا أنفسهم بين أمواج المد والجزر للوجد الإلهي واستغرقوا فيه، يرون في المناظر الصامتة للسهول الوحيدة الممتدة على مد البصر، وفي الحياة الزاخرة في أعماق المحيطات، وفي الوقفة الوقورة للجبال الشاهقة التي تناطح السحاب، وفي ظلام المساء الذي يداعب السفوح الخضراء، وفي الروائح العطرة المسكرة للزهور الساحرة المنتشرة في الحدائق، وفي منظر قطرات الندى وهي تبتسم فوق الزهور الصغيرة وتهتز مع النسيم فتسحر الألباب وتشرح القلوب... يرون في هذه المناظر تجليات وانعكاسات من جماله هو. ماذا يضرنا إن لم نحط به علمًا؟! كل صوت إشارة ورسالة منه. يقول الأديب والحكيم الألماني «جوته»:

«إننا نحدس وجود الله في قلوبنا وفي الطبيعة، فما أهمية إن عجزنا عن معرفة ماهيته؟ أجل! فماذا نعرف حول الماهية الإلهية؟ حدسنا حول الله عاجز ومحدود ولا يغني شيئًا. وحتى لو ذكرناه بمئات من أسمائه وصفاته فإننا سنبقى دون الحقيقة بكثير. فالوجود المطلق للألوهية لا يتجلى في الإنسان فقط، بل في كل صغيرة وكبيرة وفي كل حادثة، دقيقها وخطيرها وفي الظواهر المتصفة بالقوة والغنى للطبيعة. فهل من الممكن أن تكون الأوصاف البشرية كافية للإحاطة بمثل هذا الذات الأكمل؟» هذا ما يقوله «جوته»، وهكذا يحول الأنظار نحو الذات الإلهية المعلومة والمجهولة معًا، والمتجلية بآثارها في العالم وفي الكون.

نحن خرجنا إلى سياحة دائمة لا تنتهي نحو ذلك الذات الأقدس الذي ستر ذاته عن العيون وتجلى بآثاره.. هدفنا أن نكون دائمًا في الطريق الموصل إليه، وندخل من الأبواب المتفتحة عليه.. نحن في رحلة أبدية نحوه.. فمادام هذا العالم موجودًا فرحالنا مشدودة دومًا إليه، وقلوبنا تتغنى بحبه.. كيف لا ولم نأت إلى هذا العالم إلا لكي نعرفه؟! ولا نعرف وظيفة أعظم وأجل من هذه الوظيفة.. نحن جميعًا ظل من ظلال وجوده.. أما هو فمصدر ومنبع ومرجع كل شيء.

هو الذي فجر المياه من الأرض، وأسال العيون والينابيع بكرمه.. هو الذي ألبس الشمس تاجًا من الضوء والحرارة، وزين الأرض بآلاف من الورود والزهور وألبسها آلافًا من الحلل.. السماوات والأرض والبحار الواسعة منه.. السحب والغيوم تنظر إليه بعين البحار، والبحار تسبح له بلسان الغيوم. هو الذي ملأ بطن الأرض بآلاف من التحولات والعمليات، وصبغ المرجان باللون القاني.. الشموس عبيد على بابه، والعوالم واقفة أمامه مثل أسرى كبلت أقدامهم وأرجلهم بالسلاسل.

يا خالقي العظيم! كل ما في العالم من ملك وسلطنة تحني هاماتها في ظل رايتك.. وكل السلاطين عبيد عندك.. كل شيء يهرع نحوك ليلتمس منك الوجود، أما أنت فموجود بذاتك

مفكر تركي

دون حاجة لأحد.. الموجودات الوقتية تدخل عالم الوجود وتأخذ أشكالها ثم تنطفئ وترحل، أما أنت فبريء من كل هذا ومستغن عن كل شيء. أنت واحد أحد، لا شبيه لك ولا مثيل ولا تحتاج إلى أحد. الوجود بأجمعه يطلب المدد من وجودك الأحد الصمد. أحديتك واحة وجنة للظامئين في الصحاري، وماء كوثر لهم. الأرض باقية بقدرتك، والسماء منتظمة بقدرتك وإرادتك. ولولا أن الكون كله مستند إليك لتناثرت النجوم تناثر حبات المسبحة في أرجاء الكون.

سعدنا جميعًا بك.. وجدنا طعم السعادة بمعرفتك.. كل سعادة لا تشير إليك فنحن برآء منها، ونلعن مثل تلك السعادة.. أجل سننسى كل شيء لا يتحدث عنك ونقطع علاقتنا معه.

اللهم يا ذا الرحمة التي لا تُحد! نحن عبيد عند بابك! لم نسجد لأحد غيرك، ولم نكن عبيدًا لأحد سواك، وسنظل هكذا في الدنيا وفي الآخرة. لم نشتك لأحد غيرك، فإن فعلنا ذلك دون قصد فاقبل توبتنا من ذلك، واقبل رجوعنا إلى بابك وساحتك، واملأ أقداح هؤلاء الملازمين لبابك لترتسم البسمة على هذه الشفاه التي نسيت شفاهها البسمة منذ عصور.

يا أمل المحزونين والمكروبين ويا مصدر سعادتهم! يا صاحب الغرباء! يا شفاء القانطين واليائسين! افتح ستارًا لعبيدك الحيارى، وأطفئ ظمأهم وكن دواءً لدائهم! كم كنا نود لو نستطيع شرح لوحات الجمال التي وهبتها للعالم، وانعكاسات ألوان الجمال هذه في قلوبنا للآخرين. ولكن إن قصرنا في هذا.. وإن عجزت كلماتنا وبلاغتنا عن هذا فاغفر لنا واصفح عنا وتب علينا يا تواب.

انتشار الإسلام بتسامح العرب في أوزبكستان

د.علي عفيفي غازي

في ندوة المؤرخ سعد زغلول عبدالحميد التي نظمتها كلية الآداب بجامعة الإسكندرية أكد أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر وعميد كلية الآداب بجامعة الإسكندرية السابق الأستاذ الدكتور جمال محمود حجر أن الإسلام انتشر في أوزبكستان بتسامح العرب والمسلمين، حيث كانت العلاقات العربية مع إقليم آسيا الوسطى في البداية علاقات تجارية، الأمر الذي يسر للعرب نشر الدعوة الإسلامية بين أقوام ذلك الإقليم في القرنين السابع والثامن الميلاديين، فأصبحت مدن مثل سمرقند وبخارى مراكز تجارية وثقافية متميزة، ظلت على تميزها وروعتها حتى القرن السادس عشر.

ولا تزال قبور الصحابة رضوان الله عليهم، وقبور آل البيت الكرام، القائمة في أوزبكستان وبلاد ما وراء النهر وسمرقند خير شاهد ودليل على خطى المسلمين الأولى إلى آسيا الوسطى منذ عهد خليفة رسول الله «عثمان بن عفان»، في سبيل نشر الإسلام واللغة العربية والقرآن الكريم، وتعاليم التسامح والثقافة العربية والإسلامية، وكلها روافد ساهمت بشكل غير مسبوق في إعادة صياغة حياة وثقافة المنطقة التي ساهمت في نشر الإسلام إلى أن وصل إلى الصين، وفيها أرسى قتيبة بن مسلم الباهلي الحكم العربي إلى أن توفي ودفن ببلدة فرغانة.

وبدأت بلاد ما وراء النهر بعد ذلك تعتمد على نفسها في تنمية ثقافتها ونشر الدعوة الإسلامية واللغة العربية، فبرز جيل حمل الراية الوافدة، وأتاح للبذرة التي غرسها العرب أن تضرب بجذورها في الأرض، فأنجبت عددًا من الفقهاء والعلماء والأئمة الأعلام الذين لا يجهلهم المسلمون، وكان ذلك باكورة نتاج التفاعل بين الثقافة العربية الإسلامية، وثقافة بلاد ما وراء النهر، يأتي على رأس هؤلاء الإمام محمد بن إسماعيل البخاري في القرن الثاني الهجري، صاحب الجامع الصحيح، المشهور بين المسلمين بصحيح البخاري، حيث جمع فيه كل صحيح من الأحاديث النبوية الشريفة، وهكذا آتى التفاعل أكله حين خدم أهل هذه البلاد الإسلام والثقافة العربية خدمة جليلة.

والتراث العربي الذي تركه الأوائل في هذه المنطقة بقيت آثاره إلى اليوم، رغم المتغيرات السياسية عبر ما يزيد على ألف ومائتي سنة، تأتي على رأس ذلك العقيدة الإسلامية واللغة العربية، ومصحف عثمان، أول مصحف في الإسلام، الذي ظلت تتناقله السلطات إلى أن استقر في طشقند، ويبقى موسم الحج السنوي مظهرًا للتواصل الذي لن ينقطع بين أهل هذه المنطقة والعرب، رغم الضغوط الإقليمية، وكانت هذه بذور العلاقات العربية الأوزبكية التي نمت وتطورت منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم.

دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر

ترشيد الاستهلاك بين الأصالة والمعاصرة!

د. محمد الحاجي

بعد أن هزت الأزمة المالية العالمية دول العالم، غنيها وفقيرها، وغيرت المفاهيم الاقتصادية التي سادت قرونا عدة، وهوت بأسعار الأسهم والسندات في الأسواق المالية، وأطاحت بمؤسسات مصرفية عريقة، أخذت دول العالم وأفراده يتنادون إلى ترشيد الاستهلاك، ويجعلونه ثقافة أساسية من ثقافات الحياة عندهم، وضرورة لا غنى عنها إذا أرادوا أن يتخلصوا من أعباء الديون، وكوارث القروض والرهونات.

عرف الإسلام أهمية ترشيد الاستهلاك منذ بدء هذه الرسالة السمحة، فدعا أبناءه إلى اتخاذ الترشيد منهاجا لحياتهم، وجعله أحد أهم السلوكات الحياتية والقيم الاقتصادية التي لا غنى عنها للمسلم إذا أراد أن يستن بالهدي القرآني والمنهج النبوي.

وفي الاقتصاد الوضعي يهدف الاستهلاك إلى تحقيق المنفعة للفرد، دون النظر إلى كونها مشروعة أو غير مشروعة، وبالتالي فللفرد الحرية التامة في توزيع دخله بين السلع حسبما يروق له دون قيود أو حدود أو دون تدخل من أحد، وبغض النظر عن كون هذا الاستهلاك ترفيًا أو غير ترفي، مبدّدًا للموارد أو غير ذلك.

وبالتالي، لا يقف الاستهلاك عند حد معين، بل يتعدَى ذلك للوصول الى أكبر قدر ممكن من لذّات الدنيا، وهذا يؤدي الى فَرط الإنتاج الكمالي، ويصبح الفرد لاهثًا وراء النزوات والشهوات، وتكون النتيجة أن يصبح المجتمع «مجتمعًا استهلاكيًا»!

أما الاقتصاد الإسلامي فإنه يحمل طابع الوسطية، ولذلك سنّت الشريعة الإسلامية حربًا عنيفة ضدّ الذين يضيقون على أنفسهم، ويبتعدون عن نعم الله، ويحرّمون المباحات، بدعوى الزهد والتبتل والبعد عن مفاتن الدنيا وزخارفها، علمًا أن الله تعالى قال: ﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرًا﴾ (النساء: ١٦٠)

وهكذا اعتبرت الشريعة الاستهلاك المنضبط بضوابط الشريعة تقرّبًا إلى الله سبحانه، حيث اعتبرته نوعًا من أنواع العبادة، واستجابة لنداء الحق تبارك وتعالى ﴿يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله إن كنتم إياه تعبدون﴾ (البقرة: ١٧٢)

فالاستهلاك المنضبط هو في الواقع استجابة لأوامر الله، مع الشكر الخالص لله سبحانه، دليل ذلك ما ورد في مسند أحمد، قول الرسول صلوات الله عليه: «ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده».

المهم في المسألة ألا يصبح الاستهلاك أمرًا ترفيًا، ولا يؤثر على سلوكات المجتمع وأخلاقياته، كأن يصبح للتفاخر والتباهي، ومما يؤسف له أن هناك توجهًا واضحًا لتوجيه حركة الاستهلاك، وذلك من خلال إيقاظ حاجات جديدة لدى الناس تتناسب مع المعروض للبيع! بل هناك ما هو أسوأ، حيث يتم تصنيع سلع تتلف بسرعة مما يضطر المستهلك لشراء البديل عنها.

وهناك دراسات معمقة تعتمد على علم النفس وغيره، تهدف الى تقصي الرغائب لدى الانسان، «استراتيجية الرغبة»، وتعتمد على توظيف كل ما له علاقة بالبيع والشراء، وهذا الدور يقوم به الإعلان، خاصة عبر وسائل الإعلام، أما الأموال

أكاديمي سوري

التي تصرف في هذا المجال فحدّث ولا حرج، وسيتحمل المستهلك تلك الكلفة البالغة الارتفاع، لأن نفقات الإعلان تضاف بجملتها إلى ثمن السلع.

والأنكى من ذلك أن كلفة الإعلانات تحرم المجتمع أموالاً ضخمة كان الأجدر أن توظف في معالجة مشكلاته وفي تنميته وتطويره، فبعد دراسات وإحصاءات تبين أن ميزانية الاعلان التجاري في فرنسا تعادل نصف مردود ضريبة الدخل، ولو أن تلك الأموال أنفقت على المجالات الخدمية لكانت المحصلة إقامة الآلاف من المدارس ودور الحضانة والمشافي والمساكن ونحو ذلك.

وفي الواقع فإن كل المخلوقات التي أوجدها الله في هذا الكون ما وجدت إلا من أجل التنعم باستهلاكها مع الانتفاع بها، وهذا ما يحث عليه الجانب الاقتصادي في الإسلام، حيث يعلن عن هدف الاستهلاك بأنه «التنعم بمناهج الحياة، والترفيه عن النفس في الإطار السويّ المستقيم، وضمن الاعتدال والتوازن»، وعلى حد تعبير العالم المصري البهي الخولي، فإن منطق ثقافة الروح يقضي أن هذا الكون وخيراته ظاهرة وباطنة ما أودعت فيه إلا لمقاصد جليلة أرادها الخالق العظيم، ومنها أن يقوم الإنسان بعمارة هذا الكون بالصورة المثلى، ومن ذلك استهلاكه لهذه الخيرات.

مصداق ذلك قوله سبحانه في معرض الحديث عن ضوابط الاستهلاك: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ (الأعراف: ٣١).

الترف والنعيم يقتلان في النفوس الدفاع عن العرض والأرض

هذا إضافة إلى أن يكون هناك توازنٌ بين المنفعة الفردية وبين منفعة المجتمع، مصداق ذلك قوله سبحانه: ﴿والذين في أموالهم حق معلوم. للسائل والمحروم﴾ (المعارج: ٢٥)

والأهم من ذلك أن تكون لتقييد الاستهلاك وضبطه آثار عظمية على تربية الفرد والجماعة، مثال ذلك التربية الاجتماعية التي تتمحور حول ألا يستأثر الأغنياء بكل شيء، بينما يُحرم الفقراء من كل شيء، لأن ذلك يؤدي الى الحقد والحسد والضغينة، ورحم الله الخليفة الراشد الخامس عمر بن عبدالعزيز، لما علم أن أحد أولاده قد اشترى خاتمًا بألف دينار، كتب اليه مستنكرًا: «بلغني أنك اشتريت خاتمًا فصُّهُ بألف درهم، فإذا جاءك كتابي هذا فبعه، وأطعم بثمنه ألف جائع، واشتر خاتمًا فصُّهُ من حديد، واكتب عليه: رحم الله امرءًا عرف قدر نفسه»!.

أما إذا اختفت السلع من الأسواق، واحتكرها بعض الآثمين، وارتفعت الأسعار، فالحلّ يكمن في التعفّف عن الشراء وترك البضاعة في الأسواق، كما قال أحد الحكماء حين قيل له: لقد غلا الشيء الفلاني، فقال: أرخصوه بالترك.

وكذلك التربية الخُلقية، بحيث يبتعد المؤمن عن التنعم والترف والحرام. ويعيش المسلم التكافل الاجتماعي مع أفراد مجتمعه، وقد ذكر الحاكم في مستدركه أن عمر بن الخطاب رأى في يد جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أجمعين درهمًا، فسأله: ما هذا الدرهم؟ قال: أريد أن أشتري به لأهلي لحمًا قرموا إليه، أي: اشتدت شهوتهم له – فقال عمر: أكلما اشتهيتم اشتريتم؟! ما يريد أحدكم أن يطوي بطنه لابن عمه وجاره؟! أين تذهب عنكم هذه الآية: ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾ (الأحقاف:٢٠).

أما التربية الاقتصادية، فتكون بالتدريب على التقليل من الاستهلاك، وبالتالي تدريب الأفراد والأمة على الاستهلاك العقلاني، عسى أن تتوافر الأموال الضخمة، مصداق ذلك ما ورد في مسند أحمد أن النبي ﷺ قال: «من فقه الرجل قصده في معيشته».

ولا ينبغي أن نغفل دور التربية العسكرية والسياسية، لأن الترف والنعيم يقتلان في النفوس الدفاع عن العرض والأرض، وعند ذلك تصبح البلاد لقمةً سائغة بفم الأعداء.

وكذلك دور التربية الصحية والجسدية، وذلك من خلال التقليل من الطعام، لأن الإسراف فيه يؤدي الى التخمة التي يرافقها كثير من الأمراض، ورحم الله القائل: «المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء».

أهم مستويات الاستهلاك

هنالك ثلاثة مستويات للاستهلاك، مستوى حد الكفاف، أي الحاجات الأساسية أو الضرورية للإنسان، وهي الطعام والشراب والكسوة والمسكن، وبالتالي فهي تتعلق بالكليات الخمس، حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل، وبالتالي، فهذا الحد يعتبر المستوى المتدني من الحياة المعيشية لأفراد المجتمع، وهذا الأمر على حد تعبير د. يوسف القرضاوي «لا يقره الإسلام، بل يحبذه، لأن الإسلام يحرص على إقامة مستوى معيشي محترم لأفراده، وليس الهدف هو سد الأفواه وكفى، وذلك لأن الإسلام ينظر للإنسان على أنه خليفة الله في هذه الأرض، ولذا فقد كان من الواجب إكرام هذا الخليفة، ولا تقر الشريعة بهذا المستوى، لأنها تعتبره حالة طارئة على المجتمع المسلم، مصداق ذلك قول عمر رضي الله عنه: «إني حريصٌ على ألا أدع حاجة إلا سددتها ما اتسع بعضها لبعض، فإن عجزنا تأسينا في عيشنا حتى نستوي من الكفاف».

أما المستوى الثاني فهو المستوى الذي تُشبع فيه جميع الحاجات الأساسية المشروعة للإنسان، مصداق ذلك قوله تعالى ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى. فقلنا يا آدم إن هذا عدوٌ لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى. إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى. وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى﴾ (طه: ١١٦-١١٩)، وهكذا يخاطب الخالق سبحانه نبينا آدم عليه السلام أنني قد أعددت لك الجنة، وجعلت لك فيها كل ما تحتاج إليه، وأبحتُ لك كل ما فيها من نعيم إلا هذه الشجرة، فعليك ألا

تقربها، ولذلك لن تجوع فيها، لأن فيها كل الثمرات، ويلاحظ من الآيات أنه سبحانه تكفل لهما بما يلبي بعض الغرائز الظاهرة كاللباس والطعام، كما تكفل لهما بإشباع بعض الغرائز الباطنة كالعطش.

ولهذا تختلف حاجات الكفاية من إنسان لآخر، ومن زمان لآخر، ومن مكان لآخر، لكن أهم تلك الحاجات هي الزواج، وتوفير كتب العلم وما يتعلق بذلك، وتوفير سبل العلاج، ووسائل الانتقال والركوب، وتوفير حرفة نافعة أو عمل مناسب، إضافة إلى وسائل الإنتاج اللازمة.

وأما مستوى الرفاهية فيعني مستوى التوسع والراحة والدعة والتنعم في وسائل العيش، لكن ضمن ضوابط الشريعة الإسلامية، حيث لا يستغرق الإنسان في الرفاهية إلى درجة العبادة، بل عليه أن يصل إلى أكبر قدرٍ ممكن من المنفعة دون الاعتداء على الآخرين، وعليه ألا يجعل ذلك غاية تستعبده إلى حدّ اللهاث وراء آخر الصرعات والموضات، إنما الحل يكمن في الوسطية، بحيث لا إفراط ولا تفريط، فلا ابتعاد عن الدنيا إلى حد إهمال كل شيء، ولا انغماس في ملذاتها ومتعها إلى حدِّ الاستغراق، مصداق ذلك ما ورد في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، والقطيفة، والخميصة، إن أُعطي رضي، وإن لم يُعطَ لم يرضَ».

عقلنة الاستهلاك

من روائع الشريعة الإسلامية أنها تقوم على الواقعية، بعيدًا عن المثاليات والتحليقات في الهواء الطلق، ولذلك وضعت بعض النقاط المضيئة في سياق ضبط الاستهلاك وعقلنته، منها التفكير المنطقي السببي والبُعد عن الخرافة، كما حكى القرآن عن الذين ينعقون بما لا يعرفون، ويجادلون دون حجج، حيث قال عز وجل: ﴿وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيرًا﴾ (الفرقان: ٧)، فجاء الجواب بعد عدة آيات: ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرًا﴾ (الفرقان: ٢٠).

ومنها معرفة مدى حرية الأفراد في ممارسة عملية الاستهلاك، فبينما يذهب النظام الاقتصادي الرأسمالي إلى مطلق الحرية للفرد، بحيث ينفق ما يشاء ويستهلك ما يشاء، دون أن يتدخل أحد في ذلك، يذهب النظام الاقتصادي الإسلامي إلى ضبط الاستهلاك بضوابط الشريعة، مثل عدم استهلاك المواد المحرّمة، كالخمر والخنزير ونحوه، لأن كل فرد مسؤول عن تصرفاته الاستهلاكية، قال الله تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى. وأن سعيه سوف يرى. ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾ (النجم: ٣٩-٤١).

ومنها التركيز على الترشيد والاعتدال، بمعنى أن على الفرد ألا يتخلى عن أيّ شيء من دخله إلا إذا اعتقد أن الإنفاق في صالحه، أما الاعتدال والوسطية- وهما من خصائص الشريعة- فيعنيان: معرفة الإمكانات المادية المتاحة، وإنفاقها على المتطلبات الأساسية الضرورية.

ومن هذه النقاط أيضا ممارسة العقلانية في عملية الاستهلاك، حيث ذهب النظام الاقتصادي الغربي إلى أن الفرد يقوم بإنفاق دخله فيما يعود عليه بالنفع الشخصي، وأما النظام الإسلامي فيرى وجوب التكيّف مع الوضع العام للفرد والمجتمع، مع اللجوء إلى اختيار الوسائل التي تحقق للإنسان أن يشبع حاجاته، ولابدّ من مراعاة بعض الأفكار الأساسية والرئيسية، كالابتعاد عن استهلاك الكماليات، ومعرفة أحوال السلع والأسواق والأسعار ونحو ذلك، بالإضافة إلى تحريم استهلاك السلع الخبيثة، لأن الأصل في الاستهلاك هو الطيبات الحلال، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ (الأعراف: ١٥٧).

هذا إلى جانب تحريم الإسراف والترف، بحيث لا يجوز بذل المال إلا فيما ينبغي، ولا يجوز تجاوز الحدّ في الإنفاق، ولا يجوز الإنفاق في وجوه المعصية، وإلا تكون الحال كما قال الله تعالى: ﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلًا وكنا نحن الوارثين﴾ (القصص: ٥٨).

وقد حضّ الإسلام على الإنفاق وأباح الاستهلاك، وإلا آل الحال إلى الركود الاقتصادي والبطالة، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض...﴾ (البقرة: ٢٦٧)، ولهذا حرم الله سبحانه اكتناز الأموال، لأن في الاكتناز مضارًا اقتصادية كبيرة، لكن الإسلام لم يترك للفرد حرية أن يستهلك كل ما هب ودب! ولم يدعه ينفق ما يشاء، إنما رسم له حدودًا وأمره ألا يتعداها، فالاستهلاك هو الوسط بين التقتير والإسراف، قال تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملومًا محسورًا﴾ (الاسراء: ٢٩).

وثمة مسلمات في موضوع ترشيد الاستهلاك أهمها:

١- تفاوت الثروة أمر طبيعي، وهو حكمة من حكم الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيبٌ مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله...﴾ (النساء: ٣٢).

٢- العمل والسعي يحققان الأهداف، كما قال الله تعالى: ﴿له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ (الرعد: ١٤)، وورد في صحيح مسلم قول المصطفى ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن! إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وان أصابته ضرّاء صبر فكان خيرًا له».

٣- الأهداف التي تتجاوز الإمكانات، وقد ورد في سنن ابن

ماجة قول عليّ رضي الله عنه: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ وبيده عود، فنكث في الأرض ثم رفع رأسه وقال: «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار»، فقيل: يا رسول الله، أفلا نتكل؟ قال: «لا.. اعملوا ولا تتكلوا فكلّ ميسّر لما خُلق له، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى. وصدّق بالحسنى. فسنيسره لليسرى. وأما من بخل واستغنى. وكذب بالحسنى. فسنيسره للعسرى﴾ (الليل: ٥- ١٠).

٤- للدولة دور كبير في مسألة ترشيد الاستهلاك، ويتجلّى ذلك في عدة مواطن، منها الحجر، وهو المنع من التصرّف في المال، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قيامًا وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولًا معروفًا﴾ (النساء: ٥)

وقد يكون الحجر للصغر، وتارة يكون للجنون، وتارة للفلس، وتارة لسوء التصرف، وبالتالي فإذا لم يحافظ الفرد على المال، وبذره هناك وهناك، انتقلت ملكيته إلى الجماعة.

- إن التوسط في الإنفاق وترشيد الاستهلاك يؤديان إلى نشوء فائض من الأموال لدى الفرد ولدى الدولة، بحيث تحدث الزيادة في الإنتاج على الاستهلاك، وهنا يأتي دور الدولة لتتدخل في تشجيع الادخار الفردي والجماعي، ومن ثم توجيه هذا الفائض نحو الاستثمار لخلق سلع جديدة يستفيد منها المجتمع ويسدّ ثغرات كانت لديه، وإذا بقي المال الفائض دون استثمار سمي اكتنازًا- الادخار الاحتياطي-

التوسط في الإنفاق وترشيد الاستهلاك يؤديان إلى نشوء فائض من الأموال لدى الفرد ولدى الدولة

لكن الدولة الإسلامية تشجع الادخار الذي يؤدي إلى خلق مزيد من الاستثمارات.

وأهم الضوابط التي تحمي المستهلك، وتبعده عن الوقوع في المحظورات:

أ- الحرب العنيفة على الربا، وهي أيّ فائدة تُدفع عن المال المقترض بنسبة تزيد على النسبة التي يحددها الشرع أو القانون، أي إنها تمثل الربح غير المشروع الذي يكسبه الدائن من المال الذي يقرضه للغير.

وقد شنت الشريعة الإسلامية حربًا عنيفة على الربا والمرابين، لأنها تؤدي إلى غلاء الأسعار، وتعرقل الإنتاج، وتُحدث تفككا اجتماعيا في المجتمع.

ب- التحذير الشديد من الاحتكار، سواء على مستوى الفرد أو الجماعة أو الشركات العملاقة، وفي مسند أحمد قول النبي ﷺ: «من احتكر على المسلمين طعامًا، ضربه الله بالإفلاس والجذام»، ذلك لأنه يؤدي إلى الكسب غير المشروع، حيث تتقضّ فئة قليلة على أقوات الناس، مما يحدث ضائقات وأزمات بين الناس.

ج - التحذير من بعض أنواع البيوع المحرمة، كالغبن والتغرير والتدليس وبيع الثمار قبل بدو صلاحها، وبيع الكلب والخنزير والميتة والخمر، ونحو ذلك، والحل الوحيد يكمن في تكاتف القوى وتضامنها لحماية المستهلك، وذلك من خلال مقاطعة جمهور المستهلكين لمن اشتهر بذلك.

د - التسعير، ويعني إلزام الناس بألا يبيعوا سلعهم إلا بالسعر الذي أقرته الدولة حماية للمستهلك، لأن التسعير يقضي على الاحتكار، ويقف في وجه التجار الجشعين، ويضبط عملية المضاربة والمنافسة في الأسعار، وما إلى ذلك.

ه - النهي عن الربح غير المشروع، كالاستغلال والاحتكار والمغالاة في الربح، لذلك فعلى الدولة أن تتدخل لوضع حد للأرباح الفاحشة، وذلك حماية للمستهلك وحفاظًا عليه.

وفي القرآن الكريم نماذج لترشيد الاستهلاك، مثال ذلك ما قامت به الدولة في عهد نبي الله يوسف عليه السلام بإرشاد الأمة إلى ضغط الاستهلاك في سنوات الازدهار والرخاء، وذلك من أجل مواجهة السنوات العجاف، من خلال إعطاء كل من يأتي ليكتال لأهله تعيينًا محددًا، وهو حمل بعير واحد لكل رجل.

التلقيح الاصطناعي (طفل الأنابيب)

د. أبو عمر سيد حبيب بن أحمد

أولاً: المراد به: التلقيح الاصطناعي كل طريقة أو صورة يتم بموجبها تلقيح البويضة بحيوان منوي، بغير طريق الاتصال الطبيعي الجنسي بين الرجل والمرأة (أي بغير الجماع).

ثانيا: أقسامه، وصور كل قسم

ينقسم التلقيح الاصطناعي إلى قسمين:

أحدهما: التلقيح الاصطناعي الداخلي.

الثاني: التلقيح الاصطناعي الخارجي.

■ أما التلقيح الاصطناعي الداخلي أو الإخصاب الداخلي أو التلقيح الإخصابي الذاتي: فهو ما أخذ فيه ماء الرجل وحقن في محله المناسب داخل مهبل المرأة زوجة أو غيرها، بقصد الحصول على الولد.

● صور التلقيح الاصطناعي الداخلي

١-تلقيح الزوجة بمني زوجها.

٢-تلقيح الزوجة بمني غير زوجها.

٣-تلقيح الزوجة بمني مشترك بين الزوج وغيره.

٤-تلقيح الزوجة بمني الزوج بعد الموت، أو بعد الطلاق.

● وأما التلقيح الاصطناعي الخارجي (طفل الأنبوب) أو (الإخصاب المعملي)

فهو ما أخذ فيه الماءان من رجل وامرأة، زوجين أو غيرهما، وجعلا في أنبوب أو طبق اختبار، ثم تزرعان في مكانهما المناسب من رحم المرأة.

صوره: له صور كثيرة سيأتي ذكرها عند الحكم الشرعي له.

ثالثا: المحاذير الناتجة عن التلقيح الاصطناعي الداخلي

لقد أدى انتشار استخدام التلقيح الاصطناعي الداخلي إلى مجموعة من المشاكل الأخلاقية والاجتماعية والدينية، كما أن هناك مشاكل أخرى في طريقها إلى الظهور، ومن هذه المشاكل والمحاذير ما يأتي:

١-يساعد الشاذات جنسيا (المساحقات) على الاستمرار في شذوذهن، وبالتالي عدم الزواج، ويلبي رغبتهن في الإنجاب.

٢- انتشار نكاح الاستبضاع الحديث، وهو أن يؤخذ مني العباقرة والأذكياء والأقوياء ويباع لمن يدفع الثمن.

٣-إدخال ماء الزوج في زوجته بعد انفصام عقد الزوجية وموت الزوج.

٤- أخذ المني من متبرع مجهول والذي قد يكون مصابًا بأحد الأمراض التناسلية أو أحد الأمراض الوراثية، مما يؤدي إلى نقلها إلى الأطفال.

٥-تحول النساء إلى أبقار حيث تلقح مئات النسوة بماء مانح واحد، كالأبقار يلقحن بماء ثور واحد.

٦-الفوضى في الأنساب.

٧-إنشاء تجارة بنوك المني.

٨-احتمال وقوع تلقيح المحارم من خلال بنوك المني.

٩- إنشاء شركات تجارية لبيع الأرحام المستعارة.

رابعا: المحاذير الناتجة عن التلقيح الاصطناعي الخارجي

١- حدوث حالات من مرض الإيدز، وانتقال فيروس التهاب الكبد بواسطة المني المستخدم (خاصة من متبرعين).

٢- اختلاط الأنساب: وذلك ما يحدث في الغرب بصورة خاصة، حيث لا يهتم إلا القليل بموضوع الأنساب، وهناك المتبرع بمنيه والمتبرعة بالبويضة، والمتبرعون باللقيحة الجاهزة، والمتبرعة برحمها.. وقد يحدث ذلك ولو بصورة احتمالية في البلاد الإسلامية، بسبب الخطأ الذي قد يحدث بسبب الترقيم أو حفظ المني أو حفظ اللقيحة.

كما أن هناك احتمالًا بوجود مراكز تجارية تبحث عن الربح، وتستخدم المني الجاهز المليء بالحيوانات المنوية، بدلًا من مني الزوج.

٣- استخدام الأجنة الفائضة في مجال الأبحاث. وهو أمر ترفضه المجامع الفقهية.

٤- تجميد الأجنة وما ينشأ عنه من مشاكل، ومنها استعمال الأجنة المجمدة بعد وفاة الأبوين أو أحدهما.

٥- بنوك المني وما ينشأ عنها من مشاكل وبيع مني العباقرة.

٦- وجود مراكز تجارية لهذه المشاريع.. وهو أمر فظيع جدا، حيث تتم المتاجرة بالأبضاع والأرحام بطرق حديثة جدا.

٧- رفض تسليم الجنين بعد الولادة.

خامسا: الأسباب الداعية لعمليات التلقيح الاصطناعي

باحث وأكاديمي أفغاني

أ- الأسباب الداعية لعملية التلقيح الاصطناعي الداخلي

تستخدم هذه الطريقة مع الإنسان لعلاج عدم الخصوبة والعقم في الحالات التالية:

١-ضآلة عدد الحيوانات المنوية (النطف) لدى الزوج.

٢- إذا كانت حموضة المهبل تقتل الحيوانات المنوية بصورة غير اعتيادية.

٤- إذا كانت إفرازات عنق الرحم تعيق ولوج الحيوانات المنوية.

٤- إذا أصيب الزوج بالعنة (عدم القدرة على الإيلاج) أو بالإنزال السريع.

ب-الأسباب الداعية لعملية التلقيح الخارجي (طفل الأنابيب)

يلجأ إلى مشاريع أطفال الأنابيب لمعالجة العقم، وذلك بعد استنفاد جميع الوسائل الأخرى لمعالجته، ومن أهم هذه الأسباب.

١- أمراض الأنابيب: كقفل أو إصابة الأنابيب في الجهتين، وفشل محاولة إصلاحها جراحيا.

٢-حدوث انتباذ في بطانة الرحم، والوطء في المحيض من أكثر عوامل الانتباذ.

التلقيح الاصطناعي بنوعيه يكون حرامًا إذا لم يكن المني مني الزوج أو لم تكن البويضة بويضة الزوجة

٣-حدوث تضاد مناعي في جهاز الرجل التناسلي.

٤- حدوث تضاد مناعي في جهاز المرأة التناسلي.

٥-عيوب شديدة في مني الزوج (قلة المني، قلة الحركة، كثرة الحيوانات المنوية الميتة).

٦-أسباب مجهولة لدى الرجل أو لدى المرأة تسبب قلة الخصوبة.

والأسباب من (٢-٦) لا ينبغي أن يلجأ فيها إلى التلقيح الاصطناعي الخارجي إلاّ بعد فشل جميع الوسائل الأخرى لمعالجة قلة الخصوبة وندرتها.

سادسا: الحكم الشرعي لصور التلقيح الاصطناعي- بنوعيه- مع الأدلة والترجيح.

بين العلماء والباحثون المعاصرون أن التلقيح الاصطناعي يكون حلالًا إذا تم بمني الزوج بماء زوجته أثناء قيام رابطة الزواج بينهما، من غير تدخل رحم امرأة أجنبية عنها، واتخذت الاحتياطات اللازمة حتى لا يختلط مني ذلك الزوج بمني غيره، أو أجري التلقيح به فور أخذه من الزوج لزوجته.

وبالمقابل فإن التلقيح الاصطناعي -بنوعيه- يكون حرامًا إذا لم يكن المني مني الزوج أو لم تكن البويضة بويضة الزوجة أو كان المني أو البويضة لمن انتهت معه رابطة الزوجية بموت أو طلاق أصبح بائنا، وكذلك فيما إذا لم تتخذ الاحتياطات اللازمة المفيدة لليقين بأن كلًا من المني والبويضة للزوجين حال قيام رابطة الزوجية بينهما.

وفيما يلي تفصيل الأقوال في بعض صوره:

أولا: الحكم الشرعي لبعض صور التلقيح الداخلي

الصورة الأولى: تلقيح الزوجة بمني زوجها، وهذه حالة يلجأ إليها عندما لا يكون الزوج قادرًا على إيصال مائه إلى نهاية المهبل في المباشرة الطبيعية لسبب ما.

اختلف العلماء في هذه المسألة على خمسة أقوال:

القول الأول: الجواز- بشروط وضوابط معينة- وهو قول أكثر العلماء المعاصرين، واستدلوا على ذلك بما يلي:

أ-قياس هذه الصورة على التلقيح الطبيعي- الاتصال الجنسي- بجامع كون كل منهما يبتغي به تحصيل النسل بطريق شرعي، وهو الزواج.

ب- أن من مقاصد الشريعة إبقاء النسل وحفظه، وهذا لا يتحقق إلا بالزواج الذي يتم فيه الاتصال الطبيعي بين الرجل والمرأة، وحيث تعذر ذلك، فإنه يلجأ إلى استعمال هذه الطريقة لتحقيق هذا المقصد العظيم.

ج-أن علاج العقم بهذه الطريقة يندرج تحت عموم جواز التداوي والمعالجة الطبية.

أما ارتكاب كشف العورة فإنه مقيد بالضرورة، و«الضرورات تبيح المحظورات».

القول الثاني: عدم جواز إجراء هذه الصورة من التلقيح الداخلي، وإليه ذهب بعض المعاصرين، ومنهم الشيخ أحمد الحجي.

أدلة هذا القول:

أ-إن الله تعالى شرع الاتصال الجنسي بين الزوجين لغاية أساسية، وهي تأمين السكن النفسي الناتج عن المتعة الحسية والعاطفية، وثانية تابعة لها وهي إنجاب الأطفال ضمانا لاستمرار النسل، والتلقيح بهذه الصورة يحقق الثانية دون الأولى. ومعلوم أن الثانية لا تتحقق إلا بشرط تحقيق الأولى مصداقا لقوله تعالى: ﴿وجعل

منها زوجها ليسكن إليها﴾ وقوله تعالى: ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ (البقرة: ١٨٧) فمادام التلقيح بهذه الصورة لا يحقق الإشباع النفسي فإنه يكون محرما، طبقا للقاعدة الفقهية: «الأصل في الفروج التحريم حتى يقام الدليل على الحل».

أجيب عن هذا الاستدلال:

١- لا يُسلَّم أن الزواج مقصده الأول إشباع الرغبة الجنسية النفسية، بل إن مقصده الأول والأساسي هو حفظ النسب وبقاؤه. ثم أيضا ربما يحصل السكن والمودة دون حصول الاتصال الجنسي، والتلقيح الاصطناعي يعد من عوامل تحقيق السكن والمودة وذلك باستقبال مولود طالما تطلعا لإنجابه.

٢- أما القاعدة الفقهية فإن معناها أن المستقر أن الفروج محرم الاستمتاع بها حتى يرد دليل الإباحة، ولكن هذا في حال كون الماء من غير الزوج، أما أن يكون الماء منه فهي حل له، ويجوز له إدخال منيه إلى فرجها بهذه الصورة.

ب- أن التلقيح الاصطناعي ينافي كرامة الإنسان، وفيه امتهان لها، قال تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ (الإسراء:٧٠). لذلك حرم الله تعالى الزنا لما فيه من الامتهان لكرامة المولود، وكذلك الحال لمن يولد بطريقة التلقيح الاصطناعي.

أجيب عنه:

١- أنه لا يُسلَّم أن في هذه الصورة امتهانا لكرامة المولود، إذ لا دليل على هذا الامتهان.

من مقاصد الشريعة إبقاء النسل والحفاظ عليه

٢- كذلك لا يسلم أن ابن الزنا ممتهن، بل هو مكرم لأنه نفس بشرية لا ذنب لها بالصورة التي وجد بها، إلا أنَّه لا يثبت نسبه للزاني، فقياسه على الزنا قياس مع الفارق.

القول الثالث: التوقف. وهو قول الشيخ ابن باز (رحمه الله).

القول الرابع: أنَّه من مواطن الضرورات فلا يفتى فيه بفتوى عامة، بل يفتى لكل حالة بحسبها. وهو قول الشيخ بكر أبوزيد (رحمه الله).

القول الخامس: الجواز في الداخلي، وعدم الجواز في الخارجي.

الراجح: الذي يترجح- والعلم عند الله تعالى- هو القول الأول، وهو جواز هذه الصورة من التلقيح الداخلي- بضوابط وشروط معينة- وذلك للأسباب التالية:

١-لقوة أدلتهم، وذلك من خلال القياس الصحيح، والبناء على مقصد حفظ النسل في الشريعة الإسلامية.

٢-إن الحكم بجواز هذه الصورة مبني على مشروعية التداوي في الشريعة الإسلامية، والعقم داخل فيها ضمن شروط خاصة، سيأتي بيانها.

٣- إن الشريعة الإسلامية قائمة على اليسر ودفع المشقة والحرج فـ «المشقة تجلب التيسير» وإباحة هذه الصورة فيه دفع للحرج والمشقة عن الزوجين في إنجاب طفل يسعدان به.

هذا وإن القول بجواز هذه الصورة مقيد بالشروط التالية:

١- أن يتم بين زوجين في حال قيام عقد الزوجية، أما إذا انتهى عقد الزوجية بموت أو طلاق فلا يحلّ ذلك.

٢- أن يقوم بهذا التلقيح امرأة طبيبة مسلمة ثقة، فإن لم يتيسر ذلك فطبيبة غير مسلمة ثقة فإن لم يتيسر فطبيب مسلم ثقة، فإن لم يتيسر فطبيب غير مسلم ثقة.

٣- اتخاذ جميع الإجراءات اللازمة لعدم اختلاط النطف، وعدم الاحتفاظ بالمني في الثلاجات، بل إجراء التلقيح فور أخذه من الزوج، وإعطاؤه للزوجة.

٤- أن تتم عملية التلقيح في وجود الزوج.

٥- وجود ضرورة أو حاجة المرأة إلى هذه العملية لأجل الحمل.

٦- عدم وجود الضرر من هذه العملية على الزوجة. وما لم تتوافر هذه الشروط جميعا فلا يسمح بإجراء هذه العلمية.

الصورة الثانية: التلقيح بمني غير زوجها. وهذه الحالة يلجأ إليها عندما يكون الزوج عقيمًا لخلو مائه من الحيوانات أو لضعفها.

الصورة الثالثة: التلقيح بمني مشترك بين الزوج وغيره.

حكم هاتين الصورتين هو التحريم، وذلك للأدلة التالية:

١-قوله تعالى: ﴿وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف﴾ (البقرة:٢٢٣)، وقوله تعالى: ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾ (الأحزاب:٥).

وجه الدلالة: أن الأب هو المولود له، أي الزوج الذي يخلق المولود من مائه، فهو صاحب النسب الذي ينسب الولد له، والتلقيح الاصطناعي بهاتين الصورتين فيه خلط للأنساب، فقد نسب المولود هنا للزوج رغم أنَّه لم يخلق من مائه.

٢-أن هاتين الصورتين هما في معنى الزنا، وذلك أن جوهرهما واحد، وحقيقتهما واحدة، وهي وضع ماء رجل أجنبي قصدا في حرث ليس بينه وبين ذلك الرجل عقد ارتباط بزوجية شرعية.

٣-أن هاتين الصورتين تشبهان ما كان يعرف في

الجاهلية «بنكاح الاستبضاع» وهو محرم في الإسلام.

الصورة الرابعة: استخدام ماء الزوج في تلقيح زوجته بعد انفصام الرابطة الزوجية بينهما بالموت أو الطلاق، وحكمه: التحريم.

ثانيا: الحكم الشرعي لبعض صور التلقيح الاصطناعي الخارجي

١-تلقيح بين نطفة الزوج وبويضة الزوجة في وعاء مختبري، ثم تعاد إلى رحم الزوجة، ويلجأ إليه في حالة عقم الزوجة بسبب انسداد القناة التي تصل بين مبيضها ورحمها.

حكمه: حكم الصورة الأولى من التلقيح الاصطناعي الداخلي، والراجح الجواز بشروط كما تقدم.

تنبيه: هذه الصورة فقط من التلقيح الخارجي فيها خلاف بين العلماء المعاصرين، وبقية الصور كلها محرمة، ومنها ما يأتي:

٢- تلقيح نطفة الزوج وبويضة امرأة متبرعة، ويلجأ إليها عندما يكون مبيض الزوجة مستأصلًا أو معطلًا، ورحمها سليم، فتزرع اللقيحة في رحم الزوجة.

حكمه: وهذه الحالة محرمة، لأن اللقيحة متكونة من مصدرين غير زوجين.

٣- تلقيح بين نطفة رجل وامرأة متبرعين ثم تزرع اللقيحة في رحم امرأة أخرى متزوجة، ويلجأ إليها حينما تكون المرأة المتزوجة التي زرعت اللقيحة فيها عقيمًا بسبب تعطل مبيضها، لكن رحمها سليم، وزوجها أيضًا عقيم.

حكمه: هذه محرمة أيضًا إذ لا مجال لأن يترتب فيها نسب.

٤- امرأة متطوعة بحمل لقيحة تكونت في وعاء الاختبار من نطفة زوج وبويضة امرأة، ويلجأ إلى هذا الأسلوب حين تكون الزوجة غير قادرة على الحمل لسبب في رحمها، ولكن مبيضها سليم منتج، أو تكون غير راغبة في الحمل ترفهًا، فتتطوع امرأة أخرى بالحمل عنها.

حكمه: وهو محرم شرعًا لأن المتطوعة بالحمل أجنبية.

٥- هو الأسلوب السابق نفسه، ولكن إذا كانت المتطوعة بالحمل هي زوجة ثانية للزوج صاحب النطفة.

حكمه: التحريم.

وقد منع المجمع الفقهي كل صور «الرحم الظئر» بل منع كل وسيلة من وسائل الإنجاب يدخل فيها طرف ثالث بين الزوجين، وذلك بالتبرع بالمني، أو البيضة، أو الجنين الجاهز (اللقيحة الجاهزة) أو الرحم، نص قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي رقم (٣/٤) بشأن «أطفال الأنابيب»:

«إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره الثالث بعمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية من ٨- ١٣ صفر ١٤٠٧هـ/ ١١ إلى ١٦ أكتوبر ١٩٨٦م، بعد استعراضه لموضوع التلقيح الصناعي- أطفال الأنابيب- وذلك بالاطلاع على البحوث المقدمة والاستماع لشرح الخبراء والأطباء. وبعد التداول، تبين للمجلس:

أن طرق التلقيح الصناعي المعروفة في هذه الأيام هي سبع:

الأولى: أن يجري تلقيح بين نطفة مأخوذة من زوج، وبويضة مأخوذة من امرأة ليست زوجته، ثم تزرع اللقيحة في رحم زوجته.

الثانية: أن يجري التلقيح بين نطفة رجل غير الزوج، وبويضة الزوجة، ثم تزرع تلك اللقيحة في رحم الزوجة.

الثالثة: أن يجري تلقيح خارجي بين بذرتي زوجين، ثم تزرع اللقيحة في رحم امرأة متطوعة بحملها.

الرابعة: أن يجري تلقيح خارجي بين بذرتي رجل أجنبي وبويضة امرأة أجنبية، وتزرع اللقيحة في رحم الزوجة.

الخامسة: أن يجري تلقيح خارجي بين بذرتي زوجين، ثم تزرع اللقيحة في رحم الزوجة الأخرى.

السادسة: أن تؤخذ نطفة من زوج وبويضة من زوجته، ويتم التلقيح خارجيا، ثم تزرع اللقيحة في رحم الزوجة.

السابعة: أن تؤخذ بذرة الزوج وتحقن في الموضع المناسب من مهبل زوجته أو رحمها تلقيحًا داخليًا.

وقرر: أن الطرق الخمس الأولى كلها محرمة شرعًا، وممنوعة منعًا باتًا لذاتها، أو لما يترتب عليها من اختلاط الأنساب، وضياع الأمومة، وغير ذلك من المحاذير الشرعية.

أما الطريقان السادس والسابع فقد رأى مجلس المجمع أنه لا حرج من اللجوء إليهما عند الحاجة، مع التأكيد على ضرورة أخذ كل الاحتياطات اللازمة، والله أعلم»

هذا ما تيسر بيانه في هذه المسألة من فقه النوازل، والله أعلم بالصواب، وصلى الله تعالى على خير خلقه نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

١- انظر: فقه النوازل لبكر بن عبد الله أبي زيد (٢٦٢/١، ٢٦٣) الأحكام الطبية المتعلقة بالنساء للدكتور محمد خالد منصور (ص٨٢).
٣- انظر: أخلاقيات التلقيح الاصطناعي للدكتور البار (ص٤٩-٥٢).
٤-الطبيب أدبه وفقهه للسباعي والبار (٣٣٩-٣٤١).
٥-انظر: أخلاقيات التلقيح الاصطناعي ص(٤٤-٤٥).
٦-انظر: مجلة الإحياء المغربية (ع٩ ص١٢٩-١٣١).
٧- مجلة مجمع الفقه الإسلامي (ع٣ ص٤٥١-٤٦٨).
٨- الحلال والحرام للشيخ يوسف القرضاوي ص (٢٠٩).
٩- حكم نقل الأعضاء للدكتور عقيل العقيلي ص (٤٤-٥٣).
١٠- مجلة البحوث الفقهية المعاصرة ص (٥٨-٥٩).
١١- الاقتصاد الإسلامي للسالوس (٧٩٥/٢-٨١٠).

المفكر الإسلامي د.طه الدسوقي حبيشي لـ«الوعي الإسلامي»:

لا مقارنة بين الوسطية في الإسلام والتعصب المذهبي

حوار: صابر رمضان

د.طه الدسوقي حبيشي أستاذ ورئيس قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر الشريف وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وعضو الجمعية الفلسفية المصرية، من المثقفين المعاصرين، وجهوده في سبيل نصرة الإسلام والمسلمين مشهودة، تنم عن ذهن ثاقب وفكر عميق، فهو أحد فلاسفة الكلمة، وله مؤلفات عدة كلها تتميز بالدقة والإتقان، ومنها على سبيل المثال: «الإسلام واستمرار المؤامرة»، و«الصراع بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى»، و«الهجرة بين سنن الله الجارية وسننه الخارقة»، و«التيارات والمذاهب المعاصرة.. تحليل وردود»، و«الصفا والمروة.. التوسعة والحكم»، و«تأجير الأرحام بين اتجاهات العلم وحتمية الدين».. فهو مفكر جليل، منزلته العلمية عالية، بارع في الأداء، صاحب أسلوب فياض وعلم غزير، فاستحق عن جدارة أن يكون أحد علماء الإسلام، ومن ثم حاورناه في قضايا عدة ليكون هذا الحوار:

■ في ظل الأحداث الجسام التي مر بها الأمة الإسلامية الآن.. ما تقييمكم لواقع الأمة في الوقت الراهن؟ وكيف السبيل لتحقيق نهضتها؟

. يعيش العالم الإسلامي حالة مأساوية نتيجة مجموعة من الأسباب أدت إلى هذه الحالة، فالعالم الإسلامي لا يشبه غيره من العوالم التي تشاركه في سكن المعمورة، ذلك أن العوالم المختلفة قد حددت أهدافها سلفًا واتخذت الطرق المناسبة لتحقيق هذه الأهداف، أما المسلمون فقد تشرذمت بهم الأهداف وتقطعت بهم السبل، وأصبح كل واحد يعمل لحساب هدف يحدده لنفسه في أحسن الأحوال، أما الدول والجماعات فلا أرى لواحدة منها هدفًا تسعى إليه، وكانت النتيجة أن عاش المجتمع الإسلامي متشرذمًا وسط مجتمعات تسعى إلى التكتل، هذا ما أرصده بشكل إجمالي في واقع العالم الإسلامي، أما المخرج من هذا الواقع النكد فيتمثل في قول الله تعالى ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءًا فلا مرد له...﴾ (الرعد: ١١)، وفي إطار هذا النص الكريم فإن المجتمعات يحكمها قانون الاجتماع، كما يحكم المادة قانون الطبيعة، وكما تحكم الأحياء قوانين الأحياء، ولابد للمسلمين أن يتخذوا للاجتماع الصحيح أسبابه التي

الأمة تعاني انفصامًا بين طوائفها في مختلف التخصصات

تؤدي إليه، ومن أوائل هذه الأسباب تحديد الأهداف والعمل من أجلها، فلابد أن يكون للأمة هدف عام، ولابد أن تكون مؤسسات الدول جميعها بصيرة بهذا الهدف، ولابد أن تكون مخلصة لخدمته.

■ للإسلام «خصوصية حضارية» امتاز بها عن غيره من الأديان.. هل يمكن أن ندعو إلى إقامة حوار بين الحضارات الآن؟

– يصعب أن نفهم أن يكون هناك حوار بين الحضارات، خصوصًا إذا كان هذا الحوار مقصودًا به الحوار بين الأديان، فإذا كان الحوار معناه أن المتحاورين لن يلتقيا إلا إذا تنازل بعضهم عن بعض مواقفه ومبادئه ليقترب من وجهة النظر الأخرى أو يتنازل كل واحد منهما عن بعض ما عنده ليلتقيا الاثنان في منتصف الطريق، ففي جميع الحالات الحوار الديني غير ممكن، فالمسلم إن أراد أن يحاور غيره فلن يستجيب له الغير إلا في حالة واحدة، هي أن يتنازل المسلم عن بعض قضاياه ومبادئه ليلتقي الجميع عند وجهة النظر المخالفة، وهذا ليس من كلامي، وإنما هو تقرير قرآني، حيث قال تعالى من أول وهلة وفي عصر المبعث ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم...﴾ (البقرة: ١٢٠)، وهذه مسألة بالقطع قد حسم النقاش حولها، فإذا كانت المسألة تعني حوار الحضارات خارج منطقة أصول الدين، فإن قاعدة الترقي بين الحضارات بمفهوم علم الاجتماع، إنما هي مبدأ التراكم، فكل حضارة تالية تضيف للحضارة الأخرى بعض ما ينفع الإنسانية ويقدر له البقاء، وكل حضارة تليدة أو قديمة تطهر نفسها من الشوائب أثناء حركتها في التاريخ تمامًا.. هذه قضية لا يختلف عليها عقلان يبتغيان الحق وينشدان السلام.

■ هناك موجة خوف من الإسلام القادم ومن «الأصولية» تقودها دول الغرب.. تُرى لماذا هذا الخوف الآن من الإسلام؟

. الدين الإسلامي دين نظام على أساس من العدالة، بجميع أبعادها التي تقوم على ضبط المسيرة الاجتماعية ومنع الإنسان من أن يكون هدفًا لأخيه الإنسان، ومن هنا فقط كان الإسلام محققًا للفردوس الموعود على الأرض وفي الآخرة، وهذا لا يرضي كثيرين من الذين يريدون أن يأكلوا عظام الناس حتى النخاع، وأن يشربوا دماء الآخرين حتى الثمالة، وما كان للإسلام، باعتباره نظامًا، أن يترك هؤلاء الذين اعتبرناهم مصاصين للدماء، يعربدون في الدنيا كما يريدون، ولابد من الضرب على أيديهم وبقوة شديدة حتى يرى كل واحد منهم أن الإسلام يرعبه إذا تعدى حدود الخط الأحمر في مجال احترام حرية الإنسان وكرامته، وكان التعبير الإسلامي ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ (الأنفال: ٦٠)، ويجمع الله هدف المسلم خلف نبيه في سورة الفتح ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ (الفتح: ٢٩)، ومن هنا فقط اعتبر مصاصو الدماء الإسلام إرهابًا،

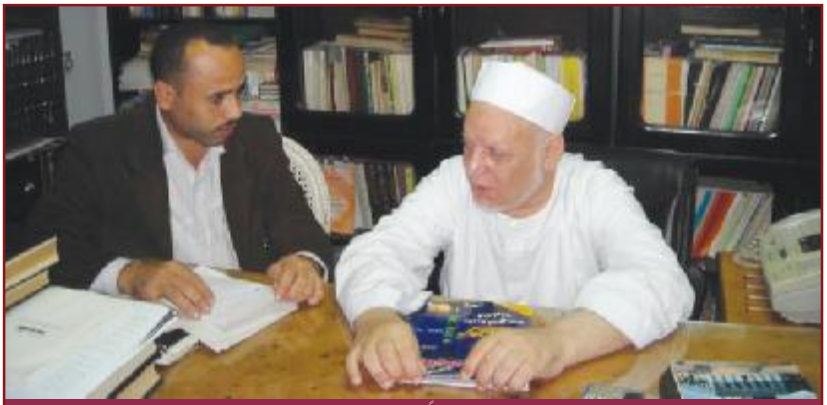

د. طه متحدثاً إلى «الوعي الإسلامي»

وأطلقوا عليه أسماء، وعلى أصحابه صفات، ربما كانت هذه الأسماء وتلك الصفات لا تعني شيئًا سوى ظلال الكرامة لمعتنقي هذا الدين، ولكن هذه الأسماء قد ارتبطت في الغرب بظلال النذالة والاعتداء، وبظلال القنص ومحاربة الحريات، فنقلوها بظلالها في غفلة من المسلمين إلى المجتمع المسلم من نحو الأصولية والإرهاب وغيرهما.

■ الجهاد بالمعنى الديني أو الإسلامي بات فيه لغط شديد، والتبس الأمر بين الدعوة بالحسنى والتطرف والإرهاب، ما رؤيتكم لهذا؟ وكيف نوضح الصورة للغرب؟

. في الفقه الإسلامي ألفاظ هي بمنزلة المصطلحات، لها مدلولاتها التي يعرفها علماء الدين والقائمون عليه، ومن هذه الألفاظ «الجهاد»، ونحن نرى الإسلام يستعمل كلمة الجهاد في كثير من آياته، وهي كلمة لغوية معروفة في لغة العرب، والجهاد هو حمل النفس على بذل الطاقة والجهد فيما رسمه الإسلام من مجالات تحتاج إلى بذل الطاقة والجهد، فالإنسان المسلم مطلوب منه أن يجاهد لسد حاجة المجتمع في مجالات العلوم المختلفة، كالطب والهندسة وعلوم الاقتصاد وعلوم الدين... إلى آخره، ومن بين الجهاد ما يطالب الإسلام به الجماعة المسلمة من الحفاظ على حدودها السياسية وعلى مقدساتها الدينية وعلى ثرواتها وعلى شخصيتها المتميزة، فإن اعتدى عليها أحد في جانب من هذه الجوانب وجب على الأمة أن تهُبَّ أفرادًا وجماعات لإثبات وجودها بين الناس، فإن لم تفعل ضرب الله عليها بالذلة وأحاطها بالمسكنة ووضعها في آخر القائمة الوجودية إن بقي لها في آخر القائمة محل، وهذا المفهوم الأخير من مفاهيم الجهاد خصه الله بمصطلح القتال، والقتال في الأمة الإسلامية ليس هدفًا في ذاته، وإنما هو وسيلة إلى هدف بخلافه في الأمم السالفة أو المعاصرة، حيث أصبح عند هؤلاء وهؤلاء هدفًا بذاته فيما يعرف عندهم بالتطهير العرقي أو الاجتثاث النوعي، وهم يعملون إلى هدف ملخصه أن الدنيا كلها قد أصبحت على فساد إلا من ينتمي إلى معتقداتهم، وعلى الدنيا كلها أن تسلم قيادها إليهم في معركة زعموا أن الله قد وعدهم بها، وبأن يسلم لهم الأرض، وهو مفهوم القيامة كما يقولون، إن الجهاد في الإسلام له هذا المفهوم الواسع الذي بعضه القتال، وليس القتال هدفًا في ذاته.

أحيانًا يصيب الإنسان خلل في عقيدته وينحرف عن الصراط المستقيم فيصيبه الله بصدمة كونية حتى يفيء إلى أمر الله، فما تفسيركم لهذا؟

. الإنسان يصاب بالفتور والانحراف، وقد يكون هذا الفتور والانحراف في العقيدة، فيكون صاحبها كافرًا أو مشركًا، وقد يكون الفتور في الشريعة وأداء بعض ما يجب عليه أداؤه من تكليفات الشرع له، ويسمى صاحب هذا الفتور عاصيًا، وفي الحالتين فإن الله عز وجل لا يفاجئه بالعقوبة، وإنما يصدمه صدمات لعله يفيق ويلتفت إلى الحق، والصدمات تدور حول نقطتين، الخوف والجوع أو بعبارة أخرى «الأمن والاقتصاد»، والله عز وجل إن أراد أن يصدم المقصر حتى يستقيم ينتقص من هذين الأمرين بالنسبة للفرد أوالجماعة، قال تعالى: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقصٍ من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾ (البقرة: ١٥٥)، فإذا عاد الإنسان إلى ربه تاب ربه عليه وقبله إنسانًا مستقيمًا، وإذا لم يعد تحولت هذه الصدمات إلى تدمير.

■ «تجديد الخطاب الديني» قضية شائكة شغلت الساحة الدينية اليوم.. ما رأي فضيلتكم فيها؟

. إن كان المقصود بتجديد الخطاب الديني هو التجديد في المنهج والأدوات في كل عصر فلا بأس، أما إن كان المقصود بتجديد الخطاب الديني طرح بعض الأمور الجوهرية من الدين كرصيد الأمة من التفسير، ورصيدها من الفقه وأصوله، ورصيدها من السنة المنضبطة على منهج قويم، ورصيدها من القرآن الكريم في سوره المدنية، ورصيد الأمة من هذا القرآن الذي يحتفظ بكلام الله وألفاظه المقدسة، إن كان القصد طرح هذه الأمور فأرجو من رجال الأمة الغيورين أن يقفوا في وجه هذا التيار، لأن فيه محاولة أولًا لصرف الأمة عن دينها وثانيًا لتفريغ النصوص الدينية من محتواها، حتى تبقى نوعًا من الشقشقة الفارغة التي لا تحوي معنى ولا يُرجى منها تأثير.

■ التعصب المذهبي يتنافى مع وسطية الإسلام.. كيف ترون ذلك؟

. لا مقارنة بين الوسطية في الإسلام والتعصب المذهبي، فالوسطية تعني أن الإسلام لا يميل إلى التفريط، كما لا يميل إلى الإفراط، أما التعصب المذهبي، فهذا أمر آخر يعني فيما يعني أن الإنسان يلتزم بمذهب واحد في أداء الشريعة وممارسة العبادة لله، والتعصب المذهبي يعني فيما يعني أن الإنسان يأبى على الآخرين أن يخالفوا مذهبه، أما أن يكون الإنسان ملتزمًا بمذهب يعبد الله على أساس من آراء أصحابه، فهذا يكون أمرًا حسنًا عند إنسان ليست لديه القدرة على الاطلاع والموازنة، وإن كان الإنسان عالمًا وقادرًا على الاستيعاب والموازنة وتحقيق الأدلة فإن أصحاب المذاهب أنفسهم لا يقرون له أن يكون مقلدًا لهم، أما هذا الذي يريد أن يحمل الناس على مذهبه هو، ويحكم عليهم بأحكام لا يجوز أن يحكم عليهم بها، فإن هذا النوع من البشر يجب أن نأخذ على يديه، لأنه يخالف الاتجاه العام في الإسلام، خاصة في هذه المسائل التي تكون من الفروع ويكون الدليل فيها مقصودًا إليه، ألا يكون محددًا باتجاه معين؟

عبادة السيد نوح nooh22@hotmail.com

الحقيقة الغائبة

لقد حبا الله سبحانه وتعالى أمة خير الخلق سيدنا محمد ﷺ بالموارد البشرية والمقدرات المادية والموقع الجغرافي المميز والمنهج الرصين الذي لا يأتيه الباطل، والقدوة السلوكية، وبالرغم من ذلك نجد أننا نتراجع عن مصاف الريادة والاستاذية في العالم.. فأين المشكلة؟

لاشك أن معيار القوة اليوم يقاس بالامكانات العسكرية والقدرات العلمية البحتة والوسائل التقنية الحديثة، وهذا بالنسبة لأمة الإسلام مختف أو شبه منعدم لظروف تتعلق بالمسلمين أنفسهم وليس بالإسلام.

إن الواقع يبيِّن أن الأمة مريضة بالأمراض الدنيوية من شهوات المناصب والمظاهر والشعارات، وشبهات الإلحاد والكفر والزندقة والنفاق، ولكن الحقيقة اليقينية للعلاج موجودة بين أيدينا ونحن عنها غافلون.

فنحن أمة قوية بعقيدتها وأخلاقها وعباداتها وأعمالها وإتقانها ومنهجها، وهذا ما نحن في حاجة ماسة له بالوقت الراهن لاستعادة مكانة الأمة الرائدة ورسالتها الانسانية.

إذن ينقصنا تطبيق الإسلام، فكيف تقوم للإسلام قامة وهو لم يقم في نفوس أتباعه؟!

ينبغي على كل مسلم غيور يسعى بكل جدية الى خدمة دينه ووطنه ونفسه أن يكون خلقه حسنا، وسلوكه ربانيا، وقلبه خاشعا، ونفسه راضية مطمئنة، كذلك يجب فهم حقيقة النجاح في الدنيا والأخرة، حيث تتمثل في تحقيق الأثر الطيب والتغيير الايجابي في منظومة الحياة.

فالصحوة التي ظهرت أواخر السبعينيات من القرن الماضي لابد أن تظل مستديمة، بالاضافة الى اهمية توسيع دائرة انتشارها من المحيط الإسلامي الى المحيط الانساني، لأن أساس رسالة الإسلام انسانية بحتة.

ومسلم اليوم مطالب بالموازنة بين الروح والمادة، والجمع بين الأخلاق والقوة، والتسلح بالعلم والعمل، خاصة أن الإسلام لم يتقدم أو يتأخر وإنما الأدوات والوسائل هي التي تتقدم وتحول صانعها الى خادمها.

وإذا تحرر الإنسان واستعاد كرامته وخرج من عبادة العباد الى عبادة رب العباد، وصارت القيم الانسانية هي الاساس الذي تقوم عليه المجتمعات لعادت حضارة الإسلام مرة أخرى وحررت البشرية من غول المادية.

وكما قال المؤرخ د.عبدالعظيم الديب - يرحمه الله - التاريخ هو ذاكرة الأمة، والذاكرة للأمة كالذاكرة للفرد تمامًا، بها تعي الأمة ماضيها، وتفسر حاضرها، وتستشرف مستقبلها.

لهذا نجد ان استنطاق التاريخ يوضح ان الحضارة الاسلامية لن ينطفئ نورها ابدًا، فقد تضعف، وقد تمرض، ولكنها قابلة في كل زمان ومكان أن تستعيد بريقها ورونقها إذا أخذت بالأسباب المتاحة.

ولعل بشارة الرسول ﷺ بأنه «لاتزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتي يأتي امر الله، وهم ظاهرون على الناس» (رواه الشيخان) متحققة لا محالة، وها هي على الطريق تسير شيئًا فشيئًا لاستعادة الخلافة من جديد على منهج النبوة، لذا يجب ان نصلح أنفسنا وندعو غيرنا ونتحمل في سبيل الله كل ما يصيبنا، لأن البشارات لا تتحقق الا بالعمل بالرغم من أنها تطمئن النفس بقدر الله مصداقًا لقوله تعالى ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾.

أخيرًا: العامل الرئيسي في تقدم الإسلام والمسلمين هو الالتزام بالإسلام ذاته، وأن التفريط في ذلك أدى الى تأخرنا، وليعلم المسلم أن الطريق مليء بالأشواك، ولكن بالايمان والوعي والصبر والاصرار والثبات، سيحقق غايته.

ونختم بقول أحد الصالحين «من أراد أن يعمل لدينه واجه المصاعب، ولكنه سيحيا كبيرًا ويموت كبيرًا» فليكن شعارنا «الحياة أو الموت في سبيل الله». والله ولي التوفيق.

الموهوبون.. مكانة وريادة

من نعم الله تعالى على الإنسان أنْ فضّله على غيره بالبيان والعقل والعلم واعتدال الخلق. ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء: ٧٠)، ونعمة العقل من أجل هذه النعم، فبه يفرق الإنسان بين الأشياء، ويعرف خواصها ومنافعها ومضارّها، وذلك في الأمور الدينية والدنيوية، ويتساوى في هذه النعمة بنو الإنسان، ولكن هناك صفوة اختصها الله بملكة التفوق والتميّز في مجال أو أكثر من مجالات الحياة، وإذا وُجدت هذه الصفوة من المتفوقين، وكملت العناية والرعاية بهم، برز منهم المبدعون والمبتكرون والموهوبون.

وملكة التميّز هذه تبدأ مع بداية الحياة كاستعداد كامل أو إمكانية محتملة تنمو وتنضج مع نمو الفرد في مراحل حياته الأولى، إلى أن تصل إلى مراتب عالية من الابتكار والإبداع، ولقد جاء في بعض الدراسات أنّ «الطفل الموهوب يعدّ ثروة وطنية، وكنزًا لأمته وعاملاً من عوامل نهضة مجتمعه في مجالات الحياة العلمية والمهنية والفنية، ومن ثمّ فإنّ استغلال قدراته استغلالاً تربويًا يعد ضرورة حتمية»، «فالموهوبون والمتميزون في أغلب المجتمعات هم الذين تقوم على كواهلهم نهضتها، فهم عقولها المدبرة، وقلوبها الواعية، وواضعو الأهداف وراسمو خطط تحقيق تلك الأهداف».

والمجتمعات المتقدمة اليوم تسعى بكل قدراتها في الكشف عن المتفوقين والموهوبين والمبدعين ورعايتهم، حيث أدركت أنّ قدراتها إنّما تعلو بموهوبيها ومبدعيها، وأنّها تتقدم على غيرها بعقول علمائها ومفكريها ومخترعيها، وهذه مُسلّمة بَدَهيّة لا تحتاج إلى تأكيد، فالثروة البشرية أفضل نفعًا وأعم فائدة، وأكثر عائدًا من جميع الثروات المادية الأخرى إذا ما ارتقى إعدادها، وأحسن استغلالها.

من أجل ذلك كله كان لزامًا على الأمة الحفاظ على هذه الثروة العظيمة وعدم تبديدها بالإهمال وانعدام الرعاية؛ إذ إنّ هؤلاء الموهوبين هم الذين يملكون مفتاح التغيير إلى الأفضل والأرقى في سبيل نهضة الأمة الدينية والدنيوية.

وكما جاء على لسان بعض المهتمين بالموهبة والإبداع أنّ «الاهتمام بالمتفوقين والموهوبين لا يقتصر على توفير البرامج التربوية والتعليمية التي تهتم بتنمية قدراتهم العقلية والذهنية، ولا يقتصرعلى سن القوانين والأنظمة التي تنظم حياتهم وتسهل التعامل معهم، بل إنه يتعدى ذلك إلى رعايتهم نفسيًا وجسميًا واجتماعيًا، ووضع البرامج الإرشادية والتوجيهية التي تضمن لهم نموًا نفسيًا وجسميًا واجتماعيًا متكاملا يحقق الشخصية السوية المتكاملة في جميع جوانبها».

إعداد : التحرير

سعة الأفق.. طريقك للنجاح

د.خالد سعد النجار

في امتحان الفيزياء في جامعة كوبنهاجن بالدانمرك جاء أحد أسئلة الامتحان كالتالي :كيف تحدد ارتفاع ناطحة سحاب باستخدام البارومیتر (جهاز قياس الضغط الجوي)؟ الإجابة الصحيحة: بقياس الفرق بين الضغط الجوي على سطح الأرض وعلى سطح ناطحة السحاب.

إحدى الإجابات استفزت أستاذ الفيزياء، وجعلته يقرر رسوب صاحب الإجابة دون قراءة باقي إجاباته عن الأسئلة الأخرى.

الإجابة المستفزة هي: أربط البارومیتر بحبل طويل، وأدلي الخيط من أعلى ناطحة السحاب حتى يمس البارومیتر الأرض، ثم أقيس طول الخيط!! غضب أستاذ المادة لأن الطالب قاس له ارتفاع الناطحة بأسلوب بدائي ليس له علاقة بالبارومیتر أو بالفيزياء من أساسه.

تظلم الطالب مؤكدًا أن إجابته صحيحة ١٠٠٪، وحسب قوانين الجامعة عين خبير للبت في القضية، أفاد تقرير الحكم بأن إجابة الطالب صحيحة، لكنها لا تدل على معرفته بمادة الفيزياء، وتقرر إعطاء الطالب فرصة أخرى لإثبات معرفته العلمية، ثم طرح عليه الحكم نفس السؤال شفهيًا.. فكر الطالب قليلا وقال: لدي إجابات كثيرة لقياس ارتفاع الناطحة ولا أدري أيها أختار. فقال الحكم: هات كل ما عندك. فأجاب الطالب: يمكن إلقاء البارومیتر من أعلى ناطحة السحاب على الأرض، ويقاس الزمن الذي يستغرقه البارومیتر حتى يصل إلى الأرض، وبالتالي يمكن حساب ارتفاع الناطحة باستخدام قانون الجاذبية الأرضية.

إذا كانت الشمس مشرقة، يمكن قياس طول ظل البارومیتر وطول ظل ناطحة السحاب، فنعرف ارتفاع الناطحة من قانون التناسب بين الطولين وبين الظلين.

إذا أردنا حلا سريعًا يريح عقولنا، فإن أفضل طريقة لقياس ارتفاع الناطحة باستخدام البارومیتر، هي أن نقول لحارس الناطحة: سنعطيك هذا البارومیتر الجديد هدية إذا قلت لنا كم يبلغ ارتفاع هذه الناطحة؟

أما إذا أردنا تعقيد الأمور فسنحسب ارتفاع الناطحة بواسطة الفرق بين الضغط الجوي على سطح الأرض وأعلى ناطحة السحاب باستخدام البارومیتر.

كان الحكم ينتظر الإجابة الرابعة التي تدل على فهم الطالب لمادة الفيزياء، بينما الطالب يعتقد أن الإجابة الرابعة هي أسوأ الإجابات لأنها أصعبها وأكثرها تعقيدًا.

بقي أن نقول: إن اسم هذا الطالب هو «نيلز بور» وهو لم ينجح فقط في مادة الفيزياء، بل إنه الدانمركي الوحيد الذي حاز جائزة نوبل في الفيزياء.

سعة الأفق

هو تعبير مستخدم في مختلف عناصر الحياة النظرية والعملية باعتباره حاجة وضرورة، ويمكن سحبه على الأمور العظيمة كما يمكن سحبه على الأمور المتواضعة.

وتعني سعة الأفق: القدرة الهائلة على تحليل الأمور، وفرز الإيجابيات من السلبيات، وتحديد كل منهما بوضوح.

المتميزون هم أوسع الناس أفقًا، وأبعدهم نظرًا، وأعمقهم فكرًا واستيعابًا، وأكثرهم مرونة وانفتاحًا وتحسسًا للمُمكن وغير المُمكن، وأحرصهم على السبق في اتخاذ القرارات المناسبة وتحديد مسارات التنفيذ المُلائمة، وأرحبهم بالخلاف صدرًا، وأكثرهم للمعاذير التماسًا.. وهم لا يأنفون من سماع الحق، ولا تحرج صدورهم من قبوله، ولا يستنكفون من الرجوع إليه والأخذ به.

ثم إنهم لا يُلزمون الناس باجتهاداتهم، ولا يضللون كل من خالفهم، ولا تضيق أعطانهم في الأمور الاجتهادية التي تختلف فيها أفهام الناس.

ومن مظاهر سعة الأفق لديهم بعدهم عن التعصب المقيت، والتقليد الأعمى، والحزبية الضيقة.

وبعبارة أخرى فإن «سعة الأفق» هي النظر إلى الأمور بدائرة واسعة، تُؤخذ فيها جميع العوامل المُؤثرة في القضايا المطروحة من جهة، ويُؤخذ فيها عامل الزمن وآفاق المستقبل في الاعتبار من جهة أخرى، ويُضاف إلى ذلك أن سعة الأفق تتطلب مرونة في العمل تستجيب للمتغيرات وتجدد المعطيات.

ومما يمهد الطريق لسعة الأفق:

الحرص على العلم النافع، كي تتكامل المعارف وتتسع المدارك، فتنمو ملكة الفهم الدقيق التي تجنب صاحبها الشبهات والشهوات، كما أن العلم هو الطريق لبناء العقل

باحث أكاديمي

وجودة الفكر، وكما قيل: العلم هو حياة القلوب، ونور البصائر، وشفاء الصدور، ورياض العقول، ولذة الأرواح، وأنس المستوحشين، ودليل المتحيرين.. به يعرف الله ويُعبد، وهو الصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والأنيس في الوحشة.

الاهتمام بسعة الثقافة وثرائها، حيث يهيئ التنوع الثقافي السبل لصناعة عقول متحررة من قوالب التكرار ومساوئ الاستنساخ، محلقة في رحابة التجديد، والتواصل الإيجابي بين المرء ومن حوله.

كثرة محاورة ومجالسة أهل العلم والرأي؛ فبالحوار العلمي الجاد تتسع مدارك الإنسان، ويقف على أشياء قد لا تخطر بباله على الإطلاق، وقديمًا قال عمر بن عبدالعزيز: «إني وجدتُ لقاء الرجال تلقيحًا لألبابهم». وقال الزهري: «العلم خزائن ومفاتيحها السؤال». وقال أيوب السختياني: «إنّك لا تعرف خطأ معلمك حتى تجالس غيره». ولهذا كان السلف يحثون طالب العلم على الرحلة والسفر لملاقاة العلماء واكتساب مختلف أنواع العلوم والمعارف، وفي هذا

سعة الأفق» هي النظر إلى الأمور بدائرة واسعة، تُؤخذ فيها جميع العوامل المؤثرة في القضايا المطروحة

يقول ابن خلدون: «على كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها».

الوعي الجيد بمُراقبة ما يجري من حولنا والسعي إلى فهمه واستيعابه، وإدخاله إلى دائرة الخبرة الشخصية، وتوظيف هذا الفهم وتلك الخبرة في التصرفات واتخاذ القرارات.. إن هذا الوعي يُعطي للمرء مُنطلقًا لأداء العمل على أفضل وجه مُمكن، وتحقيق النجاح المنشود بإذن الله تعالى.

الجدية في تناول الأمور والبعد عن لغة الاستهتار، مع الالتزام بالمبادئ الأخلاقية، ورفض مبدأ «الغاية تبرر الوسيلة»، ففي الالتزام بهذه الصفات راحة للضمير، تجعل الإنسان أكثر قدرة على التفكير والاستيعاب بموضوعية حقيقية بعيدة عن الانحراف، وفيه أيضًا سمعة طيبة وثقة يكتسبها الإنسان بين أقرانه، وقبل كُل ذلك وبعده، تحوز هذه الصفات على رضا رب العالمين جل جلاله، ومن ثم يأتي توفيقه وعونه ومدده للعبد في كل أحواله وتقلباته.

التحرر من التقليد الأعمى بكل صوره وأشكاله؛ فهو يستفيد من أشياخه وأقرانه وأصحابه وغيرهم، ثم ينطلق بفكره الحرّ يتلمّس مختلف السبل بعقلية ناضجة مستقلة؛ وليس كل الناس يقوى على ذلك؛ فأصحاب الفكر الحر هم المعادن الكريمة النادرة، وهم القادرون على توجيه الأمة، وهم غير عامة الناس، وبين هؤلاء وأولئك فئام من الناس أخذوا من كل فريق بطرف.

تجنب الغرور، فنظرة المغرور إلى نفسه غير متوازنة، ففي الوقت الذي ينظر إلى نفسه بإكبار ومغالاة، تراه ينظر إلى غيره باستصغار وإجحاف، فلا نظرته إلى نفسه صحيحة ولا نظرته إلى غيره سليمة، الغرور تضخم للذات، حيث يرى الشخص نفسه أنه هو الأعلم، وهو دومًا على صواب، والبقية مجرد جهلة لا يفقهون من أمور حياتهم شيئًا.. الغرور بداية النهاية كما قرر ذلك كافة المفكرين والعقلاء، لأنه يغلق منافذ الفكر، ويحجب المرء عن الاستفادة من تجارب الآخرين، وتسفيه خبراتهم وآرائهم، وكما قال فرانك ليهي: «الغرور هو المخدر الذي يسكن آلام الغباء».

الصفر اختراع إسلامي

الصفر شيء كبير، فمنذ اكتشفه واخترعه عالمنا المسلم: محمد بن موسى الخوارزمي، حدث تحول كبير في الحساب، بل في الحياة كلها، فما قيمة الحساب كله، والعلوم، والحضارة، وعلوم الفضاء، دون صفر ومن دون هذا الحساب العشري الذي يتعلق به، والذي تتعلمه أنت اليوم في المدارس.

وحين عرف أهل أوروبا الصفر دهشوا به، وعجبوا، ونقلوه الى بلادهم عن طريق الجزائر، ولكنهم نقلوا «الصفر الغباري» أي المستدير (٠)، وكان عالمنا الخوازمي قد جعل أرقامًا بشكلين: (٠، ١، ٢، ٣...) و(...٣، ٢، ١، ٠) فالسلسلة الثانية تسمى الأرقام الغبارية، وكانت شائعة في المغرب العربي، ومنها انتقلت الى أوروبا، فلما عرف الغربيون الصفر وضعوا بلغتهم اللاتينية نشيدًا على لسانه، يقول فيه كلامًا جميلًا يدل على قيمته، وقد ترجمنا لك هذا الكلام الذي يقوله الصفر، الى العربية الأم، فاسمعوا ما يقوله الصفر:

انتبه لي يا رفيق
إنني الصفر الطليق
ليس بي نطق ولكن
أنا في العلم عميق
مستدير متكامل
لصلاح المتعامل
عن يمين أنا هائل
ويسار أنا خامل

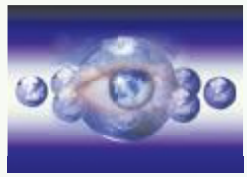

كيف ننمي الابتكار والموهبة لدى أطفالنا؟

وفيق صفوت مختار

حظى الابتكار في السنوات الأخيرة باهتمام كبير من علماء التربية وعلم النفس، فالابتكار في أرفع مستوياته ربما يكون من أهم الصفات الإنسانية المؤثرة في تغيير التاريخ وإعادة تشكيل العالم، حيث إن أي مجتمع لا يمكنه أن يتغير بسهولة تغيرًا جذريًا بناء على التخطيط فحسب، بل إن أعضاء المجتمع مدينون للابتكار الذي ترجع إليه الديناميكية الداخلية لمجتمعاتهم. ولقد نبع الاهتمام الجديد بمجال الابتكار من أهمية هذا الموضوع في عقود انفجرت فيها المعلومات انفجارًا عظيمًا، وانتشرت فيها وسائل التقانة انتشارًا منقطع النظير، وأضحى انتاج الشيء الجديد المبتكر هو الضمان الأساسي للترجيح والمفاضلة.

لقد زادت أهمية الابتكار بسبب المنافسة الشديدة بين الشعوب والمجتمعات في مجال العلم والتكنولوجيا من حيث إن الإبتكار يضمن تقدم هذه الشعوب والمجتمعات وبقاءها نشطة قوية صلبة.

ماهية الابتكار

بعيدًا عن النظريات الأكاديمية التي راحت تفسر الابتكار، وتحدد ماهيته، يمكننا تقديم تعريف للابتكار في أوسع معانيه كالتالي: هو تحطيم القوالب الموجودة، أو الخروج عن المألوف، أو كسر قيود الفكر المفروضة على الفرد، أو ارتياد طريق آخر غير الطريق الذي يسلكه الآخرون، أو الانفتاح على خبرات الآخرين، أو المباشرة بأول خطوة نحو المجهول، أو وضع فكر جديد، أو طرح بدائل مختلفة لمشكلة معروضة، أو إيجاد شيء جديد يؤدي إلى إيجاد أشياء أخرى، أو التوصل إلى إيجاد علاقات جديدة بين الأفكار المطروحة، أو طرح فكرة جديدة، أو إيجاد وسيلة أو طريقة غير معروفة سابقًا، أو ارتياد مكان جديد، أو كشف شيء لم يسبق إليه أحد، أو اختراع آلة أو جهاز جديد يفيد الإنسان.

الذكاء أحد العوامل والخصائص التي يتميز بها الشخص المبتكر

وقد حدد عالم النفس «ويليامز» جوانب عدة يتكون منها الابتكار وهي:

الطاقة، وتعني القدرة على إنتاج عدد كبير من الأفكار أو الأسئلة.

المرونة: وتعني القدرة على إنتاج عدد كبير ومتنوع من الأفكار، والتحول من نوع معين من الفكر إلى نوع آخر.

الأصالة، وهي القدرة على التفكير بطريقة جديدة أو التعبير الفريد، والقدرة على إنتاج الأفكار الماهرة أكثر من الأفكار الشائعة أو الواضحة.

مراحل عملية الابتكار

يعد «والاس» wallas من أوائل العلماء الذين وصفوا عملية الابتكار بأنها عبارة عن مراحل متباينة، تتولد أثناءها الفكرة الجديدة، وهي كالتالي:

الإعداد preparation: وتتضمن البحث الدقيق للمشكلة بالقراءة والتجربة.

الكمون Incubation: وتتضمن هضمًا أو تمثيلًا عقليًا، شعوريًا ولا شعوريًا، وامتصاصًا لكل المعلومات المكتسبة الملائمة.

الإشراف luvmination: وتتضمن انبثاق «شرارة الإبداع»، أي اللحظة التي تولد فيها الفكرة الجديدة.

التحقيق verification: وتتضمن الاختبار التجريبي للفكرة المبتكرة.

وبينما يمكن تمييز المراحل الأربع، إلا أن «والاس» لاحظ أنها لا تحدث إلا إذا أثارت الفرد مشكلة ما، وما يترتب على ذلك من محاولات لإيجاد الحل.

صفات المبتكر

المبتكر شخص مرتفع الذكاء، له من الصفات الانفعالية والاجتماعية ما يساعده على عدم الرضوخ لما موجود فعلًا في مجاله، ويساعده على الوصول إلى ما هو جديد.

ويتميز المبتكر عن غيره بأنه يكون ملاحظًا جيدًا، ومدققًا في الأمر أكثر من غيره، ومتأملًا ومتفحصًا دقيقًا، فما يراه هذا المبتكر لا يراه غيره، وينتبه لما لا ينتبه له أحد، وما لا يثير غيره يثيره هو، وتكون عيون قلبه مفتوحة، ويتبصر بها ما لا يتبصره الآخرون، ويظهر حساسية أكثر من غيره، فالمبتكر هو الملاحظ الجيد لما يتلقاه من البيئة من مثيرات، وهو المدقق والمتفحص فيما يلاحظه من مثيرات، والمستجيب لما يتفحص ويدقق من مثيرات مهما كانت قيمتها الظاهرية تبدو لغيره بسيطة وتافهة.

ومن صفاتهم الشخصية التي أظهرتها مختلف الدراسات الاكتفاء الذاتي، تأكيد الذات، المثابرة، العمل الشاق، الاعتماد على النفس. ويضيف «كاتل» إلى هذه الصفات أنهم: مثبطون، متحفظون، بارزون، أو مكبوتون، جديون، صموتون.

تنمية الابتكار لدى الطفل

● الذكاء أحد العوامل والخصائص التي يتميز بها الشخص المبتكر، إذ أن كل مبتكر هو بالضرورة ذكي، وليس كل ذكي مبتكرًا، حيث إن التفكير المبتكر تفكير منطلق متعدد الأبعاد، أما الفرد الذكي فإن تفكيره ذو عامل أحادي يقف خلف معظم أساليب النشاط العقلي.

وبما أن التقدم الحضاري والتقني الذي نعيشه اليوم ما هو إلا نتاج لهؤلاء الأفراد المبتكرين،

كاتب مصري

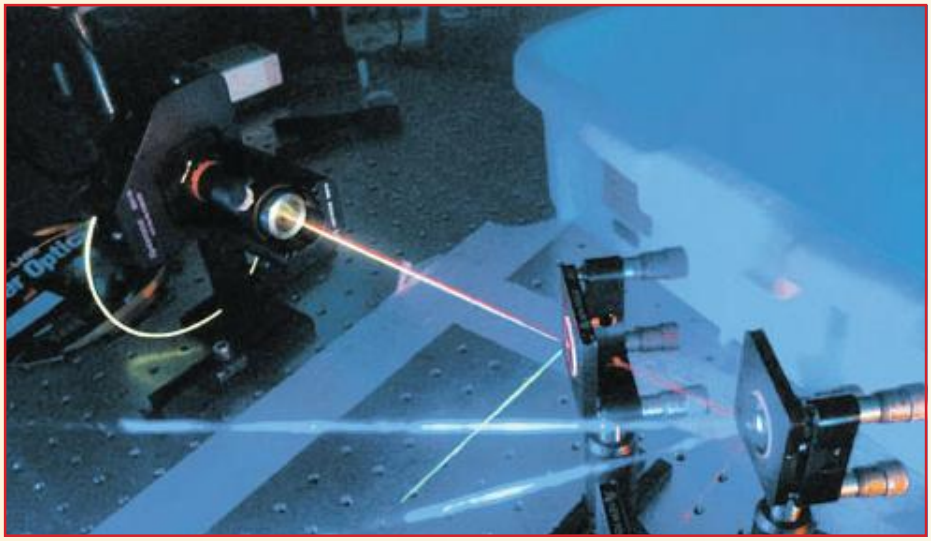

لذا ينبغي الاهتمام بأبناء الجيل الصاعد من حيث التربية، وطرق التدريس، وأساليب التقويم، والبيئة الاجتماعية، ليساهموا في بناء الحضارة الإنسانية.

● توفير المثيرات الكثيرة في البيئة التي يعيش بكنفها الطفل، فقلة المثيرات تؤدي إلى حرمان الطفل من كثير من الخبرات التي قد تكون سببًا في إثارة الابتكار لديه، أما الزيادة في المثيرات فإنها رهينة بإثارة الابتكار لديه.

● تزيين غرفة الطفل بالصور والمناظر الطبيعية وخاصة من تلك الأنواع التي يمكن تغييرها باستمرار لتعريضة لمثيرات اخرى مختلفة.

● تنويع المثيرات التي يتعرض لها الطفل في البيئة التي يعيش فيها، فالتنويع يشمل الكتب والمجلات والصحف والأفلام والشرائح والاسطوانات والمسجلات.

● التوجه نحو استخدام التكنولوجيا الحديثة وخاصة جهاز الحاسب وشبكة المعلومات (الانترنت) لما فيهما من مثيرات غنية، ومتنوعة تنوعًا هائلًا، تشمل جميع ما يمكن أن يرغب الإنسان أن يطلع عليه.

● تدريب الصغار منذ نعومة أظفارهم على تلخيص الأفكار باستخدام ألفاظهم الخاصة، كأن تعطي لهم فقرات من كتابات معينة ويطلب منهم تلخيصها بشكل معين بطريقة فردية أو جماعية، وتوازن الملخصات بعضها ببعض، ويكافأ الجيد منها.

● تعويد التلاميذ منذ السنوات الأولى من المدرسة الابتدائية على التأمل والتفحص والتركيز الدقيق والتفكير العميق في موضوع معين لفترة قد تستغرق دقائق.

● تعويد الأطفال الصغار على تسجيل الملاحظات في دفتر خاص، عن كل ما يجدونه في الحياة اليومية أو كل ما يقرؤونه، ويكون الاحتفاظ بهذه الدفاتر ضروريًا طوال الحياة، كما أن إلقاء النظر في محتويات هذه الدفاتر بين فترة وأخرى يكون مفيدًا من زاوية الابتكار، من حيث إنها تشكل مثيرات، وتساعد على إيجاد علاقات جديدة بين المثيرات المختلفة.

● تعويد الأطفال على إنهاء واجباتهم البيتية قبل فترة مناسبة من الموعد المطلوب، ليصرف الوقت المتبقي للتفكير من أجل التطوير، وبعبارة أخرى تحتاج الأفكار إلى أن تمر من مرحلة ما يسمى بالاختمار، وفي اختمار الأفكار إبداع وابتكار.

● دعوة الطفل إلى أن يكون ملاحظًا ومراقبًا جيدًا لكل ما يحيط به، مع توجيه اسئلة إليه لكشف دقة انتباهه بعد زيارة متحف أو مسجد أو معرض.. إلخ.

● لعب الأطفال بالدمى أو العرائس أو الأطفال التي تحتاج إلى بناء وهدم، فك وتركيب، يثير لديهم الخيال ويكشف ابتكاراتهم.

● عدم ترك اسئلة الأطفال من دون إجابات مهما كانت ساذجة أو تافهة، والإجابة عنها بالشكل الذي يفهمونه، وإثارة اسئلة مستمرة وتوجيهها للأطفال، وخصوصا تلك الأسئلة التي تكون من النوع المفتوح لكي يتوجهوا إلى البحث والاستقصاء والدراسة المنظمة.

■ مصاحبة الأطفال في زيارة الأسواق والمعارض والمحال التجارية، وتفحص المعروضات المختلفة وما فيها من أشياء جديدة، ودراسة مزاياها وعيوبها وخصائصها.

■ توجيه الأطفال إلى الاحتكاك المباشر بالطبيعة وما فيها من سهول وهضاب وبحار وأنهار، وتوجيه انتباههم كذلك نحو السماء وما فيها من شمس وقمر ونجوم.

توجيه انتباه الأطفال نحو الحيوانات والطيور والنباتات وأهميتها الطبيعية في حياة الإنسان، كذلك توجيه انتباههم نحو المظاهر الطبيعية من رعد وبرق وسحب وأمطار ورياح .. إلخ.

المراجع

١- أنور طاهر رضا: كيف يُثار الابتكار لدى الصغار والكبار، مجلة الفيصل السعودية، دار الفيصل الثقافية، العدد: ٢٩٣.

٢- جواهر قناديلي: هل أنت مبتكر، مجلة المعرفة، السعودية، وزارة المعارف، العدد: ٦٧.

٣-حلمي المليجي: سيكولوجية الابتكار، ط٢، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٩م.

٤- عبدالسلام عبدالغفار: التفوق العلمي والابتكار، القاهرة: دار النهضة العربية، د.ت.

٥- محمود عبدالحليم منسي: الدافعية والابتكار لدى الأطفال، جدة- مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبدالعزيز، ١٩٨٧م.

٦- Engle t.l snellgrovel. Psychodogy :Its Principles and Application New york Harcourt Prace Jovenovich١٩٧٧.

قلم الحبر «القلم النباع» اختراع عربي إسلامي

القلم العربي وأثره في فضيلة الخط

صلاح عبدالستار الشهاوي

القلم صغير الرسم، نحيل الجسم، خفيف الحمل، جميل العلم، كبير العزم، طويل الجهد، قوي الواقع، سيف إذا سُلّ، غيث إذا همل، به تكتب المناجاة، وتمحى المعاناة، به يرسم الخيال، ويوضح الجمال، به يفرج عن المكروب، ويواصل المحبوب، يحتاجه الناس، وهو دائما رافع الرأس، فإذا نكس برأسه أينعت له رؤوس، فكتبه هو المحسوس، وهو يوجد في كل مكان، لأنه لا يستغني عنه إنسان، وهو الموثق، وهو المشوق، وهو المعوق، يبقى تأثيره إلى أجيال كثيرة.

والقلم ما يكتب به، قلم العود يقلمه قلما: قطع منه شيئا. ويقال: قَلَم القلم ونحوه: براه، وقَلَم الظفر: قص ما زاد منه، ومنه القلم لأنه يقطع شيء من طرفه ليسوى، فهو على وزن فَعَل بمعنى مفعول، مثل سلب وقدر، كما جاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم. والقلم أيضا يطلق على السهم أو القدح يجال بين القوم في القمار أو القُرعة، وجمعه أقلام وهو جمع قلة، وكثيرًا ما يستعمل في الكثرة. وفي المعجم الوجيز: القلم ما يكتب به، وقلم الحبر: قلم مداده مخزون لا يسيل على سنه إلا وقت الكتابة، وقلم الرصاص: قلم سنه من الجرافيت لا مداد له، ويقال جف القلم: قضي الأمر وأبرم. وعند الخطاطين: نوع من الخط يقال مثلا يكتب بخط النسخ، وفي اصطلاح الدواوين: قسم من أقسام الديوان، والجمع أقلام. والقلامة ما قطع من طرف الظفر أو الحافر أو العود، وقلامة الظفر: مَثَلٌ في القلة والحقارة، يقال: لم يُغنِ عني قلامة ظفر، والمقلمة: وعاء الأقلام.

ولقد تعددت مسميات القلم- الذي هو أداة الكتابة- فمنها المذبر أو المزير الذي يزير به، أي يكتب به، وقيل: اليراع، والمرقم، ولكن أكثر هذه التسميات شيوعًا القلم، وقد تعددت الآراء كذلك حول اشتقاق هذه التسمية، فقيل القلم؛ لأنه قُلِم أي قُطِعَ وسُوي كما يقلم الظفر، وكل عمود يقطع ويجز رأسه ويقلم بعلامة فهو قلم، وكذلك قيل للسهام أقلام، قال الله تعالى ﴿إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم﴾ (آل عمران: ٤٤) وكانت سهامًا مكتوبة عليها أسماؤهم. وذكر القلقشندي أنها سميت أقلاما لاستقامتها كالقداح، وقيل: هو مأخوذ من القُلام وهو شجر رخو، فلما ضارعه القلم سمي قلما.

وتكشف أقوال الحكماء والبارزين في التاريخ الإنساني كله عن منزلة القلم وأهميته، ويكفي أن نشير إلى أن أثره فضيلة الخط الذي هو لسان اليد، ورسول الضمير، ودليل الإرادة الناطق عن الخواطر، وسفير العقول، ووحي الفكر وسلاح المعرفة، ومحادثة الأخلاء على التنائي، وأنس الإخوان عند الفرقة، ومستودع الأسرار، وديوان الأمور، وترجمان القلوب، والمعبر عن النفوس، والمخبر عن الخواطر، ومورث الآخر مكارم الأول، والناقل إليه مآثر الماضي، والمخلد له حكمته وعلمه، والمسامر للعين بسر القلب، والمخاطب عن الناصت، والمجادل عن الساكت، والمفصح عن الأبكم، والمتكلم عن الأخرس.

يقول الجاحظ: ليس في الأرض أمة بها طرق (قوة) أو لها مسكةُ عقل، ولا جيل لهم قبضُ وبسط إلا ولهم خط، فأما أصحاب الملك والمملكة والسلطان والجباية والديانة والعبادة فهناك الكتاب المتقن، والحساب المحكم، وما يصل بين الكتاب والحساب هو القلم.

ويقول أيضا: إن اللسان لا يجري مجرى القلم ولا يشق غباره أو يتكلف بعد غايته، فأثره ضائع وحضوره مؤقت ومداه موصول بمدى الصوت الذي سرعان ما ينقطع، أما القلم فهو علامة الحضور المتصل، والزمان الممتد للكتابة.

قالوا في القلم

قال ابن المعتز: القلم يخدم الإرادة ولا يمل الاستزادة، يسكت واقفا، وينطق سائرا.

وقال ابن المقفع: القلم بريد القلب، يخبر بالخير وينظر بلا بصر.

وعن القلم يقول عبدالحميد الكاتب: القلم شجرة ثمرتها

باحث وكاتب صحفي

الألفاظ، والفكر بحر لؤلؤه الحكمة.

وقال العتابي: الأقلام مطايا الأذهان.

وقال سهل بن هارون: القلم أنف الضمير إذا رعف (تحرك)، أعلن أسراره وأبان آثاره.

وقال ابن أبي دؤاد: القلم سفير العقل ورسوله الأنبل ولسانه الأطول وترجمانه الأفضل.

وقال أيضًا: القلم سفير العقل ورسول الفكر وترجمان الذهن.

وقال أحمد بن صلاح: القلم لسان البصر، يناجيه بما استتر عن الأسماع إذا نسج حلله وأودعها حكمه.

وقال أيضا: عبرات الأقلام في خدود كتبها أحسن من عبرات الغواني في صحون خدودها.

وقال عمرو بن مسعدة: الأقلام مطايا الفطن.

وقال أحمد بن عبدالله: القلم راقد في الأفئدة مستيقظ في الأفواه.

وقال ابن ميثم: من جلال شأن القلم أنه لم يُكتب لله تعالى كتاب قط إلا به.

وقيل: عقول الرجال تحت أقلامها.

نال القلم اهتمام جميع الأمم منذ أن عرفت الكتابة، واختلفت أشكاله والمواد التي يصنع منها باختلاف المواد التي يكتب عليها، فكانت الأقلام تتخذ عند السومريين القدماء من أهل العراق من الحديد أو الخشب ليضغط بها على الطين لرسم الخطوط المسمارية، ومنها ما كان يكتب من الرأسين، وفي مصر كتب الفراعنة على الأحجار بأقلام الحديد، ونقشوا

ورد ذكر قلم الحبر في إحدى المخطوطات العربية التي تعود لزمن الدولة الفاطمية

أدق الصور، وكتبوا على البردي بقلم البوص أو الفرجون.

واستخدم العرب في الجاهلية القلم في التموين، وعندما كانت تُلجئهم الحاجة إلى أن يسجلوا بعض شؤونهم، في وقت لا يكون معهم قلمهم المبري المقطوط ودُويُّهم الملأى بالمداد، كانوا يستخدمون- غالبًا- مواد طباشيرية أو فحمية تترك أثرها على ما يكتب عليه، بل إنهم استخدموا أدوات حادة كالسكين لنقش الكتابة على المواد الصلبة.

القلم في العصر الجاهلي

تشير النصوص إلى أن القلم في الجاهلية كان مصنوعًا من القصب، يقط ويقلم أو يبرى ثم يغمس في مداد الدواة ويكتب به، قال عبدالله بن حنش: رأيتهم يكتبون على أكفهم بالقصب عند البراء.

وإذا كان العرب قد اهتموا بتجويد الخط وإتقانه في ذلك العصر، فإن النتيجة المنطقية لذلك، هي أن يعتنوا بصناعة القلم، أداتهم لذلك، والأمر الذي لا يقبل جدلًا حوله هو أن العرب في العصر الجاهلي كانوا يعرفون الكتابة، غير أن صعوبة وسائلهم جعلتهم لا يستخدمونها في الأغراض الأدبية الشعرية والنثرية، ومن ثم استخدموها فقط في الأغراض السياسية والتجارية، وتشير كثير من الدراسات إلى أن العربي في العصر الجاهلي كان يعرف الكتابة وأنه كثيرا ما استخدمها خاصة في الأغراض السياسية والتجارية.

نستدل على ذلك بكثرة ألفاظ اللغة الدالة على القلم والورق في شعرهم، مثل اليراع والأنبوبة والقرطاس والطرس والرق والصحيفة، ومن الألفاظ الدالة على الكتب الصك، الزبور، الرقيم، السفر، الوصيرة الخ... كما أن الشعر الجاهلي لم يحفظ عن طريق الرواية والسماع فقط، وإنما كانت الوسيلة الأولى لحفظه القلم والكتابة، ويستدل على ذلك بكثرة ورود كلمتي الكتابة والقلم في ألفاظ الشعر الجاهلي، أو في بعض تشبيهاته وصوره، كما شاع عن شعرائهم تشبيه الأطلال ورسوم الديار بالكتابة والنقوش، فالمرقش الأكبر يقول مشبها بقايا أطلال منزل الحبيبة ببقايا آثار سطور خطها قلم:

الدار قفر والرسوم كما
رقش في ظهر الأديم قلم

ويقول الأخنس بن شهاب التغلبي:

لابنة حطّان بن عوف منازل
كما رقش العنوان في الرق كاتب

والرّقّ: الجلد الرقيق يكتب عليه.

ويستهل لبيد معلقته بأبيات يصور فيها أيضا بقايا أطلال الحبيبة تصويرا أقرب إلى تصوير المرقش فيقول:

عفت الديار محلها فمقامها
بمنى تأبد غولُها فرجامُها
فمدافع الريان عري رسمها
خلقًا كما ضمن الوحيّ سِلامها

الوحي: الكتابة، والسِّلام: الحجارة البيض التي كانوا يكتبون عليها، وكانوا يكتبون أيضًا في الأدم، أو الأديم الذي مر في بيت المرقش، وهو الجلد المدبوغ يكتب عليه، كما كانوا يكتبون في عسيب النخل.

ويستمر لبيد في معلقته فيقول:

وجلا السيول عن الطلول كأنها
زبر تجد متونها أقلامها

الزبر: جمع زبور وهو الكتاب.

ويقول سلامة بن جندل، وهو فارس جاهلي معروف:

لمن طلل مثل الكتاب المنمق
خلا عهده بين الصُلَيب فمُطرقِ

الصليب ومطرق: اسمان لمكانين.

وقد ردد الشعراء مثل هذه الصورة كثيرًا في أشعارهم، وما من ريب في أنّ ذلك يؤكد أن الكتابة معروفة في العصر الجاهلي، كذلك كانوا يكتبون عهودهم السياسية،وكانوا يسمون تلك العهود المكتوبة «مهارق» وقد جاء ذكر هذه المهارق في معلقة الحارث بن حلزة، مشيرًا بها إلى ما كتب من عهود بين بكر وتغلب إذ يقول:

واذكروا حلف ذي المجاز وما
قدم فيه العهود والكفلاء
حذر الجور والتعدي وهل
ينقض ما في المهارق الأهواء؟

كما نجد هذه الصورة لدى شعراء آخرين، وكان بعض الشعراء الجاهليين يكتبون أشعارهم، بل كتب بعضهم- كلقيط بن معمر الإيادي- رسائل شعرية إلى قومه، وكان بعضهم يعرف لغات أجنبيه كعدي بن يزيد الذي كان يعمل في بلاط ملك الحيرة، وليس أدل على معرفة الجاهليين الكتابة والقراءة من أن معلقاتهم الطوال كانت تذاع وتشتهر بين الناس

بسبب تعليقها مكتوبة على جدار الكعبة المشرفة.

القلم ومكانته في العصر الإسلامي

حين جاء الإسلام كانت أول آية نزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم هي ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ (العلق: ١) وفعل القراءة فعل ماكر إنه العملة ذات الوجهين، إذ لا يمكن القيام بالقراءة إلا من خلال فك رموز الشفرة المرسومة كتابة أو رسما أو لونا، ولهذا كانت متواليات الآيات تزيد من الإفصاح والتوضيح ﴿اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (العلق: ٢-٤)، ففعل القراءة (التعلم) رهين بالقلم، وما القلم إلا وسيلة، وما الوسيلة إلا ضرورة للكتابة.

ولمكانة القلم في الإسلام أقسم الله عز وجل به في كتابه الكريم قال تعالى ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ (القلم: ١)، فأقسم بالقلم كما أقسم بما يخط بالقلم.

وقد ذكر القلم في القرآن الكريم أيضا في موضعين آخرين ﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾ (لقمان: ٢٧) ﴿وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم﴾ (آل عمران: ٤٤) يقول المفسرون في تفسير هذه الآية: يصح أن يراد بها أقلام الكتاب من الأحبار التي كانوا يكتبون بها التوراة، وقد آثروها تبركا بها، فجعلوا عليها علامات واقترعوا بها على من يكفل مريم، ويصح أن يكون المراد بالأقلام هنا سهاما أعدوها وجعلوا عليها علامات، وألقوها يستهمون بها على من يكفل مريم.

وعن مكانة القلم في الإسلام نطالع ما ذكره أبوبكر الصولي في أدب الكتاب: أول ما نزل من القرآن هو قوله تعالى ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (العلق: ١-٤)، فجعل تبارك اسمه أول ما أنزل في القرآن ذكر التفضل على عباده بخلقه، وأتبع ذلك بذكر الإنعام عليهم بما علمهم من الكتاب الذي به قد أتم أمر دينهم ودنياهم واستقامة معايشهم وحفظها، ولولا أن من لا يحسن الكتابة يجد ممن يحسنها معونة وإبانة عنه لما استقام له أمر ولا تم له عزم، ولحل محل الصور الممثلة والبهائم المهملة.

ولهذا قال المؤرخون: إن الانتقال من النزعة الشفاهية إلى النزعة الكتابية على مستوى الإبداع والفكر قد حدث مع نزول القرآن الكريم، وإن القرآن الكريم نفسه هو النموذج الكتابي الأول الذي يفارق النماذج الشفاهية بإعجازه، ويكتمل المعنى إذا عرفنا أن أول ما أنزل من القرآن الكريم كان أمرا بممارسة فعل القراءة الذي هو الوجه الآخر لفعل الكتابة، ومما جاء في أول ما نزل من القرآن الكريم قوله سبحانه وتعالى ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (العلق: ٥) بواسطة القلم الذي به جمع القرآن، وحفظت الألسن والآثار، ووكدت العهود، وأثبتت الحقوق، وسيقت التواريخ، وبقيت السكوك، وأمن الإنسان النسيان، وقيدت الشهادات، وتم الميثاق بين المخلوق وخالقه في الإسلام الذي أكد كتابه الأكبر حضوره الكتابي؛ لذا فإن القلم أشرف أدوات الكتابة وأعلاها رتبة، وغيره من آلات الكتابة كالأعوان.

وأدرك المسلمون أهمية القلم، وعنوا بصناعته، وكان لنزول القرآن باللغة العربية، وانتشار الإسلام وتأسيس دولته، ثم ما صاحب ذلك من مراحل تحوّل حضارية كالتعريب والترجمة ومعرفة العرب بصناعة الورق، وظهور مواهب الخطاطين المسلمين الذين أجادوا فنون الخط وعملوا على إتقانه، أثر كبير في تطور صناعة القلم.

وصُنِعَ القلم قديما من لب الجريد الأخضر، لكن استخدام القصب- نوع من البوص- في صناعتها كان سائدًا، لما له من مزايا، فالأقلام المصنوعة من القصب تظهر قواعد الخط، وهي سهلة الاستعمال، وطوع يد الكاتب يقطعها كما يشاء، بحسب حجم الكتابة ونوع الخط، بالإضافة إلى أن متانته تسمح بكتابة رفيعة جدًا.

وهناك أدوات ارتبطت بالقلم لا يصح إلاّ بها، سواء التي تستعمل في صناعته، كالمبراة أو السكين والمقط وغيرها، أو أدوات الكتابة كالدواة، أو المقلمة التي يحفظ بها أو يوضع فيها والتي كانت غالبًا متصلة بالدواة ونادرًا ما انفصلت عنها.

وبراية القلم كانت من العمليات الأساسية في صناعته، إذ القلم لا يسمى قلما حتى يبرى، وإلا فهو قصبة، وكانت السكين هي الأداة المستعملة في بري القلم ونحته وشقه، ثم قطه ليعاد بريه، من حين لآخر.

وكانت الأقلام المصنوعة من القصب تحتاج إلى أدوات أخرى حتى يمكن الكتابة بها، فهي في حاجة إلى الدواة التي تمدها بالمداد، وكذلك كانت تستخدم أدوات أخرى لتنظيف القلم والمحافظة عليه كالرقيعة، وهي خرقة يمسح فيها الكاتب قلمه، وكذلك الرغميد أو الغلاف أو القمجار وهو ما يدخل فيه القلم للمحافظة عليه، وتعتبر المقلمة من أشهر أدوات الحفاظ على الأقلام، وقد تكون من الدواة نفسها، أو تكون منفصلة عنها، وقد لا تعد من آلات الكتابة لكونها من جملة الدواة غالبًا.

وقد سعى المسلمون إلى تطوير القلم بحيث يكون أداة متكاملة لا حاجة له إلى الدواة التي تمده بالمداد، والتي تلازمه ملازمة دائمة، ويصعب حملها

والتنقل بها في كل وقت، وقد حدث هذا التطوير في بداية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) على يد المعز لدين الله الفاطمي أحد الخلفاء الفاطميين البارزين، وكان ذلك بتخيل الصورة التي يكون عليها قلم ممتلئ بالحبر في جوفه، ولا يحتاج إلى دواة معه، ووصف هذا التخيل للصانع ومتابعة التنفيذ.

قلم الحبر اختراع عربي إسلامي

قد يعتقد الكثيرون أن قلم الحبر الذي نعرفه اليوم هو من اختراع الأميركي «لويس أديسون وترمان» في القرن الثامن عشر، إلا أن المتتبع لتراثنا العربي يجد أن ذكر القلم الحبر قد ورد في إحدى مخطوطات العربية التي ترجع إلى عصر الدولة الفاطمية، وهذه المخطوطة هي كتاب «المجالس والمسامرات» للقاضي أبي حنيفة النعمان، حيث يذكر فيها أن المعز لدين الله الفاطمي هو أول من أوعز لاختراع أقلام الحبر التي تحوي مخزنا للحبر، فقد جاء في هذا الكتاب: «إن المعز لدين الله الفاطمي ذكر القلم فوصف فضله، ثم قال في حضرة القاضي النعمان بن محمد: نريد أن نعمل قلما يكتب به بلا استمداد من دواة، ويكون مداده من داخله، فمتى شاء كتب به ما شاء، ومتى شاء تركه، فارتفع المداد، وكان القلم منه ناشفا، ويجعله الكاتب في كمه فلا يرشح شيء من مداده، فيكون آلة عجيبة، لم نعلم أنا سبقنا إليها، ثم يكون دليلا على حكمة بالغة. فقلت ويكون هذا يا مولانا؟ قال: يكون إن شاء الله، فما مر بعد ذلك إلا أيام حتى جاء الصانع الذي وصف له الصنعة بقلم من ذهب، فأودعه المداد على مقدار الحاجة، وكتب به فكتب، وزاد شيئًا من المداد، فأمر بإصلاح شيء منه فأصلحه، وجاء به وكتب به أحسن كتاب، ثم رفعه عن الكتاب، فأمسك المداد، وهو قلم يقلب في اليد ويميل إلى كل ناحية، فلا يبدو منه شيء من المداد، فإذا أخذه الكاتب وكتب به أحسن كتاب ما شاء أن يكتب به، ثم إذا رفعه عن الكتاب أمسك المداد، فرأيت صنعة عجيبة، لم أكن أظن أني أرى مثلها».

وهذا ما تعترف به المؤرخة ألبرتين قور (Albertin Gaur) في كتيبها «مواد الكتابة في المشرق حيث تقول: إن الخليفة المعز لدين الله الفاطمي أمر بأن يصنع له قلم يحمل حبره وينساب الحبر إلى ريشته ذاتيًا عند الكتابة بحيث لا تتسخ ملابسه عند حمله، فصُنع له قلم بهذه المواصفات من الذهب الخالص.

وبذا يكون الخليفة المُعز هو المخترع الأول لقلم الحبر السائل.

والمعز هو معد بن اسماعيل بن القائم بن المهدي عبيدالله الفاطمي العبيدي، أبو تميم، صاحب مصر وإفريقيا، فتح بلاد المغرب وفتح مصر واختط مدينة القاهرة، ولد عام ٣١٩هـ-٩٣١م، ومات عام ٣٦٥هـ- ٩٧٥م، قدم إلى القاهرة ٣٦٢هـ، وهو رابع الخلفاء الفاطميين، وبدت الدولة الفاطمية في أوج قوتها في عهده، ومن بعده جاء من يطور فكرة المعز، ويكون الحبر جافًا ليكون بالصورة التي عليها هذه النوعية من الأقلام الآن، وأول هؤلاء هو العالم العربي الإسلامي أبو القاسم عباس بن فرناس بن فرداس القرطبي، مخترع وفيلسوف وشاعر أندلسي من قرطبة عاش في القرن التاسع للميلاد كانت له اهتمامات بالرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء، اشتهر أكثر ما اشتهر بمحاولة الطيران، اذ يعده العرب والمسلمون أول طيار في التاريخ، توفي في حدود عام ٨٨٨م.

عاصر الأمراء الثلاثة: الحكم بن هشام وعبدالرحمن بن الحكم ومحمد بن عبدالرحمن ١٨٠-٢٧٤هـ، ٧٩٦-٨٨٧م حيث مارس نشاطه العلمي والفكري، وقام بتجاربه فى جو من الحرية والتشجيع لم يوجد فى عصر آخر، وهذا المناخ هو الذى أفرز علماء الأندلس المسلمين وأفذاذها الذين استطاعوا تحقيق أروع الكشوفات في ميادين العلوم التجريبية ومهدوا الطريق للأجيال اللاحقة من علماء العصر الحديث.

عباس بن فرناس اخترع آلة اسطوانية تستخدم للكتابة والخط وتغذى بالحبر

ومن مخترعات عباس بن فرناس ما شابه القلم الحبر وهو آلة اسطوانية الشكل تستخدم للكتابة والخط وتغذى بالحبر فكان واضحا وأفاد النساخ والكتاب حيث سهل مهمتهم في الكتابة والنسخ ووفر عليهم مؤونة حمل الأقلام والمحابر أينما ذهبوا، وهذه الآلة هي بمثابة قلم الحبر المعروف فى الوقت الحالي، وبذلك يكون عباس بن فرناس قد سبق مخترعي الأقلام الحديثة بمئات السنين، وأوجد هذه الآلة التي تشكل أهمية كبرى في نشر العلم والمعرفة والثقافة على نطاق واسع، كما أنه ابتكر كثيرا من الأدوات التي أعانته في تنفيذ أفكاره وابتكاراته، ويقال: إنه ابتكر أشياء طريفة عجيبة وكثيرة ولكن تفاصيلها فقدت آثارها، فيشير أبوبكر الزبيدى «إلى أنه كان من أهل الذكاء والتقحم على المعاني الدقيقة والصناعة اللطيفة» ويقول عنه ابن حيان: «أبدع إبداعات لطيفة واختراعات عجيبة».

رعاية المسلمين للموهوب

أحمد حسن الخميسي

كان العرب قبل الإسلام قبائل متفرقة، ليس لهم شأن بين الأمم، وعندما أشرق نور الإسلام فيهم أصبحوا أمة ذات حضارة. فما الذي جعلهم يتحولون من رعاة الغنم إلى قادة الأمم؟!

إنه الدين الخالد الذي أيقظ فطرتهم النائمة ووجهها إلى توحيد الله سبحانه وتعالى وإلى الحق والعدل، وفجر فيهم الطاقات الكامنة والقدرات الهائلة التي تكمن في داخلهم، وذلك بحضهم على العلم والفهم والفقه. « ... خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا » (البخاري) ورغبهم هذا الدين في طلب العلم والاستفادة من النعم التي أسبغها عليهم كنعمة العقل والقلب وغيرها من النعم الظاهرة والباطنة.

تربى الجيل الأول من الصحابة على أعين رسول الله ﷺ، وعندما انطلقوا يدعون للإسلام ويربون الكبار والصغار على مبادئه وتعاليمه الربانية، اعتنوا بالاستعدادات والميول والطباع التي تشكل أساسًا لما نسميه اليوم بالموهبة .. فكيف تم ذلك؟ ومن الواهب الحقيقي؟

ذلك ما سنعرفه- إن شاء الله- في الصفحات التالية:

الله هو الوهاب

من أسماء الله تعالى «الوهاب» كما في قوله تعالى ﴿وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾ (آل عمران: ٨).

والوهاب: جزيل العطاء والنوال، كثير المن والإفضال، عظيم اللطف والإقبال، يعطي من غير سؤال، ولا يقطع نواله عن العبد بحال.

والوهاب: صيغة مبالغة في الوهب من الهبة، وهي التمليك بغير عوض (١).

قال الله تعالى ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب﴾ (ص: ٩) إن الموهبة هي عطاء من الواهب، والواهب هو الله تعالى.

والأطفال هم هبة الله كما في قوله تعالى ﴿ووهبنا له إسحق ويعقوب كلًا هدينا ونوحًا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين﴾ (الأنعام: ٨٤).

فقد رزق الله سيدنا إبراهيم عليه السلام أولادًا بعد ان كانت امرأته عاقرًا، فجاءه إسحق ويعقوب وهداهما الله، وهدى نوحًا وباقي الأنبياء.

والهداية موهبة اعطاها الله للانبياء، تفجرت من قلوبهم ليرشدوا بها البشرية الى عبادة الله وحده.

وإذا لم يكن الرسول موهوبًا متميزًا فمن إذن؟!

هذه الهبات وهذه المواهب تستوجب الحمد والشكر للمنعم سبحانه وتعالى، لذلك وجدنا سيدنا إبراهيم -عليه السلام- يلهج بحمد الله تعالى الذي وهبه أولادًا بالرغم من كبر سنه ﴿الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحق إن ربي لسميع الدعاء﴾ (إبراهيم: ٣٩) فالموهبة نعمة كبيرة يمن الله بها على عباده، وهي مطلوبة ومحبوبة في الذرية، لأنها تسعد الأب والأم إن وجدت في الأبناء، لهذا دعا المؤمنون ربهم أن يرزقهم أطفالًا موهوبين يجلبون لهم السعادة فقالوا ﴿ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما﴾ (الفرقان: ٧٤) وأي سعادة تفوق فرحة الآباء والأمهات عندما يرزقون بولد موهوب ذي صلاح وتقوى.

إن الأطفال يحملون في داخلهم مواهب أودعها الباري، تختلف من طفل لآخر، فهذا يتمتع بقوة الحركة والعضلات، ويميل بطبعه الى الرياضة، فسيصبح رياضيا مشهورًا، وذاك يتقن رسم الاشكال الجديدة والطريفة بألوان جذابة ودلالات مدهشة، فسيكون رسامًا لامعًا، وآخر يمتلك صوتًا جميلًا واداء

كاتب سوري

مثقفون ورجال دين نصارى يتساءلون: هل الإنجيل كتاب مقدس؟!

ممتازًا، فسيغدو في يوم من الايام منشدًا متألقًا، وهناك من يمتلك ذكاء حادًا في مادة من المواد او في عدة مواد دراسية، فسيتفوق على أقرانه، وطفل يحب الفك والتركيب واختراع الاشياء، فسيصبح ان عاجلًا او آجلًا مخترعًا معروفًا.

ومع ايماننا بأن الموهبة هي عطاء من الخالق الواهب، الا ان هذه الموهبة ستنمو بالتدريب والرعاية والعناية والعقل، بحيث يغدو الموهوب نابغة يترك اثره الطيب في حياته وبعد مماته.

ومن اهم العوامل التي تفجر المواهب وتغذيها الايمان والرغبة.

فالإيمان يصنع العجائب -كما يقولون- فإذا ما اقترن بالموهبة حقق الكثير.

فهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه وهو ابن الصحراء، عندما خالط الايمان شغاف قلبه، أوقد جذوة عبقريته العسكرية وشحذها وجعل صاحبها بطلًا لايبارى وشجاعًا لايجارى، حتى عرف بسيف الله المسلول، واستطاع ان يتفوق على خبرة الروم والفرس العسكرية، ويحقق للمسلمين نصرًا مؤزرًا- بإذن الله.

مفهوم الموهبة عند المسلمين

تتبعت الموضوعات التي تتحدث عن تربية الموهوبين عند المسلمين في بعض كتب التربية الاسلامية، فكانت العناوين على الشكل التالي:

١- توجيه التلاميذ على حسب مواهبهم في كتاب «تاريخ التربية الإسلامية» للدكتور أحمد شلبي.

٢- رعاية الطلاب الموهوبين في كتاب «التربية الاسلامية- دراسة مقارنة» محمد أحمد جاد صبح.

٣- توجيه الطفل وفق ميوله العلمية في كتاب «منهج التربية النبوية للطفل»، محمد نور سويد.

٤- معاملة الأطفال ومراعاة مقدرتهم في كتاب «التربية الاسلامية وفلاسفتها» ومن يتدبر العناوين ومضمون ما كتب تحتها يجد أن المسلمين لم يعرفوا مصطلح «الموهبة» بل استخدموا كلمات مثل: الاستعداد، المقدرة، الطبع، الميل وغيرها.

وعندما وضع بعض المؤلفين السابقين في العنوان «الموهبة» ولم تذكر في المتن، فهذا يدل على أن مصطلح الموهبة المعاصر يقابله عند المسلمين المقدرة والاستعداد والطبع والميل.

تنمية المواهب ورعايتها عند المسلمين

من الحكمة أن يوجه الصغير والكبير إلى ما يناسب طبعه وميوله واستعداده ومقدرته، فإن كان لديه ذكاء حاد أو تفرد في علم من العلوم أو فن من الفنون، فما على المربي الحكيم إلا أن ينمي فيه ما لاحظه من قدرات واستعدادات، لينفع نفسه وأمته ويرضي ربه.

ولقد فجر الإسلام طاقات الأمة العربية، ونشط نوابغها منذ صغرهم ليقدموا أحسن ما عندهم من افكار وعلوم ومخترعات.

وكان المربي الأول لهذه المواهب هو رسول الله ﷺ الذي أوتي الحكمة، فكان يوسد لكل صحابي المهمة التي تناسب استعداده ومقدرته وتطلعه.

فعندما احتاج رسول الله ﷺ الى من يتعلم اللغة السريانية، قدم له الصحابة زيد بن ثابت رضي الله عنه.

فقد روى أبو يعلى وابن عساكر عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أتي بي النبي ﷺ مقدمه المدينة، فقالوا يا رسول الله! هذا غلام من بني النجار، وقد قرأ مما أنزل عليك سبع عشرة سورة، فقرأت على رسول الله ﷺ فأعجبه ذلك قال: «يا زيد، تعلم كتاب يهود، فإني والله ما آمن يهود على كتابي، فتعلمته، فما مضى لي نصف شهر حتى حذقته، فكنت أكتب لرسول الله ﷺ إذا كتب وأقرأ كتابهم إذا كتبوا إليه».

وعند أبي داود عن زيد قال لي رسول الله ﷺ: «أتحسن السريانية؟! فإنها تأتيني كتب. قلت: لا. قال: فتعلمها، فتعلمتها في سبعة عشر يومًا» (٢).

لقد اختاره الصحابة وقدموه للنبي ﷺ، ورشحوه له لعلمهم بقدراته وميوله اللغوية واستطاعته تنفيذ رغبة رسول الله ﷺ في تعلم السريانية، وتعلمه اللغة بسرعة دليل على نبوغه في هذا الجانب.

وسار التابعون والعلماء من بعد ذلك على هذا المنوال في توجيه صاحب الموهبة الى استثمار موهبته، فالامام مالك، عندما جاءه الشافعي وهو صبي يافع، ورأى من حفظه ما رأى، اذ انه كان حافظًا للقرآن وللموطأ الامام مالك، فقال له قولته المشهورة «يا محمد اتق الله، واجتنب المعاصي، فإنه سيكون لك شأن من الشأن، ان الله قد ألقى على قلبك نورًا فلا تطفئه بالمعصية» (٣).

ومن هذا الكلام نجد ان الموهبة تصقل بطاعة الله تعالى، وتضمر بالمعصية، ولم يكتف الامام مالك بهذا التوجيه فقط، بل انه عندما علم ان الشافعي كان يتيمًا، وسع له في حلقات علمه، فنهل منها العلم، ولم يقف الفقر في سبيل تقدمه.

ولم يكن الامام مالك هو الوحيد الذي تولى تلميذه اليتيم الفقير بالرعاية والعناية، ووجهه الى ما يناسبه، ففي تاريخنا الذهبي الكثير من هذه النماذج، اذ كانت عناية المدرسين بتلاميذهم الفقراء تصل بهم الى حد الانفاق من مالهم الخاص عليهم.

حكى الامام ابويوسف قال: كنت اطلب الحديث والفقه

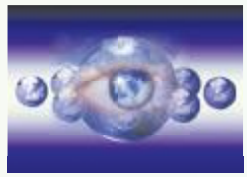

وأنا مقل رث الحال، فجاءني أبي يومًا، وانا عند أبي حنيفة، فانصرفت معه، فقال: يا بني لا تمد رجلك مع ابي حنيفة، فان ابا حنيفة خبزه مشوي، وانت تحتاج الى المعاش، فقصرت عن كثير من الطلب، وآثرت طاعة ابي، فتفقدني ابوحنيفة ﷺ، وسأل عني فعدت الى مجلسه، فلما كان اول يوم اتيته بعد تأخري عنه، قال لي: ما شغلك عنا؟ قلت: الشغل بالمعاش وطاعة والدي، فجلست فلما انصرف الناس دفع إلي صرة وقال: استمتع بها، فنظرت فاذا فيها مائة درهم، وقال لي: الزم الحلقة واذا فرغت هذه فاعلمني، فلزمت الحلقة، فلما مضت مدة يسيرة دفع الي مائة اخرى، ثم كان يتعهدني حتى استغنيت وتمولت (٤).

ولم يكن المدرسون - وحدهم- هم الذين ينفقون على الطلاب الفقراء، بل يتبرع الأغنياء بأموالهم للانفاق على الطلاب والمدارس.

وعندما انشئت المدارس في العالم الاسلامي، كان الامراء يتولون الانفاق عليها، لكي لا يحرم الفقراء من العلم، ومن هذه المدارس ومن حلقات المساجد نبغ الكثيرون من طلاب العلم، وملأوا مشارق الأرض ومغاربها علمًا ومعرفة.

ولم يقتصر دور العلماء على الانفاق والتوجيه، بل كانوا يختارون للطالب ما يناسبه، فهم ادرى به، لما مر بهم من التجارب والخبرة.

يقول الزرنوجي: ينبغي للطالب ألا يختار نوع العلم بنفسه، بل يفوض امره الى الاستاذ، فإن الأستاذ قد حصل له من التجارب في ذلك ما يفيد، فهو اعرف بما ينبغي لكل واحد وما يليق بطبيعته.

وذكر الاصفهاني: ان على المدرس ان يتصفح طلابه، وألا يدعو الى حلقته إلا من كان قادرًاعلى استيعاب ما يجري فيها، فليست كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مواتية، لكن ما شاكل طبعه وناسبه (٥).

ومن النماذج الواضحة على اختيار المعلم لما يناسب تلميذه أن محمدًا بن اسماعيل البخاري بدأ يتعلم الفقه على محمد بن الحسن، فقال له محمد بن الحسن: «اذهب فتعلم علم الحديث» لما رأى ان ذلك العلم أليق بطبعه، فطلب البخاري علم الحديث، فصار فيه مقدمًا (٦).

واذا كانت اختبارات الذكاء وكشف الموهوبين، قد أصبح لها دراسات وتجارب متقدمة في هذا العصر، فان اجدادنا قد عرفوا ذلك، ولكن بطريقتهم الخاصة، وبما يمكنهم من معرفة النوابغ.

لقد وضح تفاوت الذكاء لدى المربين المسلمين، وعبر عنه الامام الغزالي بقوله: «واذا غلبت القوة البدنية على النفس يحتاج المتعلم الى زيادة التعلم وطول المدة، واذا غلب نور العقل على أوصاف الحس يستغني الطالب بقليل التفكير عن كثرة العلم»، وعلى هذا فان من واجب المدرس الا يشرك الذكي مع الغبي في التلقي، فهو تقصير في الذكي وارهاق للغبي (٧).

ان طريقة اكتشاف الذكاء عند المسلمين تعتمد على التجربة فهم يعلمون الطفل ثم يحكمون عليه بمقدار النتيجة التي يستطيع ان يحصل عليها، كما كانوا يختبرون ذاكرة التلميذ ليروا ما اذا كان يميل الى الحفظ او التعمق والتفكير، فاذا كانت الاولى، فليدرس علم الحديث مثلًا، وان كانت الثانية، فليدرس الفلسفة والمناظرة وعلوم المنطق والكلام او الفقه واستخراج الأحكام.

وإذا وجه التلميذ أو التحق بحلقة دون توجيه، ورأى المدرس في هذه الحالة أو تلك ان التلميذ ينبغي له ان يفارق هذه الحلقة الى سواها، فإن المدرس ما كان يتردد في ابلاغ التلميذ هذه النتيجة، وينصحه بأن يغير الموضوع الذي شغل نفسه به، ويدرس موضوعًا آخر.

قال ابن جماعة: «واذا علم ان تلميذًا لا يفلح في فن اشار عليه بتركه والانتقال الى غيره مما يرجى فيه فلاحه.

اكتساب الشهرة والطرق الميسرة!!

عبدالعزيز العسكر

هل تريد أن تعرف أقرب الطرق إلى الشهرة، خاصة في ميدان الثقافة والصحافة؟

حسنًا.. سأنبئك ببعض ما عرفت منها.

ردد في مقالاتك وإبداعاتك ألفاظًا من اللغة الانجليزية ولو كانت BOOK وBOX وCOM.

أكثر من الاستشهاد فيما تكتب بأقوال ديكارت وشكسبير وغاندي وألفرد، مؤكدًا تأثرك بهم وإعجابك بما أنتجوه من فكر وفلسفة.

إياك، إذا رغبت في الشهرة، أن تستشهد بأقوال ابن تيمية وزهير بن أبي سلمى وابن خلدون لأن هؤلاء جيل قديم!!

لا تنس أن تشير إلى أنك درست في جامعة ميتشجن أو السوربون أو أمثالهما ولو أسبوعًا واحدًا!!

وهناك طرق عملية أخرى أبرزها أن تهاجم عرفًا عامًا، أو قيمة من القيم، أو مبدأ متفقًا عليه، فإن فعلت فإن الشهرة تنتظرك عاجلًا.

وانظر، رعاك الله، كيف يمكن أن يشتهر رجل يركب حمارًا في شارع تملأه السيارات، أو رجل ينصب خيمة ليسكن فيها بين مساكن حديثة أو رجل يمشي حافيًا في شدة الحر، كيف يمكن لكل واحد من الثلاثة أن يشتهر سريعًا ويحفظ الناس اسمه، ولكني أسألك:

هل تبني تلك الشهرة مجدًا؟!

هل تعني الشهرة ثقة المجتمع فيك؟!

هل تدل تلك الشهرة على عقل صاحبها وذكائه؟!

من الذين سيحبونه ويصفقون له؟! وهل ستنفعه تلك الشهرة حينما يوضع في قبره؟ ليس عندي جواب على هذه الأسئلة الأربعة، بل سأترك الجواب لك مع تمنياتي لك بالتوفيق والسداد.

كاتب وباحث سعودي

روي ان يونس بن حبيب كان يختلف الى الخليل بن احمد، يتعلم منه العروض، فصعب عليه تعلمه، فقال له الخليل يومًا من اي بحر قول الشاعر:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه
وجاوزه الى ما تستطيع

ففطن يونس لما عناه الخليل، فترك العروض، واخذ يتعلم النحو وقواعد اللغة حتى أصبح في ذلك امامًا وعالمًا شهيرًا» (٨).

نتائج رعاية الموهوبين عند المسلمين

إن التزام المسلمين بتوجيهات الله ورسوله ﷺ نحو تعلم العلم والعمل به، وحرص المدرسين على نصح تلاميذهم وتوجيههم نحو ما يناسبهم والتفاني في تعليمهم والانفاق على الفقراء منهم، وفتح الأمراء المدارس النظامية والإنفاق عليها بسخاء أتاح للموهوبين ولغير الموهوبين تعلم علوم الدين والدنيا والنبوغ فيها، وبرز منهم كثيرون مثل أئمة الفقه وعلماء التفسير والمحدثين واللغويين والأدباء والأطباء والكيميائيين وعلماء الفلك وغيرهم من العلماء الأفاضل الذين قدموا للناس علومًا نافعة تصلح حالهم في الدنيا وتسعدهم في الآخرة، وتكون أساسًا لبناء حضارة عريقة.

الإحالات

١- أسماء الله الحسنى، الشيخ حسنين محمد مخلوف، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية /١٩٧٥/ ص٣٧.
٢- منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور سويد، دمشق دار بن كثير ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص٣٦٩.
٣- الإمام الشافعي، الشيخ أبوزهرة. القاهرة.
٤- تاريخ التربية الإسلامية، د. أحمد شلبي القاهرة مكتبة النهضة ١٩٦٦م، ص٢٩٣.
٥- المرجع نفسه ص٢٩٩.
٦- التربية الإسلامية دراسة مقارنة، محمد جاد صبح، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٧ ص٣٣٧.
٧- تاريخ التربية الإسلامية، مرجع سابق ص٣٠٠.
٨- المرجع نفسه ص٣٠٠.

شكوى.. إنهم لا يقرأون!

وأخشى ألا يقرأوا هذا المقال كذلك! فقد شجعت بعضهم على القراءة ومنهم عدد من طلابي في المرحلتين المتوسطة والثانوية، ووعدتهم بحوافز عديدة إن قرأوا ولم أجد أي استجابة.

وأهديت لبعضهم كتبًا ليقرأها فما وجدت أي استجابة.

وأرسلت رسائل جوال تذكر بمقال جيد أو قصة رائعة أو كتاب نفيس فكانت الاستجابة ضعيفة غير مشجعة.

وكان مصير بعض الكتب التي أهديتها- ومنها كتب قصص وأخطاء لغوية وتاريخ - كان مصيرها رفوف المكتبات أو أدراج الطاولات أو تحت أسرة النوم!

وقالوا: حل الانترنت محل الكتاب، وزاحمت التقنية الكتاب القديم فعرفنا ما سمي الكتاب الالكتروني الذي سجل على شريط أو «فلاش»، ولكن هل يقرأ ما وجد على تلك الوسائل؟ كلا فالعلة قائمة والمانع هو هناك وهنا!!

اذا سألت أحدهم: هل اشتريت كتاب تفسير القرآن العظيم، أو البداية والنهاية أو زاد المعاد؟ قال: موجود عندي في الجهاز، وإن سألته هل قرأه؟ قال: لا!!

وقلت لبعضهم: لقد كتب د. فلان مقالاً ممتازًا في جريدة «...» قال: رأيته: فإذا قلت ما مضمونه وما أفكاره؟ قال: لم أقرأه لأنه طويل! ولو كان بضعة أسطر.. وبعضهم اكثر شجاعة وجرأة وحبًا للحوار، ومن ذلك أنه يمتدح عندك قصة أو مقالاً فتفرح لذلك ويعجبك، ثم تحزن إذا قلت له وما سر جماله عندك وإعجابك به؟ لأنه يقول:

عنوانه جميل والكاتب من خير الكتاب، ولكني لم أتمكن من قراءته!!

هذه ظاهرة توجد لدى الكبار والصغار والنساء والرجال والشيب والشباب الا ما قلّ، ولا يغرنك ما ترى من حركة بيع الكتب ورواجها فتلك ظاهرة أخرى، فإن القصور والفلل الجديدة لابد ان تكون فيها مكتبة هي من تمام (ديكورات) المنزل الحديث ولوازمه من أجل أن يقال: في البيت مكتبة!

أستثني من ذلك عددًا من الرجال والنساء يقرأون ولكن، والسر فيما بعد لكن أن قراءتهم مقصورة على كتاب وكاتبات محددين، لشهرة معينة وهي قراءة ضعيفة هازلة، كما أستثني طلاب الدراسات العليا الذين تجبرهم أنظمة الدراسة على البحث والتأليف والتحقيق، فيعيشون مع الكتاب، لاحبا له ولا قناعة به، ولكن قرأ القارئ لأمر كان يقصده، كما قال الشاعر، فلما انقضى أمره لا قرأ ولا كتب!!

الى من نرفع الشكوى؟ ومن ينصف الكتاب في زمن الملل وضعف النفوس، والاشتغال بالشهوات المادية؟!

من ينصف الكتاب في زمن الزهد في العلم وجعله مطية للشهوات والمظاهر؟!

من ينصف الكتاب ويرد له مكانته في زمن الدعايات والاغترار بها؟!

من ينصف الكتاب في زمن حب السماع والمشاهدة للسيل العرم من البرامج الاعلامية التي تعرضها شاشات القنوات الفضائية وغيرها؟!

هل نقتدي بأوائلنا وسلفنا الصالح في حب الكتاب والقراءة والنقد والإصلاح؟ أم هل نغار من غيرنا من شعوب الأرض في الشرق والغرب الذين لا يزالون يقرأون بشغف ونهم وعزم وجد.. رغم امتلاكهم أحدث وأجود وأغلى مما نملك من التقنية ولوازمها؟ هل نقلدهم- والقراءة أمر جدي مفيد يبني العقول والأذهان- في القراءة كما نقلدهم في الرقص والتمثيل والغناء وسخافات الملابس والمظاهر الأخرى؟!

وقبل الختام أقول: إن أمة كان أول آية تنزل عليها من كتاب ربها ﴿اقرأ﴾ جديرة بالعناية بالقراءة والاهتمام بها من الكبار والصغار والنساء والرجال لا تقليدًا لغيرنا ولكن امتثالاً لأمر الله تعالى، وبناء لعقولنا وأفئدتنا، وتسلية لنا من المصائب والحوادث، ومتعة وراحة للذهن من مشاغل الحياة وأوقات الجد فيها، وتربية للجيل وشغلًا لأوقاته بما يفيد، ونشرًا للعلم والفقه من أجل أن يعبد أحدنا ربه على بصيرة وفقه لا على جهل وتقليد.

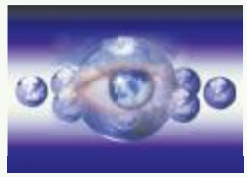

صناعة الشباب

عادل صديق

عنوان الكتاب لافت، ومثير للتساؤل، وراءه ألف سؤال، والكثير من الفضول، ويذكرنا الاسم أيضا بـ«صناعة الفقيه»، وبـ«صناعة النجوم» في المجال الإعلامي وغيرها من المصطلحات، ولكن عبقرية الاختيار في «صناعة الشباب» أنه لم يُسبق أحد إلى العنوان، وإن كنت أستشعر الاقتباس من كتاب الله من القول الحكيم ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه: ٣٩)، والعنوان لأول وهلة يعطي إيحاء بالتنمية البشرية، وكيفية التفوق في تسخير قوى الشباب التي وهبها الله لهم في وقت يحتاج الناس لإمكاناتهم وجهودهم.

«صناعة الشباب» للمؤلف د.محمد سعيد حوّى، ابن العالم الجليل سعيد حوى- رحمه الله- والذي وضع يده على جرح الأمّة في كتابه الذي بين أيدينا «صناعة الشباب»، والكتاب من ستة فصول في ٢٠٦ صفحات، صدر عن دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة بالقاهرة.

تحديات التذويب

فالأمة فُجعت في أعزّ ما تملك، لتصير أمة بلا مستقبل كما يراد لها- إن لم يتداركها الله برحمته- ويسارع الدعاة إلى الله والعلماء للقيام بواجبهم، ليس هؤلاء فقط، بل واجب المخلصين كافة في هذه الأمة لرأب الصدع، وردّ كيد الخائنين عنها، فقد فجعت في شبابها على أثر التذويب المنهج لشبابها، يدير رحاه الإعلام الموجّه أو الموالي للعولمة، وتسويد ثقافة الأقوى.

ويقف د.محمد سعيد حوّى على الثغر داعيًا إلى الحفاظ على ذخر الأمة فيقول في مقدمة «صناعة الشباب» فيقول: «لطالما نتحدث أن الشباب أمل المستقبل، وقادته، ووعد الخير والبناء، فإذا سلم لنا شبابنا سلمت لنا الأمة، وتأملنا بمستقبل واعد وغد مشرق، تلك مسلمات لا نطيل فيها، طالما كررناها، لكن السؤال المهم: ماذا نعرف عن هؤلاء الشباب من حيث خصائصهم وحقوقهم، ومسالكهم؟ ماذا عن أهدافهم وتطلعاتهم؟ وكم نحن متفاعلون مع هذه الأهداف والتطلعات؟».

كيف تحدث القرآن عن الشباب

في الفصل الأول من الكتاب يتحدث المؤلف عن القرآن وخطابه عن الشباب، ولا تأتي نصوص القرآن بصيغ الأمر والنهي، بل بأسلوب التصوير البياني المعجز لما كان عليه شباب مؤمنون صادقون، وماذا فعلوا في التأثير في الأمم، وموطن العبرة أننا لابد أن نرى السلوك البشري، وكيف نتجنب السلبيات بالتربية القويمة، فلابد أن يكون الشباب متيقظا لهذا الأمر.

وفي الفصل الثاني من الكتاب يدعو المؤلف إلى تفهّم الشباب، ويحدد الكيفية التي يجب أن نتعامل معهم بها، وأن مشكلتهم ليست بطالة وفقرا.

فالرسول ﷺ كان يعامل الشباب معاملة خاصة منذ نعومة أظافرهم، والمثل الأمثل في تعامله مع الشباب كان في «أنس بن مالك» الذي أحب الرسول ﷺ قبل أن يراه، لم تجد أمه هدية للنبي ﷺ إلا ابنها ليخدمه! أرسله الرسول ﷺ لحاجة فغاب لانشغاله باللعب فقال: «يا أنيس أذهبت حيث أمرتك؟» قلت: نعم إنّي ذاهب الآن يا رسول الله، ويقول أنس: «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أف قط، وما قال لشيء صنعته، لم صنعته؟ ولا لشيء تركته، لم تركته؟» (الترمذي).

كان الأمان هو المسيطر على العلاقة بين الرسول ﷺ والصبي «أنس»! وكانت الثقة هي التي منعته من الكذب، كان يعلمه صفاء السريرة بكلمات يبدؤها بالنداء المحبب: «يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل» (سنن الترمذي)، كان يناديه صغيرًا بـ«يابني»، يا«أنيس»، وكان حريصًا على التوجيه، ويتجاوز عن الهفوات، ويذكر ويعظ، ويحبب إليه الاتباع والطاعة.

مع الشباب في همومهم ومشكلاتهم

يذكر المؤلف أن مشكلات الشباب متعددة وليست قاصرة على الأمور المادية، ولديهم مشكلات حقيقية تدمي القلوب، وأخطرها التفكك الأسري، وعجز الشباب أن يجدوا جسور تفاهم مع أقرب الناس إليهم، أو من يصغي إليهم ويشاركهم همومهم واهتمامهم، فهناك جدران وحواجز حتى مع الوالدين، فما بالك بمجتمع المدرسة؟!، آخرون يخشون الانحراف وصحبة السوء، وآخرون ضحايا للمخدرات، وصنف ضحايا للتفكك الأسري، وآخرون يشكون رداءة الحياة لعدم الحصول على فرصة حصل عليها البعض بالمحسوبية.

ويؤكد المؤلف على أن هناك أمرين بالغي الأهمية، التفاعل من قبل المربين، والأهل منهم، وأهمية تفاعل المربين مع هموم الشباب، والأمر الآخر أن يشعر الشباب بأنهم ليسوا وحدهم، وأن هناك أيادي حانية وكلمات صادقة فـ «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِم...» (البخاري)، مشيرا إلى أن أولى مراحل الإصلاح أن يستشعروا جزاء الصابرين، وأنّ البلاء يحتاج إلى القرب من الله، فإذا استطاع المربي ذلك قطع شوطا كبيرا للإصلاح، وضرب أمثلة بسير الصالحين

باحث في التاريخ

وأصحاب الدعوات، ثم أشار إلى أنه لابد من السيطرة على وقت المراهق في أنشطة متنوعة مثل الجوانب الخيرية، والرياضية، وتنمية الهوايات، وضرب أمثلة بالسلف، وما قدموه للشباب، إضافة إلى تقديمهم في المهام الصعبة ليتعودوا القيام بأعمال الرجال، فلابد من تنظيم الوقت وحسن إدارته، فالفراغ مفسدة، والواجبات لو وضع لها خطة استثمار لاستغرقت أكثر من الأوقات.

ولفت الكاتب النظر إلى مشكلة البطالة وعلاجها، ومشكلة العزوف عن الزواج، وكيف لم يرض الإسلام بها، بل أوجب التعفف «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج...» (البخاري) وأن التقاليد البالية من ارتفاع المهور، والتكاليف الباهظة، والتعسير على الشباب قضايا خطيرة مؤداها إلى الانحراف.

مؤكدا أن علاج المشكلات في استيعاب هؤلاء علميا وماديا، وأن يسهم الوجهاء في ذلك بجانب الحكومات.

أخطار تهدد الشباب والمجتمع

في الفصل الرابع يذكر المؤلف أن الشباب يتعرض لأخطار كثيرة، وهذا يعود لطبيعة التجريب والمغامرة والفضول الشديد، وأيضا الصحبة التي يقال عنها «الصاحب ساحب»، ومن هذه المخاطر: التدخين، والمخدرات، والمسكرات، والفضائيات.

التصحيح والتقويم والعلاج

يؤكد المؤلف في الفصل الخامس على مبادئ التصحيح والتقويم والعلاج، بدءا من بناء العلاقة بين الأسرة الواحدة والمراهق الشاب، فلابد أن يقوم الأبوان بواجب شرعي أخلاقي مفتقد تجاه الأبناء الذين عانوا من إهمال الأبوين، منذ الصغر، ويؤكد المؤلف أن عاقبة الإهمال بالغة الخطورة لأن محاولة الإصلاح عقب الاعوجاج من الممكن أن تؤدي إلى كسر الابن وترك الأمر يؤدي لزيادة الانحراف مستشهدا بقول الشاعر:

إن الغصونَ إذا عدّلتها اعتدَلت

ولا يلينُ ولو ليّنْته الخشبُ

فالتربية المتدرجة حسب عمر الطفل بالغة الأهمية «مروهم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع» (صححه الألباني)، ولا يخفى ما في ذلك من التربية السلوكية، وحفظ العورات، وغض البصر، وإعلاء شأن آصرة الأخوّة وغيرها.

والتربية تكون رهنا بقاعدتين: الأولى استشعار الآباء بالمسؤولية، الثانية بدء الرعاية المبكرة للصغار ليشهدوا النمو المتدرج، ويؤمّنوا مقتضيات الصحة فيه، ويسهل تقويم الاعوجاج أثناء ذلك من خلال التربية بالقدوة الحسنة المقتبسة من أخلاق النبوة، بخلاف التربية الغربية التي تفتقد إلى الجوانب الروحية، وجانب مراقبة الله، وتنمية جوانب الرحمة والعطف لدى الأبناء بالممارسة الجميلة، وبناء العلاقة بين الأبناء وعدم التفرقة بينهم حيث يترك ذلك أثرا في تقويم سلوكهم.

من قضايا الشباب

ويختم المؤلف الفصل السادس من الكتاب الغني حيث يحدد قضايا ملحّة للأسف لا تجد مكانا لدى شبابنا، بينما ينشغلون بأمور كثيرة لا تشكّل أهمية لا في المستقبل الدنيوي ولا الأخروي، حيث لا يستطيع الكثيرون تعريف الإسلام، بينما يعلمون تفاصيل المباريات، والأفلام والمسلسلات، والألعاب المتوفرة في السوق، وصار الشباب «ظاهرة كلامية» بلا جدوى لما يقول، وإن كانوا في حظيرة المتدينين! نجد الوعي تشوبه أخلاط عديدة نتيجة محاولة المعادين للإسلام أنْ يصرفوا الشاب عن هويته، ويحتاج الشباب إلى تنقية شاملة وإعادة الأولويات إلى نصابها، ويؤكد على ضرورة تبنّي كتب «تُدرس ولا تُقرأ» للعلامة الراحل الشيخ «سعيد حوّى» منها كتب: الله جلّ جلاله، الرسول ﷺ، والإسلام، وكل مؤلفاته- رحمه الله- هادفة، ويذكر المؤلف أن التصور الإسلامي بنيت مقوماته على دعائم هي: ربّ يُعبد، ورسول مبلّغ، ومنهج جاء به الرسول، وإنسان قائم على المنهج، ويذكر أنّ مصادر التلقي المفترضة لدى الشباب هي الشرع الحكيم، وكثير من الذين يخوضون في الدين اليوم ليسوا أهلا لهذه المهمة في ظل إبعاد العلماء الربانيين عن الوجود، فالشباب اليوم لا نجد بينه وبين الدين تفاعلا مثلما كان الأمر في عهد الرعيل الأول، ولابد من إرساء المناعة العقائدية والفكرية والثقافية حيال ما يتعرض له الإسلام من تشويه في تاريخه، وشخصياته، وتشريعاته، وتمثّل ذلك في المزيّفين الذين تربوا بين أكناف الاستشراق أو الباحثين المعادين للإسلام.

وبالتالي لا يستطيع معظم الشباب أن يتحدثوا عن الإسلام أو أي جانب من التشريع أو العقيدة، فضلا عن أنهم لا يستطيعون أن يوصلوا ذلك بصورة فردية.

الإعلام الموالي للعولمة يعمل على التذويب المنهجي للشباب المسلم

إعداد: خالد خلاوي

حب العمل طريق التميز

في واحدة من محاضراته في إحدى الجامعات سأل أحد الطلاب خبير الإدارة والقيادة توم بيترز: ما أهم المقاييس التي من شأنها تحقيق النجاح في العمل؟ فتوجه توم إلى السبورة وكتب كلمة «الشغف» بمعنى أنك يجب أن تحب ما تقوم بعمله.

وسُئل أحد رجال الأعمال: ما سر نجاحك؟ فأجاب: الحب.

فالحب أهم دافع للنجاح والتميز في كل مجالات الحياة، وإذا كان بوسعك أن تحب فإن بوسعك أن تفعل أي شيء، فما أجمل أن نحب ما نقوم به لأننا ساعتها سنبدع ونبتكر ونتفوق في عملنا.

وربما غاب عن ذهن الكثير منا أن معظم الناس يقضون الجزء الأكبر من حياتهم في العمل، فإذا لم نكن نحب عملنا سيكون الجزء الأكبر من حياتنا مملًا، لهذا يجب أن نحب ما نعمل، لأن العمل يعطي للمرء قيمة في المجتمع ويكسبه حب الله ورسوله واحترام الناس. روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تعالى يحب العبد المؤمن المحترف» (الألباني) أي: الذي له عمل يشغله ومهنة يؤديها.

ولكي تبرز وتتميز في عملك يجب بداية أن تحبه، وقد قيل إن الخطوة الأولى في نجاح العمل هو الرغبة فيه، وأما الخطوة الثانية فهي حبه.

وحب العمل ينسي صاحبه الساعات التي يقضيها فيه، بل ويتحمل المشقة وسهر الليالي الطوال في سبيل ما يحب.

يقول خبراء التنمية البشرية: إذا استطاع إنسان ما أن يزاول عملاً يحبه فإن احتمال تعبه من القيام به لا يتعدى واحدًا من عشرة، حتى لو عمل عشرين ساعة في اليوم، لأن العمل المحبوب هو أعظم سعادة في الحياة.

وكان علماء الإسلام الأفذاذ من أكثر الناس حبًا لعملهم وكان من شيمهم التفاني في طلب العلم والبحث وتأليف الكتب، فهاهو الإمام الطبري كان أكثر علماء عصره همة في طلب العلم وتحصيله وفي تأليف أمهات الكتب حتى روي أنه كان يكتب أربعين صفحة في كل يوم، وكان بعض العلماء ينهمك في البحث عن حل لمسألة علمية حتى الصباح ويقول: هذه لذتي.

وأحدهم دعاه أصدقاؤه العلماء لقضاء يوم الجمعة في البستان فأجابهم: الكتب بساتين العلماء، ففي الوقت الذي قضاه الأصدقاء في البستان قام هو بتأليف كتاب تُرجم إلى ثلاث لغات حتى الآن.

وفي العصر الحديث نماذج كثيرة من المتميزين من علماء ومخترعين أحبوا عملهم وتميزوا ونجحوا وأنجزوا للعالم أعمالاً عظيمة، فهذا إديسون مخترع المصباح الكهربائي أنساه حب عمله والتفكير المستمر فيه اسمه، ففي أحد الأيام ذهب ليدفع الضرائب فعندما جاء دوره سأله جابي الضرائب عن اسمه ولكنه لم يستطع تذكر اسمه (لأنه كان يفكر بعمق بأحد اختراعاته) وظل يحاول تذكر اسمه لكنه عجز كليا عن ذلك، فلولا وجود رجل يعرفه وذكره باسمه لعاد إديسون إلى بيته ليسال عن اسمه.

وكان يقول: أنا لم أفعل أي شيء صدفة ولم أخترع أيا من اختراعاتي بالصدفة بل بالعمل الشاق، ويقول أيضًا: إن إنجاز شيء ما يكفل لنا الرضا الوحيد الفعلي في الحياة.

ولا عجب أن نرى حب العمل ليس سرًا من أسرار نجاح الأفراد وحسب، بل هو أيضا من أسرار تقدم الأمم ونهضتها، ومن حب العمل ينتج الإتقان والجودة والتميز.

ومن هنا ففي الصين وبعض الدول الأوروبية والآسيوية يضعون جرس لإنهاء وقت العمل، وذلك بسبب انهماك العمال في العمل وينسون أن فترة العمل انتهت ولا يكفون عن الإنتاج.

وفي تقرير صادر عن الحكومة اليابانية جاء فيه، أن ١٠٪ من الذكور الذين يموتون في اليابان بسبب كثرة العمل، والإجازة في اليابان في السنة أسبوع واحد، واقترحت الحكومة اليابانية تخفيض ساعات العمل من ٤٤ ساعة في الأسبوع إلى ٤٢ ساعة فخرجت المظاهرات من الناس يرفضون تخفيض ساعات العمل.

ولكن كيف يمكن لمن قرر أن يحب عمله أن ينجح في ذلك؟ وللإجابة على

هذا السؤال أنقل لكم نصائح خبير التنمية الإدارية فواز الأحمدي والذي يقول: هذا الأمر ممكن ولكن يحتاج في البداية إلى التوقف عن التذمر والاقتناع أن ذلك لن يجدي نفعًا، ثم يبدأ المرء بالعمل بإيجابية مع العناصر الثلاثة الباعثة على الشعور بالسعادة وهي التفكير والسلوك والمشاعر، فكل منها يؤثر في الآخر ويحقق الرضا الذي يبحث عنه كل من ينشد السعادة سواء كان ذلك في العمل أو في أي أمر آخر، وهذه العناصر تعمل بطريقة متتابعة، فعندما تفكر بطريقة إيجابية تجاه العمل الذي تقوم به سيغير ذلك من سلوكك ويجعل أداءك للعمل أكثر إيجابية فتبدأ في إحراز شيء من النجاح الذي يضفي عليك نوعا من الرضا فتبدأ مشاعرك بالتحسن فتشعر بنوع من السعادة التي تدفعك هي الأخرى إلى مزيد من التفكير الإيجابي وهكذا دواليك.. كلما أقدمت على خطوة إيجابية في عنصر من العناصر قادتك إلى خطوات إيجابية أخرى في العناصر الأخرى.

صور من حياة المتميزين

أحب عمله فأبدع

يروي رجل الأعمال الياباني كازو أنموري في كتابه A PASSION FOR SUCCESS الذي لاقى انتشارا واسعا بعد نشره قصة المعاناة التي كان يكابدها في أول تجاربه العملية، فيقول: إنه بعد تخرجه من الجامعة ترك القرية التي نشأ وترعرع فيها وذهب للمدينة للعمل كمهندس في إحدى الشركات التي لم تكن تقدم له الكثير مما كان يطمح فيه، فالأجر كان ضعيفا ولا مكافآت سنوية تصرف، فلم يكن الوضع مريحا له بشكل عام، حيث كان يسكن في غرفة صغيرة طولها عشرة أقدام وعرضها عشرة أقدام تتوسطها سجادة من الحصير وبها سرير نومه وموقد صغير للطبخ، فهي مكان للنوم والجلوس وهي أيضا المطبخ الذي يعد فيه الطعام، تصور هذا الوضع وكيف يمكن أن يكون عليه حال ومشاعر من يعيش هذه التجربة، فيذكر أنه في يوم من الأيام بعد أن استبد به الإحباط والضيق من الحالة التي يعيشها قرر أن يترك العمل ويبحث له عن عمل آخر، وعندما ذكر ذلك لأخيه الأكبر لم يوافقه على هذا القرار وذكّره أن عائلته بحاجة إلى مساندته وإعانته من الأجر الذي كان يتحصل عليه من هذه الوظيفة، فتراجع عن هذا القرار واستمر في وظيفته، وبعد تفكير عميق في هذا الوضع توصل إلى أن عليه أن يحب عمله وأن يعمل على تحقيق النجاح من خلاله، فبدأ في عمل البحوث والدراسات التطويرية في مجال عمله، وقد كانت الشركة تفتقد لهذا النوع من العمل، فأصبح يحرز شيئا من النجاح الذي لاقى استحسان وتشجيع رؤسائه وحصل من جراء ذلك على المكافآت والترقيات فصار أكثر سعادة بعمله فتحقق له الإبداع والتفوق الذي لم يكن ليحرزه لولا أنه قرر أن يحب عمله، وهاهو الآن رجل أعمال ناجح يملك ويرأس مجالس إدارة عدد من الشركات التي تمكن لاحقا من إنشائها وتكوينها.

كلمات في التميز

■ لكي تنجح.. عليك أن تقع في غرام عملك، إن لم تحب عملك فلا تنتظر النجاح، والنجاح هو أن تحصل على ما تريده، والسعادة هي أن ترغب في ما حصلت عليه.

ديل كارنيجي.

■ ما لم تكن مستعدا لأن تتفوق في عملك فوق المستوى العادي، فأنت لا تستحق أن تشغل أي مكان في القمة.

جيه سي بني.

■ النجاح الحقيقي هو أن تعثر على حياتك المهنية في العمل الذي تحبه.

ديفيد ماكولو

■ عندما يجتمع حب العمل والمهارة معا، يمكنك أن تتوقع تحفة رائعة.

جون روسكين

■ نقطة الانطلاق لكل الإنجازات هي الرغبة، تذكر هذا دائما وباستمرار، الرغبات الضعيفة تجلب نتائج ضعيفة، تماما كما أن قدرا صغيرا من النيران لا يصنع قدرا كبيرا من الحرارة.

نابليون هيل

قراءة في المصطلحات الغربية المترجمة وآثارها

د. غازي التوبة

لقد أدى الاحتكاك بالحضارة الغربية والتعامل معها منذ قرنين إلى نقل كثير من المصطلحات السياسية والدينية والعلمية والاجتماعية إلى تراثنا الفكري، وهو أمر طبيعي، لكن هذا النقل أحدث بلبلة واضطرابا في فضائنا الثقافي والعملي في كثير من الأحيان، والسبب في ذلك هو نقل هذه المصطلحات إلى مناخنا الفكري بدلالاتها المختلفة دون مراجعة خصوصيتها الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية أو الفكرية... الخ، ويمكن أن نمثل على ذلك بعدة مصطلحات، منها مصطلح الطبقة البرجوازية التي تحدث عنها كارل ماركس في كتاب رأس المال، وهي طبقة جاءت بعد المرحلة الإقطاعية، وارتبطت بنشوئها الصناعات الحديثة كالآلة البخارية والآلات الكهربائية ومناجم الفحم... الخ، وجاء ثراؤها من استغلال الطبقة العاملة، ومن سرقتها فائض قيمة العمل الذي تختزنه من أجور العمال، والحقيقة أن تعريف كارل ماركس لهذه الطبقة جاء مرتبطا بالتاريخ الأوروبي بكل ما يحمله من تطورات.

وقد نُقل هذا المصطلح إلى فضائنا الاقتصادي، وأُنزل تماما على واقعنا مع وجود كل المتباينات المسبقة، فليس هناك تطابق بين المرحلة الإقطاعية في أوروبا وفي منطقتنا، وهذه الطبقة البرجوازية في منطقتنا غير مرتبطة بتراكم رأس مالي حقيقي، بل كانت تقوم بدور الوسيط بين الاقتصاد الرأسمالي الأوروبي وبين السوق المحلي، والأهم من ذلك أن نتائج ذلك النقل الحرفي لمصطلح الطبقة البرجوازية كان كارثيا في مرحلة التطبيق الاشتراكي في الستينيات من القرن الماضي في كل من مصر وسورية والعراق والجزائر واليمن... الخ، إذ استتبع هذا المصطلح ممارسة العنف الثوري نحو هذه الطبقة التي لا وجود حقيقيا لها، واستتبع تدميرها من أجل تحقيق مجتمع الكفاية والعدل، واستتبع العزل السياسي لها من أجل حماية المجتمع من شرورها... الخ، إن كل تلك الإجراءات أعاقت النمو الاقتصادي لمنطقتنا، ودمرت الطبقة الوسطى، ومرد ذلك كله لاستخدام المصطلحات الماركسية دون النظر إلى مدى خصوصية التطور الاقتصادي للمنطقة، مع أن كارل ماركس عندما درس الاقتصاد الآسيوي أفرز له حيزا خاصا، واعترف بخصوصية تطوره وتميزه عن الاقتصاد الأوروبي، وأفرز مصطلحا خاصا له سماه «النموذج الآسيوي».

ومن هذه المصطلحات المنقولة أيضا مصطلح «الانحطاط والنهضة»، فقد عرف الغرب في قرونه الوسطى انحطاطًا نتيجة سيطرة الكنيسة على الأمور العلمية، ونتيجة اصطدام رجال الدين مع رجال العلم حول حقائق علمية مثل دوران الأرض وثباتها، وحول مركز الكون أهو الأرض أم الشمس؟... الخ، ثم جاءت مرحلة النهضة التي اعتمدت على العقل، وأطلقته من أسره، واستتبع ذلك اكتشافات واختراعات في مختلف المجالات العلمية والجغرافية والاقتصادية والصحية والعسكرية... الخ، ثم نُقل هذان المصطلحان إلى ثقافتنا الفكرية، وقد استتبع ذلك ضرورة تحقيب تاريخنا الحضاري بصورة مطابقة لما عند الغرب، وضرورة وجود مرحلة انحطاط حضاري ومرحلة تنوير عقلي، ثم مرحلة نهضة، وقد اعتبر الناقلون لهذه المصطلحات أن العصر المملوكي والعثماني هما فترة الانحطاط، وأن فترة التحديث التي بدأها محمد علي باشا في مصر هي بداية النهضة.

وعند التدقيق في هذا نجد أن مواصفات عصر الانحطاط عند الغرب لا تتطابق مع مواصفات العصر الذي أطلقوا عليه الانحطاط عندنا من حيث الانغلاق وموات العقل، وقد فند ذلك د. جورج صليبا في كتاب «الفكر العلمي العربي.. نشأته وتطوره» الذي درس فيه علم الفلك في الفترة المسماه بـ «عصر الانحطاط»، فلم يجد انحطاطا، بل وجد إبداعا وإضافات واكتشافات وفاعلية فكرية تدل على حيوية العقل العربي ونشاطه في تلك المرحلة، وندد بتسمية ذلك العصر «عصر الانحطاط» واعتبرها خاطئة، واعتبرها مسمى دون محتوى، وأشار إلى أن «كوبرنيكوس» نقل نظريته في مركزية الشمس للكون عن بعض العلماء الذين سبقوه في العالم العربي بفترة بسيطة، ودعا إلى إعادة النظر في تسمية «عصر الانحطاط»، وفي التحقيب الشائع لتاريخنا

كاتب فلسطيني

من أنه يبدأ بعصر النشأة، ثم عصر الازدهار والقوة، ثم عصر الانحطاط لأنه مناف لحقائق تطورنا الحضاري.

أما فيما يتعلق بعصر النهضة فقد اعتبر الباحثون عصر محمد علي باشا في مصر بداية لهذه النهضة، وذلك لأن محمد علي باشا أدخل كثيرًا من التحديثات العصرية في مصر التي بدأت أثناء فترة حكمه عام ١٨٠٥، فأنشأ جيشا حديثا على الطراز الأوروبي، وأنشأ معامل لتصنيع بعض الآلات العسكرية، وجلب بعض المدربين الأوروبيين، وعدّل في نظام الري المرتبط بنهر النيل، كما أنشأ بعض السدود من أجل توسيع رقعة الأرض المروية، كما جلب زراعة القطن، وأسس مطبعة بولاق الشهيرة عام ١٨٢١م والتي لعبت دورًا أساسيا في نشر الكتب بالعربية والتركية والفارسية، بالإضافة إلى الكتب المترجمة عن الفرنسية والإنجليزية... الخ.

لاشك أن هذه الإصلاحات أحدثت تغييرا في النواحي الاقتصادية والزراعية والاجتماعية والسياسية... الخ، لكنها لم تحدث نهضة، لأن النهضة تبدأ أولا من رؤية فكرية نحو الواقع الغربي والثقافي والديني والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، تقبل بعض حقائقه وترفض بعضها الآخر، وتصوغه بالتالي حسب تفصيلات منهجية لتصبح الأمة أكثر عافية وأكثر انطلاقا، وهو ما لم يفعله محمد علي باشا في أية صورة من الصور، وقد نقل كثيرا من التحديثات الغربية لكنه لم يفعل ذلك بناءً على رؤية منهجية للواقع، لكنه فعل ذلك تلبية لطموحات فردية يريد بها أن يرسخ ملكه، ويريد أن يوسع رقعة سيطرته، ويتأكد ذلك عندما ننظر إلى اليابان التي أحدثت نهضة وفعل مايجي (أي الإمبراطور المصلح ١٨٦٨-١٩١٢) ما لم يفعله محمد علي باشا، وهو أنه رسم رؤية فكرية لنهضته، وقد بدأ حكمه بإعلان مبادئ الإصلاح الخمسة في ٤ آذار (مارس) ١٨٦٨م وتناولت التأكيد على أولوية المصلحة العامة، وعلى المساواة بين اليابانيين، وعلى ضرورة توحد السلطتين العسكرية والمدنية، وعلى البعثات لاكتساب الثقافة والتعليم العصريين في أي مكان في العالم واستخدامهما في بناء ركائز الإمبراطورية اليابانية.

عرف الغرب في قرونه الوسطى انحطاطًا نتيجة سيطرة الكنيسة على الأمور العلمية

ومن الجدير بالذكر أن الإمبراطور مايجي اتخذ قرارات عدة لتحقيق تلك المبادئ، أبرزها إلغاء بعض الأنظمة القديمة التي كانت تعيق تحقيق الوحدة والمساواة بين أبناء الشعب الياباني، منها: نظام الساموراي، ونظام الطبقات المنبوذة، وقد أقر في المقابل عددا من القوانين والقرارات التي تدفع اليابان باتجاه التحديث والمحافظة على خصوصية اليابان وتقاليده العتيدة، كذلك اتخذ الإمبراطور خطوات عملية في إنشاء الجيش وتدريبه، والإصلاح الزراعي، وفي إصلاح التعليم، وإرسال البعثات التعليمية إلى كل دول أوروبا وأميركا وجلب الخبراء لمختلف الوزارات ... الخ. ومما تجدر الإشارة إليه أيضا أن الإمبراطور مايجي جمع في حاشيته نخبة متميزة من كبار قادة الرأي في اليابان، قرابة ٤٠٠ شخصية من ذوي الاتجاهات المتنوعة والمبادئ المتورة، وطرحت شعارين يعبران عن المرحلة القائمة خير تعبير، الأول «جيش قوي لياباني غنية»، الثاني « تقنية غربية وروح يابانية».

ومن المصطلحات التي برزت مؤخرا مصطلح «المواطنة»، وراج هذا المصطلح بعد انتهاء الحرب الباردة بين القطبين كمصطلح يمكن أن يستوعب جانبا من الاضطراب الاجتماعي الذي تعانيه المنطقة، ومع أن مصطلح المواطنة في الغرب جاء أولا نتيجة وجود الوطن، ولو أخذنا الوطن الفرنسي مثلا، فقد جاء هذا المصطلح مرتبطا بالأمة الفرنسية التي تشكلت بعد مسيرة تاريخية خاصة لعبت فيها العوامل الجغرافية دورًا كبيرًا في تكوينها، وفي صياغة مصطلح «الوطن»، ويرتبط اسم الوطن الفرنسي أيضا بحقوق الإنسان، وبالمجتمع المدني، فالمؤكد أن الذي تكون أولا هو «الوطن الفرنسي» كحقيقة موضوعية، وقيمة واقعية، وحوى كل تلك المضامين من التجانس الثقافي والاجتماعي والوجداني والاقتصادي... الخ، وحوي مضامين حقوق الإنسان والمجتمع المدني والأمة الفرنسية والقومية الفرنسية... الخ، ثم جاء مصطلح «المواطنة الفرنسية» التي تعني الارتباط بتلك القيمة، والتي أفرزت التساوي بين كل أفراد الوطن الفرنسي في الحقوق والواجبات.

ولكن الذي حدث أننا عندما أنزلنا مصطلح «المواطنة» على واقعنا، نسينا أنه لم يتشكل «الوطن» كحقيقة واقعية وكقيمة موضوعية، وإنما تشكل «الوطن» كمسمى سياسي ونتيجة ظروف سياسية معينة، وخير مثال على ذلك العراق الذي تشكل بعد الحرب العالمية الأولى بقرار سياسي من الحلفاء، فضم الموصل بعد أن كانت الموصل أقرب إلى تركيا، وسلخ منه دير الزور وألحقها بسورية مع أنها أقرب إلى البيئة العراقية، لذلك برز العراق كيانًا سياسيًا ولم يتكون «الوطن العراقي» كحقيقة موضوعية، لذلك نخطئ عندما نطلب الثمرة قبل أن نزرع البذرة، فعلينا أن ندعم في أوطاننا عناصر الوحدة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية... الخ، لنكوّن «وطنًا واحدًا»، ثم ندقق في وجود «المواطنة»، فذلك أجدى قبل أن نتحدث عن «المواطنة» ونحن نمزق ما هو موحد، ونفرق ما هو مؤتلف.

شهدنا- في السطور السابقة- مدى الاضطراب الذي أحدثته ثلاثة مصطلحات غربية في مناخنا الثقافي وواقعنا الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ...الخ، والسبب في ذلك إنزالها على واقعنا دون تمحيص وتدقيق في أصل حمولتها الفكرية ومحتواها الثقافي، ودلالاتها المختلفة وكيفية تبلورها، لذلك فالقيادات الفكرية مدعوة إلى مراعاة كل هذه الحقائق عند التعامل مع المصطلحات الغربية المترجمة، حتى تتجنب أمتنا مزيدا من الفوضى واللاجدوى.

المصطلحات الصهيونية ثقوب في بنائنا الفكري

السنوسي محمد السنوسي

يظل العقل المسلم مُطالَباً باستمرار بأن يعمل على تحصين بنائه الفكري، ومنهجه الربّاني المتفرّد، وأن يكون يقظًا من أن يتسرب إلى وعيه ما يناقض أصوله، أو يبدّل ثوابته، أو يصرفه- ولو قليلا- عن مهمته ومسؤوليته.
ومن المعلوم- لدى دارسي تاريخ الحضارات وطرق تَفاعلها وتلاقحها- أن الأفكار لا تتسرب من حضارة إلى أخرى دفعة واحدة؛ إنما تبدأ في الانتقال تدريجيًا فكرة بعد فكرة لتأخذ مكانًا ثابتًا في الحضارة المنقولة إليها، حتى تشكِّل- حينئذ- ثقوبًا في البناء الفكري لتلك الحضارة يصعب الفكاك منها أو تنقيتها.

والأداة التي تسلكها الأفكار والمفاهيم للنفاذ والانتقال تتمثل بالدرجة الأولى في المصطلحات، ومن هنا تأتي أهمية النظر والتدقيق في استعمال المصطلحات الوافدة قبل إدخالها في البناء الفكري والخصائص الذاتية لحضارتنا؛ لأن المصطلحات- في أي لغة- ليست وعاءً لغويًا فحسب، إنما هي مضمون يدل على الذات والهوية الحضارية التي تنبع منها.

● والمتأمل في مسيرة صراعنا مع الصهيونية- مثلاً- ومن ورائها الغرب الاستعماري الذي زرع الكيان الصهيوني في قلب العالم الإسلامي لتفتيته والسيطرة عليه يجد أنهم قد شنُّوا بجانب عدوانهم العسكري على أرض المسلمين ومقدساتهم، حرباً أخرى موازية- لا تقل ضراوة- على المنهج الإسلامي بأفكاره وقيمه وثوابته، واستخدموا في ذلك عشرات بل مئات المصطلحات لتشويه الحقائق، وتزييف التاريخ، وإحداث ثقوب وخروقات في بنائنا الفكري، بحيث أصبحنا نعيش في زمن تغيير الخرائط «الإدراكية» والمصطلحات والمفاهيم، كما هو الحال في تغيير الخرائط «الجغرافية»! فهم حين يتحدثون عن «الشرق الأوسط» يهدفون إلى تغيير هوية البلاد العربية والإسلامية، وإدخال الكيان الصهيوني في علاقات ثقافية واقتصادية مع الشعوب العربية، وحين يتحدثون عن «القدس الشرقية والقدس الغربية» فإنهم يقصدون انتزاع حق المسلمين الثابت في استعادة كامل مقدساتهم، كما أنهم يطلقون وصف «الإرهاب والعنف» على جماعات المقاومة، ويعملون على الخلط بين حق الشعوب في الدفاع عن نفسها وبين أعمال العنف والقتل غير المبررة شرعًا وقانونًا. ويتحدثون أيضًا عن «المدنيين» الإسرائيليين في محاولة منهم للإيحاء بأن الكيان الصهيوني مثل باقي دول العالم، به مدنيون وعسكريون، بينما يتعامون عن حقيقة ثابتة وهي أن الكيان الصهيوني جيش له دولة، وليس دولة لها جيش!

والأدهى من ذلك أن نجد من بين العرب مَن يتحدث عن عذابات اليهود على مرّ التاريخ، وأن الوقت قد حان لإنهاء كل هذه المعاناة! في حين يتجاهل تمامًا الحديث عن الاضطهاد الواقع على الفلسطينيين؛ مع أن سبب معاناة الفلسطينيين هم اليهود، في الوقت الذي لم يكن فيه الفلسطينيون سببًا لمعاناة اليهود!

بل وجدنا من يحاول إبراز اغتصاب اليهود لفلسطين والصراع بينهما؛ وكأنه أمر يخص الفلسطينيين والإسرائيليين وحدهما، وليس صراعًا يشمل الأمة الإسلامية كلها؛ دفاعًا عن مقدساتها وأراضيها الإسلامية.

إن الإسلام كما عُني بتصحيح العقائد

أستاذ علم النفس في جامعة الإسكندرية

الاسرائيليون يتجاهلون حقيقة ثابتة هي أن الكيان الصهيوني جيش له دولة وليس العكس

والتصورات، ونَقل الناس من عبادة الأوثان إلى التوحيد الخالص، والإيمان النقي، والفطرة السليمة، فإنه عُني- أيضًا- بضبط الألفاظ التي هي وعاء لتلك التصورات؛ ليكون الوعاء والمضمون متناسقين غير متناقضين، لذا نبّه القرآن الكريم إلى ضرورة التفرقة بين لفظ وآخر حين يختلف معناهما، قال تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات: ١٤)، فقد أمَرِ الأعراب باستعمال لفظ «الإسلام» بدلاً من «الإيمان»، وأخبرهم أنهم قد دخلوا في الإسلام ولكن لم تتحقق قلوبهم بعد بالإيمان.

وحذر القرآن أيضًا من استعمال الألفاظ التي يستعملها غير المسلمين، خاصة إذا اختلفت دلالاتها، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٠٤).

قال القرطبي في تفسيره: «حقيقة راعنا في اللغة: أرْعنا ولنَرْعك؛ لأن المفاعلة بين اثنين؛ فتكون من رعاك الله، أي: احفظنا ولنحفظك، وارقبنا ولنرقبك، ويجوز أن تكون من أرعنا سمعك، أي: فرّغ سمعنا لكلامك، قال ابن عباس: كان المسلمون يقولون للنبي ﷺ: راعنا على جهة الطلب والرغبة- من المراعاة- أي: التفت إلينا، وكان هذا بلسان اليهود سبًّا، أي: اسمع لا سمعت، فاغتنموها وقالوا: كنا نسبّه سرًّا، فالآن نسبه جهرًا؛ فكانوا يخاطبون النبي صلى الله عليه وسلم ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعد بن معاذ، وكان يعرف لغتهم، فقال لليهود: عليكم لعنة الله، لئن سمعتها من رجل منكم يقولها للنبي صلى الله عليه وسلم لأضربن عنقه، فقالوا: أولستم تقولونها؟! فنزلت الآية، ونُهوا عنها؛ لئلا يقتدي بها اليهود في اللفظ ويقصدون المعنى الفاسد».

إن المصطلحات ليست منبتة الصلة عن الحضارة التي تنشأ في أحضانها؛ فالحضارة- أي حضارة- بما تنتجه من قيم ومفاهيم ومصطلحات تشبه- كما يذهب نفر من الباحثين- الكيانَ العضويّ الواحد، بحيث لا نستطيع أن نفصل عضوًا عن بقية الأعضاء، بل يكون كل عضو بحاجة إلى بقية الأعضاء حتى يؤدي هو ذاته عملَه على أتم وجه!

ومن ثم نستطيع أن نقرر أن نقل الألفاظ من بيئة حضارية إلى بيئة حضارية أخرى، من دون الأخذ في الاعتبار الأجواء والملابسات التي تولّدت فيها تلك الألفاظ يؤدي بالضرورة إلى حالة من التلبيس والتدليس الفكري.

ولسنا بتأكيدنا على ضرورة استخدام المصطلحات التي عرفت بها حضارتنا وتميزت بها ندعو إلى الانكفاء على الذات، أو الانغلاق عن التواصل مع الآخرين، أو نرفض الاستفادة من الخبرات والمنجزات الحضارية التي هي إرث مشترك للإنسانية كافة، إنما نقصد التأكيد على ذاتنا الحضارية وتعميقها، ورفض الذوبان أو «الدمج» في الحضارات الأخرى، كما نشدد بذلك على ضرورة التحاور مع الآخرين من مواقعنا وقيمنا الثابتة وبنائنا الفكري المتفرّد.

الحياة الروحية في الإسلام

د. عبد الفتاح العيسوي

لاشك أن الدين الإسلامي الحنيف قد اشتمل على مبادئ روحية لا يوجد لها نظير في أي دين من الأديان، ومعروف أن الإنسان يتكون من عنصرين: عنصر مادي ينمو ويتحرك، وآخر بريء من المادة، وله مظاهر خاصة كالتفكير والتخيل أو التصور والاستدلال أو الإستنتاج والإدراك الحسي أو العقلي والعلم والإرادة والحب والبغض والخلق الكريم أو الذميم، ولكل من هذين العنصرين ميول ورغبات يسعى صاحبها إلى تحصيلها فاللجسم شهواته وملذاته من طعام وشراب وجنس وغير ذلك، وللروح مدارج في الترقي يمكن أن تنال منها حظوظاً متفاوتة حسب سعيها ومجاهدتها، ففي اتصال الروح بالبدن ألوان من البلاء، وذلك حين يكون الفرد عبداً لشهواته ونزواته وملذاته فلا يرغب في الحياة إلا ألوان الطعام والشراب وسائر أنواع الشهوات والملذات ويخضع لمطالب المادة، لذلك جاء القرآن الكريم بتشريع روحي قوامه الإيمان بالله والتحقق بمعرفته معرفة يقينية لا يأتيها الشك، تسمو بالفرد، وتجعله فرداً صالحاً في المجتمع الإنساني، وتنقذه من الأزمات النفسية التي تجتاحه نتيجة عدم معرفته سر هذا الكون، ثم دعا القرآن الإنسان أن يجاهد نفسه ويكبح جماحها ويروضها على فعل الخير.

مما لا يدع مجالا للشك أن إنسان العصر يحتاج الى ثقافة روحية وذلك لاعتقاده أنه بتقدمه المادي المطرد قد يبلغ مرتبة الكمال، إلا أن التقدم التكنولوجي الذي وصلنا إليه في عصرنا الحالي لم يؤت ثمرته المرجوة من إسعاد البشرية، بل على العكس جلب التعاسة والخراب الناجمين عن الحروب المتلاحقة، فمازال القوي يفترس الضعيف، ومازال الاستعمار ينشب مخالبه في صدر الشعوب الضعيفة، ومازالت الاجناس تبغض بعضها البعض، كل هذا دليل على إفلاس الحضارة المادية وافتقارها وخلوها من القيم الدينية والروحية الأصيلة، وقد ذهب «اندروكو نواي ايفي» أستاذ الفسيولوجيا بكلية الطب بجامعة شيكاغو الى ان النواحي الروحانية والأخلاقية من حياة الإنسان لها أهمية كبيرة في سلامته ورفاهيته وشعوره بالسعادة، هذه الأهمية تفوق إدراكه ومعرفته وسيطرته على الطبيعة.

فإحاطتنا بالعلوم الطبيعية تزيد من فهمنا للعالم الذي نعيش فيه، وتزيد من مناهجنا في تحسين الانتاج وتوزيع الضروريات وسبل الاستمتاع بالحياة، وتقلل من الآلام، وتيسر كل سبل الحياة، ومع ذلك فان المشكلة العظمى في عصرنا الحالي تعد مشكلة أخلاقية ودينية، فهي تدور حول كيفية استخدام الطاقة الذرية أو النووية لتحقيق صالح البشر وسعادتهم ورفاهيتهم، من أجل ذلك قامت بعض الجمعيات في سويسرا (جمعية التسلح الخلقي) ترمي الى تغيير اتجاهات المجتمع وأفراده عن طريق تسليح كل فرد بمبادئ أهمها الاتجاه إلى الله والانصياع لأوامره ونواهيه، وأن يحاسب الإنسان نفسه كلما أذنب مصمما على اجتناب الرذائل، وأن يتعاون كل أفراد المجتمع على تحقيق هذه المبادئ كي تسود المجتمع كله، هذا وكان لإسلامنا الحنيف فضل السبق في الإتيان بالأسس الروحية التي تكفل الاستقرار والطمأنينة والسكينة والسلام والإخاء لكل سكان الأرض، تلك الأسس التي لاتزال مجهولة لكثير من الشعوب ومفكري الإنسانية الذين يبحثون عن أفضل الوسائل لنشر السلام والمحبة والمودة في ربوع العالم.

المنهج الروحي في الإسلام

يمتاز الدين الإسلامي عن غيره من الأديان بالتوسط والاعتدال بين مطالب الروح ومطالب البدن فهو لا يأمر المسلم أن يحرم نفسه من المتع والملذات المادية طالما يتناولها عن طريق مشروع وفي حدودها المعتدلة، ولا يخفى على أحد أن أكثر الآيات القرآنية

الدين الإسلامي يمتاز عن غيره من الأديان بالتوسط والإعتدال بين مطالب الروح ومطالب البدن

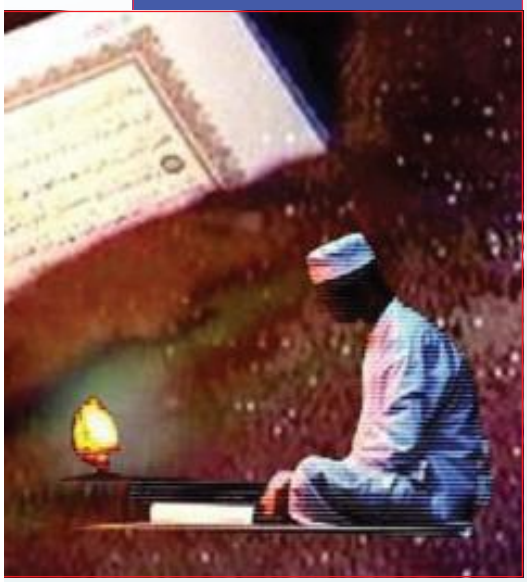

باحث وكاتب صحفي

التقدم التكنولوجي لم يؤت ثمرته المرجوة من إسعاد البشرية بل جلب لها التعاسة والخراب

تحض على طلب المنزلتين الروحية والمادية معاً منها قوله تعالى:﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك﴾ (القصص-٧٧)، بل لم يقف إسلامنا العظيم عند هذا الحد فأباح التجمل بأنواع الزينة، والتمتع بالمشتهيات المشروعة بشرط الاعتدال قال تعالى: ﴿يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين. قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ (الأعراف:٣١-٣٢)، فضلا عن إرشاد المؤمنين إلى ما ينبغي أن يكون عليه دعاؤهم الذي يجمع بين مطالب الدنيا والآخرة ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ (البقرة-٢٠١)، والحق أن ماذهب اليه الإسلام من الجمع بين مطالب الروح والمادة هو ما تقبله الفطرة الإنسانية السوية، فالله سبحانه وتعالى لم يخلق للإنسان شهواته وقواه الطبيعية عبثاً أو لإخمادها بالرياضة النفسية، ولكنه خلق الإنسان على هذه الصورة من تنوع الغرائز ليتمكن من السيطرة عليها وتوجيهها إلى المثل العليا.

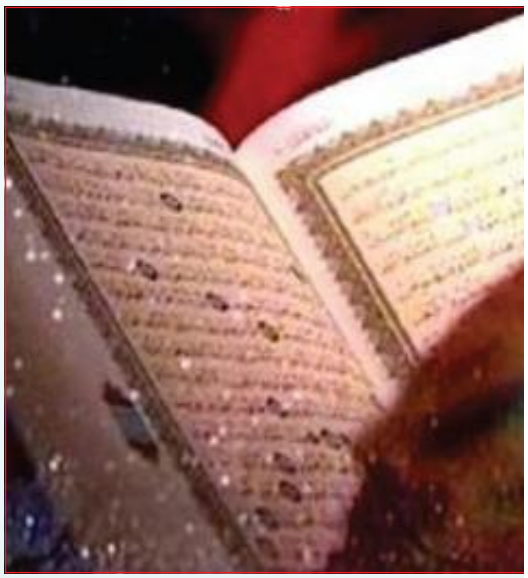

فالحالة الوسطى بين الروحانية المتطرفة والمادية المغالية أمر تستدعيه حياة المجتمع، والإسلام لم يقم الوسطية بين الروح والبدن ذهاباً منه إلى أنهما متساويان في الدرجة، ولكن الحكمة الإلهية اقتضت أن يكون الإسلام مبنياً على قواعد العلم، ونواميس الطبيعة، وقد قرر العلم أن العقل السليم في الجسم السليم، وان السمو الروحي لا يحصل من حرمان البدن وعدم إشباع حاجاته ولكن إشباعها بالطرق المشروعة وفي دائرة الاعتدال، ومع ذلك يؤكد القرآن الكريم أن الحياة الأخرى خير من الحياة الدنيا، وأن الكمال الروحي هو الهدف أو الغاية التي ينبغي أن يتجه إليها كل مسلم.

فعلى من ينشدون السعادة النفسية أن يحذروا البخل، ولكن دون تهور في الرذيلة المعاكسة وهي التبذير، قال الله تعالى في وصف المؤمنين الكاملين: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾ (الفرقان-٦٧).

القرآن يخفف من شرور المال

لقد بلغ الصراع على المال أشده في هذا العصر، فقد صرف البعض عن ربهم وعن الأخذ بالقيم الروحية والاخلاقية، ولذلك، توجهت تعاليم القرآن للتخفيف من شرور المال وبيان أضراره وحذرت من الانقياد الكلي له كي لا يفتنهم عن دينهم ويلهيهم عن ذكر الله تعالى وجاء في وصف المؤمنين ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ (النور-٣٧)، كذلك نهى الإنسان عن الفرح بالمال لأنه يؤدي أيضا الى الخيلاء والعجب فيؤذي الفقراء والمحرومين ولذلك كان هذا النوع من الفرح مكروهاً ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ (القصص-٧٦)، هذا وقد حث الله المؤمنين على الاستعاضة عن ذلك بشكر الله على نعمه، فينبغي على الإنسان أن يكون له هدف أسمى من ذلك وهو الفرح بفضل الله ورحمته كما يتبين ذلك من قوله تعالى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ (يونس-٥٨).

المراجع

١- القرآن الكريم
٢- عباس محمود العقاد، الفلسفة القرآنية، دار المعارف، القاهرة.
٣- أحمد أمين، الأخلاق، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
٤- سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، لجنة النشر للجامعين، القاهرة.
٥- محمد جلال شرف، دارسات في التصوف الإسلامي، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية ١٩٨٣م.
٦- عفيف عبدالفتاح طبارة، روح الدين الإسلامي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
٧- أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، دار القلم - بيروت- لبنان.

المسلمون في الغرب بين الاندماج والمحافظة على الهوية

أحمد أبوزيد

الناظر إلى واقع المسلمين اليوم في أوروبا، من حيث العدد والنمو والأوضاع العامة، يدرك أن الإسلام أصبح أحد مكونات المجتمع الغربي، وأن واقع المسلمين هناك ووجودهم يتطور نحو الثبات والاستقرار.

فالأقليات المسلمة في أوروبا يشكلون وجودا حقيقيا ذا فعالية على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، ورغم عدم وجود إحصاء رسمي يبين حجم الأقلية المسلمة في دول أوروبا، فإن المصادر الإسلامية تقدر عدد المسلمين هناك بـ ٥٥ مليونًا من أصل ٥٠٧ ملايين هم عدد سكان القارة الأوروبية.

وتختلف أوضاع الأقليات الإسلامية في أوروبا من دولة إلى أخرى حسب الوضع القانوني السائد في تلك الدولة، وتبعًا للشعور العام السائد داخل المؤسسات الحكومية الأوروبية تجاه الإسلام، فبعض الدول تنظر إليه نظرة توجس وريبة، مما ينعكس على التسهيلات الممنوحة لتلك الأقلية، وخاصة فيما يتعلق باستخراج تصريحات بناء المساجد وإقامة المراكز الإسلامية، في حين يتضاءل هذا الشعور في دول أخرى.

وتعتبر مشكلة التردد بين العزلة والاندماج أهم ما يؤرق الأقليات المسلمة في الغرب، كما تشكل الهوية الإسلامية والخوف عليها من الذوبان في ثقافة الآخر التحدي الأول لها، خاصة لدى الأبناء من الجيلين الثاني والثالث الذين حصلوا على جنسية البلدان المقيمين فيها، وأصبحت لهم حقوق مواطنة كاملة.

وتحاول تلك الأقليات الحفاظ على هويتها الإسلامية، لكن ضعف الإمكانات والموارد وندرة الدعاة المتخصصين يقفان عائقا دون تحقيق ما تصبو إليه، مما ينعكس سلبًا على أوضاعها الاجتماعية والثقافية، ويزيد من حدة هذه المشكلة عدم وجود لوبي عربي وإسلامي قوي يدافع عن حقوق تلك الأقليات أمام الحكومات الأوروبية.

الهوية الإسلامية والخوف عليها من الذوبان في ثقافة الآخر التحدي الأول لمسلمي أوروبا

اندماج المسلمين

وإشكالية اندماج المسلمين داخل المجتمعات الغربية غير المسلمة كانت محور مناقشات المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث في دوراته التي عقدت في الفترة الأخيرة، وحضرها عدد كبير من العلماء والباحثين من مختلف الدول والجاليات الإسلامية.

ولعل طرح هذه القضية المهمة يأتي من المخاوف التي تدور في أذهان كثير من مسلمي الغرب حول المفاهيم المختلفة للاندماج، وكيفية الحفاظ على الهوية والذاتية الإسلامية في ظل الاندماج الكامل في المجتمع الغربي، فمن المعروف أن سياسات الاندماج المتبعة في الدول الأوروبية تتراوح بين اتجاهين، أولهما اتجاه متطرف يغلّب جانب الانصهار في المجتمع، ولو أدّى ذلك إلى التخلي عن الخصوصيات الدينية والثقافية للفئات المندمجة، والثاني اتجاه معتدل يرى ضرورة الموازنة بين مقتضيات الاندماج، ومقتضيات الحفاظ على الخصوصيات الثقافية والدينية للجاليات الإسلامية.

ولا شك أن الاتجاه الثاني هو المطلوب بالنسبة للمسلمين في الغرب، وهو الاندماج الإيجابي، الذي يجب أن تحدد مقتضياته بوضوح، وهذا هو ما أكده مجلس الإفتاء الأوروبي، وسعى الى مناقشة مقتضياته وأسسه، حيث خلصت المناقشات الى أن اندماج المسلمين في المجتمعات الأوروبية مسؤولية مشتركة بين المسلمين أفرادًا ومؤسسات من جانب، وبقية المجتمع الأوروبي من جانب آخر، وأن مواطنة المسلمين في المجتمع الأوروبي واندماجَهم فيه أمر مشروع من حيث المبدأ، تسعه مقاصد الاسلام، إذ إن هذه المواطنة تمثل جسرًا بين العالم الأوروبي والعالم الإسلامي، مما يعود على العلاقة بين الطرفين بالخير، ولا يتعارض اندماج المسلمين مع مبدأ الولاء والبراء، فهذا إذا ما أعيد إلى معناه الأصلي الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، فإنه لا يتعارض مع مواطنة المسلمين وتفاعلهم مع المجتمع الأوروبي.

وحول الأهداف المستقبلية للاندماج والمواطنة استعرض المجلس مجموعة من البحوث، انتهت الى أن الاندماج المعني هو الاندماج الإيجابي، وأن المشاركة الحضارية، التي تعني الانخراط في التنمية الحضارية أخذًا وإعطاءً من شأنها حين تصبح ثقافة للمسلمين أن تيسر الاندماج الإيجابي والمواطنة الصالحة، وأن اندماج المسلمين ينبغي أن يكون اندماجًا فاعلًا، يقدمون لمجتمعهم الخير المادي والمعنوي.

اندماج أم ذوبان؟

وتخوفت مجموعة من البحوث الأخرى حول قواعد وضوابط الاندماج من أن الاندماج محفوف بالمزالق، وأنه مُعرض إلى أن ينتهي بالذوبان، كما حدث في تجارب سابقة للمسلمين، لذلك ينبغي أن تُحدّد للاندماج ضوابط

كاتب صحفي

وقواعد تسير به في مساره الوسط المُنتج، وتعصمه من الانعزال أو الذوبان، وقد عرضت البحوث في هذا المحور عددًا من الضوابط والقواعد لضبط الاندماج ومنها:

١ - تحديد معنى الاندماج المطلوب، وتحديد محتواه، بحيث يتميز عما يُراد منه من قبل بعض الجهات، حيث تعني به الذوبان. وقد دعا في هذا الصدد بعض المشاركين إلى أن يسعى المجلس إلى التحاور مع المؤسسات الأوروبية للاتفاق على مفهوم مشترك للاندماج.

٢ - أن يكون مُقيّدًا بالمحافظة على خصوصية المسلم الممثلة في العقيدة والشعائر والأخلاق والأحكام الشرعية، خصوصًا ما كان منها قطعيًا، وأن تكون المرونة فيه في سياق ما هو قابل للاجتهاد من أحكام الدين.

٣ - أن يتم من خلال احترام القوانين التي تُنظم المجتمعات الأوروبية، وهذه القوانين فيها سعة للاندماج الإيجابي ولكنها غير مستثمرة من قبل المسلمين.

٤ - أن يكون مبنيًا على أساس من البحث العلمي للواقع الأوروبي.

٥ - أن يقوم على استثمار الفرص والإمكانات الكثيرة المُتاحة في المجتمع الأوروبي.

٦ - أن يكون قائمًا على أساس من الحوار المستمر مع مُكونات المُجتمع الأوروبي الثقافية والسياسية والاجتماعية.

سبل الاندماج وآلياته

وناقشت مجموعة من الأبحاث الأخرى سُبُل الاندماج وآلياته، لتخلص إلى أهمية القيام بوظيفة الدعوة في تحقيق الاندماج الإيجابي، ومراعاة مقتضيات الواقع الأوروبي، وتلافي الأخطاء الكثيرة الحاصلة اليوم في هذا الشأن، ووجوب تأكيد الاهتمام بالتعريف بالإسلام وأسسه وقيمه لدى أهل الغرب، كضرورة لقبولهم اندماج المسلمين بصفة إيجابية، وتزكية الفرد والجماعة المسلمة؛ وذلك للارتقاء به وبها إلى مستوى المثالية والقدوة في المجتمع الأوربي.

ومن سُبُل الاندماج الإيجابي الاعتناء بالدور المهم لمؤسسة الأسرة، إذ هي المحضن الذي يتربى فيه الفرد على هويته الإسلامية، وعلى العلاقة بمجتمعه الذي يعيش فيه بالتفاعل المثمر. كذلك هي المحضن الأول لتمكين صفة المواطنة الصحيحة المقتضية احترام المُجتمع والسعي في تحقيق مصلحته، مع بذل الجهد في تأهيل الأسرة المسلمة لتقوم بدورها الفاعل في القيام بدور الاندماج الإيجابي.

وتأتي بعد ذلك سائر المحاضن المؤثرة في تكوين شخصية المسلم، كالمدرسة الإسلامية، والمركز والمسجد والنادي، جميعها في سياق التأهيل لاندماج إيجابي في المجتمع الأوروبي.

وأكدت البحوث أهمية دور المنظمات الإسلامية في أوروبا في الاندماج الإيجابي، وذلك بدءًا بالتوعية بالمفهوم الصحيح للاندماج، والتمكين لثقافة «المؤسسة» في المسلم الأوروبي، إذ إن هذا المجتمع الذي يعيش فيه مجتمع مؤسسي، ولا يمكن الاندماج فيه إلا من خلال هذه الثقافة التي تمكّن المسلم من التعامل مع المجتمَع تعامل المشاركة المنتجة التي هي باب مهم من أبواب المجتمع. ولا يخفى ما للمؤسسات من دور مهم في الانفتاح على المجتمع الأوروبي فيعرّف من خلالها بالإسلام وقيمه، وتكون جسرًا بينه وبين المسلمين في أوروبا، وهذا سبب لتحقيق الاندماج الفاعل.

أسس الاندماج الايجابي

ويرى مجلس الإفتاء أن من واجبات المواطنة التعايش واحترام الآخر، والتزام القيم الأخلاقية كالعدالة والتعاون على الخير، والنصح من خلال القوانين السائدة لإصلاح ما يضر البلاد أو العباد.

ومن أهم مقتضيات الاندماج التي تُطلب من المسلمين، والتي لا حرج فيها عليهم، بل إن الإسلام يحث عليها ما يلي:

١ - ضرورة معرفة لغة المجتمع الأوروبي وأعرافه ونظمه، والالتزام تبعًا لذلك بالقوانين العامة، في ضوء قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾(المائدة:١)

٢ - المشاركة في شؤون المجتمع والحرص على خدمة الصالح العام، عملا بالتوجيه القرآني: ﴿وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾ (الحج:٧٧)

٣ - العمل على الخروج من وضع البطالة؛ ليكون المسلم فاعلًا منتجًا يكفي نفسه وينفع غيره، عملًا بالهدي النبوي الشريف: «اليد العليا خير من اليد السفلى، فاليد العليا هي المنفقة، واليد السفلى هي السائلة».

ومن أهم مقتضيات الاندماج التي يجب أن يحققها المجتمع:

١ - العمل على إقامة العدل وتحقيق المساواة بين جميع المواطنين في سائر الحقوق والواجبات، وبالخصوص حماية حرية التعبير والممارسة الدينية، وكفالة الحقوق الاجتماعية وعلى رأسها حق العمل وضمان تكافؤ الفرص.

٢ - مقاومة مظاهر العنصرية والحدّ من العوامل

المغذية لمعاداة الإسلام، وخصوصًا في مجال الإعلام.

٣ - تشجيع مبادرات التعارف الديني والثقافي بين المسلمين وغيرهم، بما يحقق التفاعل بين أبناء المجتمع الواحد.

ولتحقيق الاندماج الإيجابي المتوازن دعا المجلس المسلمين في الغرب إلى العمل على حفظ شخصيتهم الإسلامية، دون انغلاق وانعزال أو تحلل وذوبان في المجتمع، وإلى إقامة المؤسسات الدعوية والتربوية والاجتماعية اللازمة لذلك، كما دعا المجتمعات الأوروبية، وخصوصًا الهيئات المعنية بقضية الاندماج، إلى الانفتاح على المسلمين، والتواصل مع المؤسسات الإسلامية، كالمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، لدراسة مقتضيات الاندماج وتيسير السبل المحققة له، بما يفيد المجتمع ويدعم استقراره وازدهاره، وبما يمكّن المسلمين من الحفاظ على هويتهم الإسلامية الأوروبية.

التمييز ضد المسلمين

وفيما يتعلق بأصحاب القرار ومؤسسات المجتمع المدني، طالب المجلس بالسعي للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المسلمين، والتي يلمسونها في بعض المعاملات والدوائر الأوروبية، وفتح قنوات الاتصال مع الأقليات المسلمة على جميع المستويات، وإقامة برامج ودورات لتعريف المسلمين بالقوانين السائدة والحقوق والواجبات، وفتح باب العمل والدراسة أمام المسلمين ومعاملتهم كغيرهم من الأقليات من دون تحيز، وتنبيه وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة إلى تبني الموضوعية في تناولها لقضايا الإسلام والمسلمين.

كما أوصى المسلمين المقيمين في أوروبا بمراعاة الحقوق كلها، وأن يعطوا الصورة الطيبة والقدوة الحسنة من خلال أقوالهم وتصرفاتهم وسلوكهم، وأن يلتزموا بما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وأجمع عليه فقهاء الإسلام، من وجوب الوفاء بمقتضيات المواطنة أو عقد الإقامة، والالتزام بالقانون والنظام العام في البلاد التي يعيشون فيها، وأن يجتنبوا العنف بكل صوره ومظاهره، وأن يكون أسلوبهم الرفق والرحمة والحكمة في التعامل مع الناس جميعًا كما يأمرهم الإسلام، وأن ينكروا على كل من حاد عن هذا الطريق الإسلامي السوي.

ووجه المجلس نداءه للمسلمين عامة والمقيمين في أوروبا خاصة، بالاعتصام بحبل الله تعالى، والأخوّة والسماحة والوسطية والتعاون على البر والتقوى، والتزام الحوار الهادئ والأساليب السليمة في معالجة قضايا الخلاف، بعيدًا عن مناهج التشدد ومسالك التطرف التي تشوه صورة الإسلام، وتسيء أبلغ الإساءة إلى المسلمين عامة، وإلى الأقليات المسلمة خاصة، فيتلقفها خصوم الإسلام والجاهلون به للتشنيع عليه والتخويف منه ومن أهله واستعداء الأمم عليهم.

الأزهر يفقد شيخه

فقد الأزهر الشريف والأمة الإسلامية (يوم الأربعاء ٢٤ ربيع الأول ١٤٣١هـ الموافق العاشر من مارس ٢٠١٠م) فضيلة الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الجامع الأزهر عن عمر ناهز اثنين وثمانين عاما، على أثر أزمة قلبية تعرض لها خلال وجوده بالعاصمة السعودية الرياض، وقد تم نقل الفقيد على الفور إلى مستشفى قريب حيث فاضت روحه إلى بارئها.

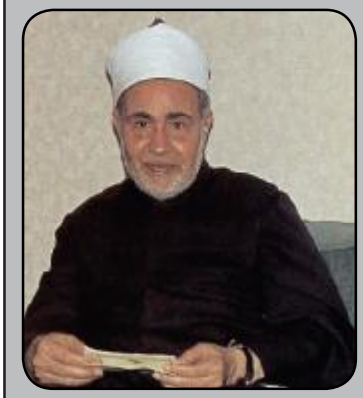

وقد نقل جثمان شيخ الأزهر على متن طائرة خاصة إلى المدينة المنورة، حيث ووري الثرى في مقبرة البقيع.

وكان يرحمه الله قد عين مفتيا لجمهورية مصر العربية في ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٨٦م، وعين شيخا للأزهر خلفا للشيخ جاد الحق علي جاد الحق بعد وفاته عام ١٩٩٦م، ترك الفقيد الراحل عددًا من المؤلفات من أهمها:

«التفسير الوسيط للقرآن الكريم» في خمسة عشر مجلدا، وفي أكثر من سبعة آلاف صفحة، وقد طبع هذا التفسير عدة طبعات، وكتبه فضيلته في بضعة عشر عاما، وكتاب «بنو إسرائيل في القرآن والسنة» ويقع فى مجلدين، وتزيد صفحاته على ألف صفحة، وقد طبع أيضا عدة طبعات، وكتاب «الدعاء»، وقد طبع أكثر من عشر طبعات ، و«كتاب السرايا الحربية فى العهد النبوي» ومن مؤلفاته كتاب «القصة في القرآن الكريم»، وله كثير من البحوث والمقالات التي شارك بها في المؤتمرات العلمية المتعددة، وفي المجلات العلمية المتخصصة، بالإضافة إلى كثير من الخطب والمحاضرات المرئية والمسموعة والمقروءة.

رحم الله الشيخ رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

من العلماء العاملين والدعاة المجددين العلامة الزاهد المقرئ

الشيخ عبدالغفار الدروبي - يرحمه الله

١٣٣٨- ١٤٣٠هـ - ١٩٢٠- ٢٠٠٩م

غيب الموت يوم الجمعة التاسع عشر من المحرم ١٤٣٠هـ العلامة الزاهد المقرئ الشيخ عبدالغفار بن عبدالفتاح بن عبدالسلام بن يوسف بن عبدالغني الدروبي، الحمصي مولدًا ونشأة، والمكي سكنًا وإقامة.

كان يرحمه الله صاحب حياة حافلة بالعطاء، لطيف المعشر حسن المعاملة صاحب وقار، جمع بين مكارم الأخلاق، عالما يتفجر العلم من جوانبه، حافظا للقرآن الكريم، مجازا بقراءاته العشر، عارفا بالتفسير وأصول الدين، وبالحديث ومعانيه وفقهه، وبالنحو وفروعه، وبالفقه وأصوله.

ولد الشيخ- يرحمه الله - في حمص (١٣٣٨هـ-١٩٢٠م) لأسرة كريمة عريقة في العلم والنسب، فوالده الشيخ عبدالفتاح بن عبدالسلام الدروبي المتوفى (١٣٨٨هـ - ١٩٦٦م) العالم المقرئ والفقيه الداعية.

اعتنى به والده عناية فائقة، فدفع به إلى الكتاب ليتعلم أصول القراءة والكتابة على شيخ الكتّاب، ثم ألحقه بالمدرسة الشرعية الوقفية حين بلغ من العمر عشر سنوات، وهي المدرسة الشرعية الأولى التي أسست في حمص سنة (١٣٤٧هـ - ١٩٢٧م) على يد نخبة من كبار علماء البلد، ودرس الشيخ- يرحمه الله- العلوم الشرعية على اساتذتها من العلماء الأكابر، ومنهم:

الشيخ محمد زاهي الأتاسي، مدير المدرسة (١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م)، والشيخ أنيس كلاليب، والشيخ محمد علي عيون السود، والد الشيخ عبدالعزيز، يرحمهما الله.

حفظ القرآن الكريم على يد والده،وقرأ بالقراءات العشر على يد الشيخ عبدالعزيز عيون السود المتوفى (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م)، وحصل على الإجازة بذلك، كما تلقى دروسًا خاصة بالفقه الحنفي على العلامة الشيخ عبدالقادر

الخوجة المتوفى (١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م).

وقد أمضى الشيخ- يرحمه الله- في المدرسة الوقفية أربع سنوات رغم أن الدراسة كانت فيها خمس سنوات، ثم أصبحت ست سنوات، ولم يكمل الدراسة فيها بناء على طلب والده لظروف اضطرارية، ولكنه بقي متابعًا طلب العلم في حلقات العلماء، ثم توجه للعمل المعيشي فاشتغل في صنعة النسيج «النول» لسنوات عدة.

وفي نهاية ١٩٣٨م ترك الشيخ العمل بالنسيج، وتفرغ للتعلم والتعليم، فوضع العمامة البيضاء بتوجيه من والده ومشايخه، وكان لبس العمامة بالنسبة لطالب العلم الشرعي بمنزلة إجازة وإذن من المشايخ لذلك الطالب ليمارس مهمة الإمامة والخطابة والدعوة إلى الله تعالى.

وقد استلم الشيخ الإمامة والخطابة في عدد من المساجد في محافظة حمص وقُراها إلى أن استقر به المطاف في النهاية في مسجد «جورة الشياح» وذلك في سنة ١٩٦٠م.

لقد كان الشيخ - يرحمه الله- بحق، مدرسة عملية في الدعوة إلى الله تعالى، فقد كان يعيش مع طلابه همومهم، وآمالهم، وآلامهم، يتفقد أحوالهم ويقدم لهم ما يستطيع من عون ومشورة وتوجيه.. فهو أب للجميع يعطيهم من علمه وخبرته وعاطفته وحنانه.

وفي عام ١٩٨٠م ارتحل شيخنا من بلاده قاصدًا المملكة العربية السعودية حيث ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالحرم المكي الشريف.

عمل شيخنا حتى عام ١٤١٨هـ استاذًا للقرآن الكريم وعلومه في جامعة أم القرى في مكة المكرمة اضافة الى أنه كان يخطب الجمعة في مسجد الثانية بجدة وبعد تقاعده من الجامعة استقر به الحال في جدة، التي أمضى فيها آخر سنوات عمره، وفي يوم وفاته صلى الصبح إمامًا بالمسجد وقنت بالمصلين ودعا لأهل غزة أن يفرج كربهم.

رحم الله الشيخ رحمة واسعة وأسكنه الجنة مع البررة الأطهار.. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

المسجد الأقصى والعناية بالمنشآت الدينية في عصر سلاطين المماليك

عبدالرحيم النباهين

لقد حرص المسلمون الأوائل على رعاية المقدسات الإسلامية وحمايتها، ومن هذه المقدسات «المسجد الأقصى» قِبلة المسلمين الأولى الذي مازال يَئِنُّ تحت الاحتلال منذ ما يقارب نصف قرن من الزمان، وممن حرص على رعاية المقدسات الإسلامية المماليك الذين ظهروا على مسرح الحياة في أعقاب سقوط الدولة الأيوبية، حاملين راية الجهاد لمواصلة المسيرة التي بدأها الأيوبيون في حربهم للصليبيين على أيدي قادة أقوياء أمثال بيبرس وقلاوون والناصر محمد، غير أنه قد ظلت تلازمهم عقدة كبيرة من ناحية أصلهم غير الحر، فضلا عن اغتصابهم الحكم من أصحابه الشرعيين وهم الأيوبيون، ولمحو هذه الصورة من الأذهان سَلَكَ سلاطين المماليك طرقًا ثلاثا تركت كلها آثارًا مباشرة في أوضاع بيت المقدس.

ما يعنينا في مقامنا هذا هو الطريق الثالث الذي سلكه سلاطين المماليك والذي تمثَّل في العناية بالمنشآت الدينية في الأماكن المقدسة، فإن إحياء الخلافة العباسية في مصر على يد المماليك، وتفويض الخليفة لسلطان المماليك بحكم البلاد والعباد، ألقى مسؤوليات كبرى على كاهل سلاطين دولة المماليك، مما فرض عليهم أن يضاعفوا من رعايتهم لمقدسات المسلمين.

١- الظاهر بيبرس والمسجد الأقصى

الملك الظاهر صاحب الفتوحات والأخبار والآثار، له في القدس حسنات منها بعث الصناع والآلات لعمارة قبة الصخرة بالقدس، وكانت قد وهت، زار بيت المقدس سنة ٦٦١هـ، وجدّد كل ما كان قد تهدَّم من أبنية الحرم الشريف، كما أنشأ خانًا يجمع أكبر عدد ممكن من التجَّار، وأوقف عليه أعيانًا كثيرة يُصرف ريعها السنوي في تحضير خبز للمسافرين وتصليح نعالهم، كما يُقدِّم مصروفًا للمحتاجين منهم، كما عيّن خمسة آلاف درهم سنويًا لتُصرف على شؤون الحرم الشريف، والزيارة الأخيرة التي قام بها الملك الظاهر بيبرس للقدس، تمت في عام ٦٦٨هـ، وجدَّد خلالها الفصوص التي على الرخام في مسجد الصخرة المشرفة، كما أمر في السنة نفسها بوضع «الدرابزين» حول الصخرة المشرفة وعمل فيها منبرًا وسقّفه بالذهب، وعمَّر «الخان» الكائن بظاهر القدس الشريف من جهة الغرب إلى الشمال، المعروف بخان الظاهر، وكان بناؤه في سنة ٦٦٢هـ.

في عهده تم إنشاء دار الحديث بجوار «التربة الجالقية» على طريق باب السلسلة، وكذلك تم إنشاء المدرسة الأباصيرية تجاه «الرباط» المنصوري بجوار باب الناظر.

٢- المنصور قلاوون والمسجد الأقصى

السلطان الملك المنصور أول ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام، عمَّر سقف المسجد الأقصى من جهته القبلية مما يلي الغرب عند جامع الأنبياء، وله الرباط المنصوري المعروف بباب الناظر، وهو رباط في غاية الحسن وبناؤه محكم.

٣- العادل كتبغا المنصوري والمسجد الأقصى

من ملوك المماليك البحرية في مصر والشام، في أيامه جدد فصوص الصخرة الشريفة، وجدد عمارة السور الشرقي المُطِل على مقبرة باب الرحمة في سنة خمس وتسعين وستمائة.

٤- المنصور لاجين والمسجد الأقصى

باحث فلسطيني

من ملوك دولة المماليك البحرية بمصر والشام، جدد عمارة محراب داود الذي بالسور القبلي عند مهد عيسى عليه السلام بالمسجد الأقصى الشريف.

٥- الناصر محمد بن قلاوون والمسجد الأقصى

من كبار الدولة القلاوونية، وولي سلطنة مصر والشام سنة ٦٩٣هـ، عمَّر في أيامه السور القبلي الذي عند محراب داود عليه السلام، ورخَّم صدر المسجد الأقصى، وفتح الشباكين اللذين عن يمين المحراب وشماله وكان فتحهما في سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة، وجدد تذهيب القبتين: قبة المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وعمَّر القناطر على الدرجتين الشماليتين بصحن الصخرة التي إحداهما مقابل باب حطة، والأخرى مقابل باب الدويدارية، وعمَّر باب القطانين بالبناء المحكم، وعمَّر «قناة السبيل» الواقعة عند بركة السلطان، بظاهر القدس الشريف من جهة الغرب.

٦- الأشرف شعبان بن حسين والمسجد الأقصى

من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام، من أعماله في المسجد الأقصى أنه عمَّر المغارة التي عند باب الأسباط، كما جدَّد الأبواب الخشبية المركبة على بوابات الجامع الأقصى، كما جُددت في عهده القناطر التي على الدرجة الغربية في صحن الصخرة المقابل لباب الناظر، كذلك جُددت في عهده المغارة التي عند باب الأسباط، وهي بين باب الأسباط وباب حطة في الناحية الشمالية الشرقية من الحرم، كذلك أنشأ بعض الأروقة في الحرم من جهة الشمال.

سلاطين المماليك تركوا آثاراً مباشرة في أوضاع بيت المقدس تمثلت في العناية بالمنشآت الدينية المقدسة

٧- السلطان الظاهر برقوق العثماني والمسجد الأقصى

أول من ملك مصر من الشراكسة، عُمِّرت في عهده دكة المؤذنين، تلك الدكة التي يراها الداخل أمامه إذا ما دخل المسجد الأقصى من الباب القبلي، تجاه المحراب، وكذلك أنشئت في عهده المدرسة الغزية على مقربة من باب الأسباط، وكذلك تم تعمير «البركة» التي بظاهر القدس من جهة الغرب وهي بركة السلطان، كما تم تجديد «القيسارية» الموقوفة على الحرم الشريف بالقدس.

٨- الملك الأشرف برسباي والمسجد الأقصى

من مماليك الأمير دقماق المحمدي، وأهداه إلى الظاهر برقوق، فأعتقه واستخدمه في الجيش، دام ملكه ست عشرة سنة، قام بإنشاءات عديدة في القدس نذكر منها، سبيل شعلان، ويقع هذا السبيل أسفل الدرج الشمالي من الحد الغربي لصحن الصخرة المشرفة، وهو آخر الأسبلة التي بناها الأيوبيون في القدس، وفي عهده عُمِّرت الأوقاف بالقدس الشريف، واشتريت جهات عدة للوقف من القرى والمسقفات برسم المسجد الأقصى والصخرة الشريفة، وتم إصلاح قبة الصخرة، كذلك تم في عهده إنشاء المدرسة الباسطية الكائنة شمالي الحرم بالقرب من «الباب العتم» ، والمدرسة القادرية شمالي الحرم بين باب حطة ومئذنة إسرائيل، والمدرسة الحسنية بباب الناظر فوق رباط علاء الدين البصيري، والمدرسة العثمانية في الزقاق المؤدي إلى باب المطهرة على بعد أمتار من الباب المذكور إلى الغرب.

٩- الملك الأشرف قايتباي والمسجد الأقصى

من ملوك الجراكسة، كان من المماليك، وضع في سنة ٨٧٢هـ الأبواب النحاسية التي في مدخل الصخرة من الغرب، وقام بحركة تعمير في المسجد الأقصى، والدليل على ذلك الكتابة الموجودة على واجهة المسجد، ففي عهده جُدد عمل الرصاص على ظاهر الجامع الأقصى وفك الرصاص القديم، ومن أعماله أيضًا تعمير المدرسة الأشرفية المنسوبة إليه وذلك سنة ٨٨٧هـ، وهي بالقرب من باب السلسلة، وفي الوقت نفسه أنشأ سبيل قايتباي، وهو أشهر سبل القدس وأجملها، ويقع في الساحة الكائنة بين باب السلسلة وباب القطانين، وعلى بُعد خمسين مترا من جدار الحرم الغربي بين درج صحن الصخرة الغربي الأوسط والمدرسة العثمانية، وهو يقوم على مصطبة مكشوفة، وفيها محراب في الزاوية الشمالية الغربية من «المسطبة».

سقوط نظرية داروين وتهافت دعاتها

د. رفيق حسن الحليمي

منذ آلاف القرون البعيدة الموغلة في القدم والتي تطاولت على الزمن، راح الإنسان يفكر- بعد الانتقال من الترحال إلى الاستقرار- في أمور كثيرة، منها ما يتعلق بوجوده وبمن أوجده على هذا الكوكب، ومصيره بعد فنائه، والغاية من ذلك كله، ويعتقد أن الإنسان قد ما فكر في كل شيء حوله إلا في أمر واحد لم يفكر فيه يتصل بنشأته الأولى، أو في كيفية خلقه وتكوينه أول مرة! وقد حار الإنسان في التوصل إلى «الحقيقة الغائبة» التي تفسر ذلك الوجود تفسيرًا علميًا منطقيًا، والغايات التي تكمن وراء تلك الحقيقة.

بعد تفكير طويل توصل بعض بني البشر إلى أمور معينة، فيما توصل غيرهم إلى أمور أخرى وأخرى قد تتناقض معها وقد تتماثل في بعض مظاهرها مع ما توصل اليه غيرهم، وهي أمور في مجملها زادت من حيرة الإنسان ومن ضلاله وشططه، ولكنها كانت تريحه قليلا فيركن إليها حينًا من الدهر، وربما أوشك بعض بني البشر ضمن ذلك التفكير البدائي إلى التوصل إلى نزر يسير من «أشباه» تلك الحقيقة، فهناك من الأمم الغابرة من عبدوا الشمس أو القمر أو النجوم أو النار، وهناك من اتخذوا من الأصنام آلهة لهم، وهناك من تعددت عندهم الآلهة، ولم يعرف بنو البشر «التوحيد» إلا بمجيء الرسل، فوحدانية الخالق هي التي قادت إلى معرفة أسرار هذا الكون ومنها خلق الإنسان.

البداية الحقيقية للمعرفة

ظل الإنسان على حاله من الضلال والبعد عن الهداية الحق حتى بعث الله النبيين والرسل- رضوان الله عليهم أجمعين- على فترة من الزمن لهداية بني البشر، فأعطوا إشارات واضحة ودلائل قوية لتلك الحقيقة التي تدعو إلى وحدانية الخالق الذي خلق الإنسان من تراب، ليكون خليفته في هذا الكون وليعبده حق عبادته، ففي التوراة أن آدم أبو البشرية وهو الإنسان الأول خلقه الله من تراب، وأسكنه الجنة، وخلق حواء من ضلعه (١)، وفي التوراة وتحديدًا في سفر التكوين تتردد كلمة «خلق» مرات عدة (١)، ولا يعدم المرء أن يجد شيئا من هذا في الإنجيل، وللكنيسة الكاثوليكية نظرية دقيقة في خلق آدم مستمدة من العهد القديم (التوراة)، ومن العهد الجديد (الإنجيل) لا يتسع المقام لسردها، ويمكن الرجوع إليها في مظانها (٢).

خلق الإنسان حقيقة ربانية

هذه الحقيقة تجلت أكثر ما تجلت في الكثير من التفصيل والتبيان في القرآن الكريم آخر الكتب السماوية، سواء أكان ذلك على مستوى التوحيد ومعرفة الخالق ومعرفة صفاته، أم على مستوى الأحكام والعبادات والثواب والعقاب والجنة والنار، أم على مستوى خلق الإنسان من تراب، وهو ما يتصل بموضوعنا الراهن، ففي القرآن مجموعة من الآيات البينات تنص على أن الله تعالى خلق الإنسان من تراب ليكون خليفته في الأرض ومنها:

قال تعالى ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرًا من صلصال من حمإ مسنون. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي...﴾ (الحجر: ٢٨-٢٩)

وقال تعالى ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ...﴾ (آل عمران:٥٩).

وقال تعالى ﴿يأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ...﴾ (الحج: ٥).

وقال تعالى ﴿... الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها...﴾ (النساء:١).

وقال تعالى ﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى﴾ (النجم: ٤٥).

وقال تعالى ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقًا من بعد خلق في ظلمات ثلاث...﴾ (الزمر: ٦)، أي يخلقكم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظامًا ثم يكسو العظام لحمًا ثم يصور

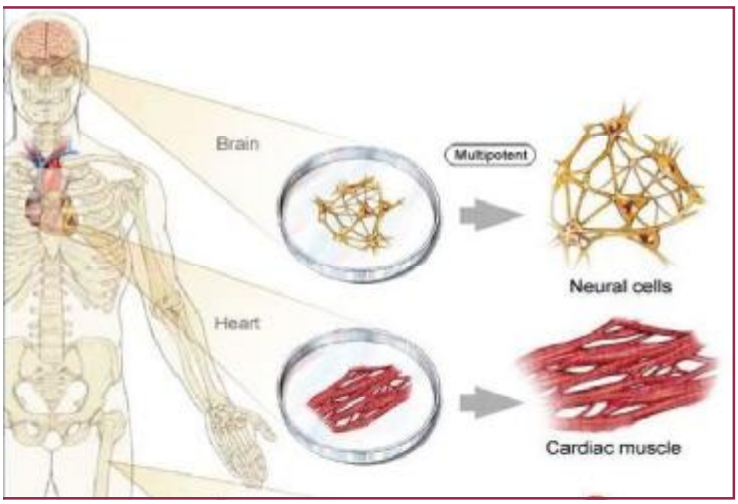

باحث وكاتب اكاديمي فلسطيني

وينفخ فيه الروح، فذلك معنى: ﴿خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾ في البطن والرحم والمشيمة (٣).

مما يلحظ في هذه الآيات وفي غيرها مما يتصل بها تلازم كلمة «خلق» في سياق الوجود الأول أو الخلق الأول لآدم أبي البشرية وذريته من بعده، وبمعنى آخر تشيع كلمة «خلق» في هذه الآيات وفي غيرها من آيات لها صلة بوجود الإنسان أكثر من غيرها التي تدل على معناها، مثل «برأ» و«فطر» و«أنشأ» و«جعل».

أما كلمة «خلق» فبمعنى أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة، وأصل الخلق: التقدير، وفي كلام العرب: ابتدع الشيء على مثال لم يسبق إليه، وكل شيء خلقه الله فهو مبتدئه على غير مثال سبق إليه (٣).

وكلمة «برأ» هي أيضا بمعنى: خلق الخلق على غير مثال، ولهذه الكلمة من الاختصاص بخلق الحيوان ما ليس لها بغيره من المخلوقات، وقلما تستخدم في غير الحيوان، فيقال: برأ الله النسمة وخلق السموات والأرض (٤).

وكلمة «فطر» بمعنى خلق أيضًا، وعن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض حتى احتكم إليَّ أعرابيان في بئر، قال أحدهما: أنا فطرتها، أي: ابتدأت حفرها (٥)، وهذا ينطبق على «أنشأ» و«جعل»، غير أن الإعجاز البياني- كما يبدو واضحا- استأثر بكلمة «خلق» في سياق وجود آدم وذريته من بعده بأنهم خلقوا خلقًا، لما تحمله دلالة هذه الكلمة من عملية الخلق والتخلق والأطوار التي تمر بها من مضغة مخلقة وغير مخلقة، وليبطل كل دعوى- على مدى قادم الأيام- تخالف هذه الحقيقة الربانية.

ثقافة خلق الإنسان

منذ وجدت الرسالات السماوية الثلاث (اليهودية والمسيحية والإسلام) شاع بين أصحابها ثقافة واحدة تجمع على أن الإنسان الأول «آدم» قد خلقه الله خلقا، وقد أصبح لهذه الحقيقة الدينية من الثبات والرسوخ في الفكر الإنساني، وفي وجدان «المؤمنين» والموحدين من أصحاب الديانات السماوية ما جعلها ترقى إلى مستوى البديهيات والمسلمات والمبادئ الراسخة، مع ملاحظة أن القرآن الكريم كان أكثر توضيحا وتفصيلًا لخلق الإنسان، سواء أكان ذلك في خلق آدم أم في خلق ذريته من بعده منذ الحمل والمراحل المختلفة التي يمر بها الجنين حتى الولادة والتدرج في النمو حتى الشيخوخة ثم الوفاة ﴿ثم أماته فأقبره﴾ (عبس: ٢٠)، بحيث يمكن القول: إن هذه الحقيقة الدينية قد شاعت عند أصحابها شيوعًا لا يرقى إليه أدنى شك أو ارتياب حتى جاء «داروين» بنظريته الفاسدة، وفي بعض الأوساط البشرية التي جنحت إلى الإلحاد والكفر معا.

نظرية الداروينية أو «الانتخاب الطبيعي»

تنسب هذه النظرية إلى تشارلس روبرت داروين (١٨٠٩ - ١٨٨٢م) (٦)، وهي رأي في التطور يرى أن الأشكال الحية جميعها من أصل واحد مشترك، وأن الكائنات تنزع نحو التضاعف العددي، وأن هناك كفاحًا من أجل البقاء بين أفراد النوع الواحد، وقد ارتكز داروين في نظريته على وجود تحول في أنواع الحيوانات والنبات يكاد يكون لا نهائيا، وتسمى أحيانا نظرية «الانتخاب الطبيعي» (٧).

يكاد يعتنق هذه النظرية جميع علماء العصر، وينسب إلى صاحبها المقولة التي شاعت وانتشرت في الأوساط العلمية كالنار في الهشيم وهي «أن القرد هو أصل الإنسان»، حيث لاحظ أن بعض أنواع القردة (الغوريلا والشمبنزي) ليس لها ذيل، وتقف نصف منتصبة ومخها شبيه بمخ الإنسان من حيث التركيب (٨)، معنى ذلك أنه في ظل الانتخاب الطبيعي تطور قرد ما إلى إنسان! ثم بدأ الإنسان يتوالد ويتكاثر، والسؤال الهزلي الذي يطرح نفسه، لماذا تطور ذلك القرد ولم تتطور معه قرود أخرى، ثم من أين جاءته زوجته، ولماذا توقفت عملية التطور في أوساط القرود، ولماذا لم يتطور الإنسان إلى شيء آخر؟! فيا للسخرية من دعاة هذه النظرية في مجال خلق الإنسان ونشأته الأولى وفي إنكار وجود الخالق!!

نقد النظرية

لقيت هذه النظرية من علماء القرن الماضي بعض النقد، لعدم تفرقتها بين التغيّر المكتسب الذي لا يورث، والصفات الجينية التي تورث، لذلك أدخلت عليها تحويرات اقتضتها المعرفة الحديثة بعلم الوراثة، كما لقيت انتقادًا شديدًا من قبل رجال الدين الذين يؤمنون بوجود خالق لهذا الكون، وأنه خلق الإنسان من تراب، كما جاء في الكتب السماوية التي يرى أصحابها في تلك النظرية إلحادًا وخروجًا عن الدين وإنكارًا لوجود الخالق، وفي

علماء أمريكيون معاصرون أثبتوا خطأ نظرية داروين الإلحادية

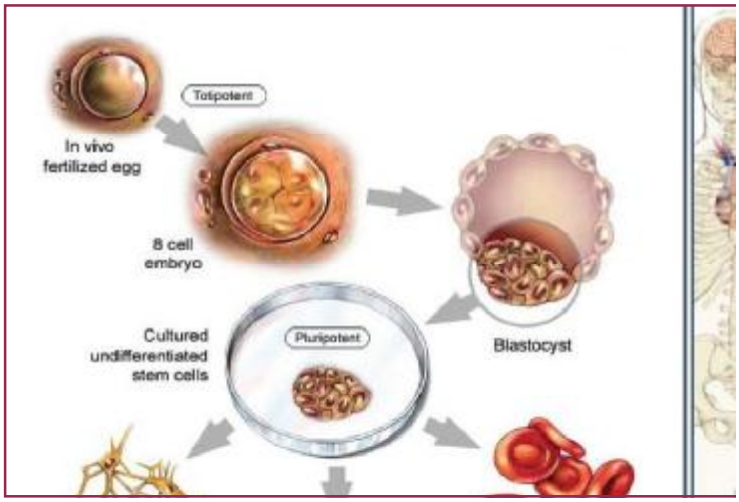

الإسلام تحديدًا يرى المسلمون أن هذه النظرية كفر بواح، لأنها تنكر أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة، حيث جاء فيه أكثر من آية وأكثر من نص قرآني، وهذا هو الكفر بعينه.

تداعيات النظرية وآثارها

لاشك أن هذه النظرية تركت آثارًا سلبية في الثقافة العامة وفي بعض العلوم ذات الصلة بعلم الوراثة، ولدى بعض الباحثين والعلماء وبخاصة في علم الآثار (الانثربولوجيا)، ومن السخرية أنهم عندما أرادوا أن يتصوروا حياة الإنسان في العصور الغابرة، وبخاصة في العصر الحجري الذي يعد أطول العصور في تاريخ البشرية، اعتقدوا أن الإنسان الأول كان يمشي على أربع (يديه ورجليه)، وعندما تطور الإنسان- وفقًا لنظرية دارون- وأصبحت يداه أقصر من رجليه استطاع أن ينتصب في مشيته فأصبح يمشي على رجلين! ولعل الأخطر من ذلك كله أنها دفعت بعض الباحثين في الغرب إلى إعلاء بعض الأعراق على غيرها استنادًا إلى مبدأ «الانتخاب الطبيعي» الذي خرج من رحم تلك النظرية، ويرى أن البقاء للأصلح وليس للرجل المريض أو المتخلف ذهنيًا وجسديًا أو المتحدر من أعراق «دونية»، وصار الرجل الغربي، وفقًا لهذا الفرز العرقي المقيت، يتباهى على غيره من الشعوب بأنه تحدر من الجنس الآري، أرقى الأجناس على حد مزاعم نظرية الانتخاب الطبيعي، وهذا الفرز- مع أمور أخرى- ما دفعه إلى استرقاق الشعوب واستعباد العباد والفصل العنصري، وإقامة المعازل العنصرية بين البيض والسود، واستباحة مقدراتهم وأقواتهم على مدى عقود من الزمن، وأكثر من ذلك اتخاذهم ميدانًا وحقولًا للتجارب الطبية وغير الطبية.

شبلي شميل (١٨٥٠ - ١٩١٧م) (٩)

يأتي الحديث عنه في هذا السياق لأنه يعد من أكبر دعاة الداروينية في الشرق العربي، وهو طبيب لبناني وعالم طبيعي، انتقل من لبنان إلى مصر، سافر إلى أوروبا حيث درس مذهب التطور دراسة مستفيضة، وكان يعد إسحق نيوتن وداروين إمامين عظيمين من أئمة المادية التي عرض لآرائها في كتابه «فلسفة النشوء والارتقاء»، كتب مقالات عدة في مجلة «المقتطف» (١٠).

وكان كثيرًا ما ينتقد المباحث الدينية لأنها- على حد زعمه- تثير الجدل وتفضي إلى التعصب (١١)، وقد ذكر بعض الباحثين أنه كان يستشير علماء الدين بالأزهر الشريف في آرائه الإلحادية وزعمه أن القرد أصل الإنسان، وهو بذلك يطعن في الحقيقة الدينية الخالدة، وقد وجد شبلي شميل في ظل إدارة كروم (١٢) لمصر إبان الاحتلال البريطاني ما شجعه كثيرًا على الترويج لتلك النظرية، وليس من قبيل المصادفة أن يتزامن الترويج لتلك النظرية مع حقبة المد الاستعماري البريطاني، ولا ننسى أن هذه النظرية ولدت في ظل حكم الملكة فكتوريا، حيث بلغت فيه بريطانيا أوج رخائها وتوسعها الاستعماري.

سقوط النظرية

جاء سقوط تلك النظرية من الغرب وفي أوائل شهر سبتمبر من هذا العام، فقد عكف نخبة من الباحثين وعلماء الآثار، في جامعتين في أميركا على مدى خمسة عشر عامًا، على دراسة نظرية دارون حول أصل الإنسان، وقدموا أدلة علمية جديدة أثبتت خطأ تلك النظرية.

حيث توصل علماء الإنثربولوجيا إلى أن أقدم كائن ذي خصائص بشرية عاش قبل أكثر من أربعة ملايين سنة، وذلك من خلال عثورهم على هيكل عظمي لكائن بشري منتصب القامة لا يمشي على أربع، وله قامة عادية كقامتنا، وقد عد بعض العلماء تلك الأدلة الجديدة بمثابة نقض لتلك النظرية من الوجهة العلمية والبحثية، كما تعد من الوجه الديني انقلابًا دينيًا وحضاريًا وثقافيًا على نظرية إلحادية جاءت خارج الأديان السماوية، وخارج الوحدانية الإلهية، وهنا يأتي قول الحق تبارك وتعالى ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ (فصلت: ٥٣).

المراجع:

١- سفر التكوين، الإصحاح الأول عدد ٢٦، تجدر الإشارة إلى أن النص العبري يستخدم كلمة (برا) بمعنى خلق، وهي كلمة سامية مشتركة بين العبرية القديمة والعربية، وتقابلها في العربية كلمة (برأ) بمعنى خلق.
٢- الموسوعة العربية الميسرة ص ١٠٠.
٣- لسان العرب (خلق).
٤- اللسان (برأ)، النسمة بالتحريك: الإنسان، نسم ونسمات، المملوك ذكر أم أنثى) القاموس المحيط: نسم.
٥- ابن الأعرابي، البئر ص ٥٥-٥٦ تحقيق: رمضان عبدالتواب، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠.
٦- عالم طبيعي انجليزي، انصرف عن دراسة الطب إلى العلوم، وقاده البحث إلى تكوين رأي عن التطور الذي عرف بالداروينية، من أعماله: أصل الأنواع، أصل الإنسان والانتخابات بالنسبة إلى الجنس، (الموسوعة ص ٢٢٣ -٧٧٤).
٧- الموسوعة ص ٧٧٤.
٨- الموسوعة ص ١٣٧.
٩- الموسوعة ص ١٠٧٣.
١٠- «المقتطف» مجلة شهرية أدبية علمية، أنشأها في بيروت يعقوب صروف وفرس نمر سنة ١٨٧٦م، ثم نقلاها إلى القاهرة (الموسوعة ص ٧٣٠).
١١- يعد كرومر (١٨٤٠ - ١٩١٧م) الحاكم الفعلي لمصر، لم يكن يتم تعيين رئيس للوزراء إلا بموافقته، وهو الذي وافق على الأحكام الصارمة في قضية دنشواي سنة ١٩٦٠م، الموسوعة ص ١٤٥٦م.
يضاف إلى ذلك أنه هو الذي أوقف حركة التعريب الحديثة في مصر التي بدأت منذ محمد علي والي مصر.
١١- الموسوعة ص ١٣٠٥.

لغة وأدب

لفظ ومعنى

تباينت آراء النقاد والمشتغلين بالأدب قديما وحديثا إبان حديثهم عن قضيتي اللفظ والمعنى تباينا شاسعا، فمنهم من رأى أن المعنى هو لُب القصيد، وهو المبتغى والمراد، فإن حصل ووصل فلا ضير أن يكون اللفظ جزلا أو ركيكا، ولا أن تكون العبارة متوائمة أو متنافرة، بل ألا يكون هنالك رفع لفاعل ولا لمبتدأ، ولا نصب لمفعول ولا حال، المهم أن يصل المعنى، بغض الطرف عن الدرب الذي سُلك.

ولا يخفى ما في هذا النهج الذي تلوكه بعض الألسنة اليوم من شطط، فأما إيصال المعنى، فقد يقع بغير الكلم، كأن تنطقه لوحة رسام، أو إيماءة مومئ، أو حتى صمتة صامت، ومع ما لهذا كله من دور قد يكون ساميًا، فإنه مغاير كل المغايرة لما يحويه الكلم، أو ينبغي أن يحويه، من رسالات ربما لا يقدر على إيصالها إلا هو، مما لا يتسع المجال لبسطه هنا.

ثم إن مما يثمره التحرر من قوانين الكلم إشاعة الفوضى، وضياع الحدث والمُحْدِث والمُحْدَث، وكفى بذلك خسرانا.

وعلى النقيض من ذلك فريق احتفى باللفظ على حساب المعنى، وألبسه تاج الإمارة، فمن دبج الألفاظ ونمق العبارات، ولو أغرق في التكلف والصنعة نال قصب السبق، وإن لم تجد في حديثه معنى بديعا جميلا.

والحق أنه لا هذا ولا ذاك.. فاللفظ والمعنى كالروح والجسد، والثوب ولابسه، وفطنة المرء أن يسمو بروحه ويطهرها، ويغذي جسده وينميه، وأن يحسن حياكة ثوبه على قدر جسده، وليزخرفه بعد ذلك بما شاء.

المحرر

لماذا اختفت الرواية الإسلامية؟

محمد عبدالشافي القوصي

أكد الأدباء والنقاد أن الأدب العربي الحديث بمختلف أجناسه- والرواية على وجه الخصوص- يعكس صورة حية للتبعية المطلقة للفكر الغربي، والابتعاد عن الشخصية العربية بثوابتها وقيمها وأصالتها، وأوضحوا أن الغزو الفكري الذي حملته هذه المذاهب الوافدة- نزلة- محاولة لإلغاء الذات العربية واقتلاعها من جذورها كلية، كذلك فإن من أشد آثار التغريب والتقليد الفج للآداب الأجنبية أن تجد الأدب العربي الحديث يعيش بلا هوية، وبلا تماسك، وبلا خصوصية، كما تحول قسم كبير من أدبنا على يد المتغربين والعلمانيين إلى دعوات فاجرة وهجوم شرس على العقيدة الإسلامية وتراثها بشكل لم يسبق له مثيل.. كل هذا وذاك ساهم في إلغاء الأدب الإسلامي، وتهميش دعاته، واختفاء الرواية الإسلامية، وعدم الاكتراث بكتابها!

من جانبه يرى الناقد الدكتور حلمي القاعود أنه بالرغم من ذلك فإن جيل الصحوة الإسلامية استطاع أن يستعيد هوية الأمة، وكتّاب الرواية الإسلامية يملكون وعيًا حادًا بالواقع والتاريخ ويستشرفون المستقبل ويواجهون تحديات الهيمنة العلمانية واليسارية والطائفية التي تترصد التوجه الإسلامي وتحاربه بضراوة، وخاصة في مجالات الفكر والأدب، وكان في طليعة هؤلاء الرجال محمد فريد أبوحديد، وعلي أحمد باكثير، ونجيب الكيلاني، ومحمد حسن عبدالله، وعمادالدين خليل وغيرهم ممن حولوا الأدب الإسلامي إلى واقع عملي يعبر عن نفسه في تطبيقات ميدانية وأدبية جعلت من الرواية الإسلامية

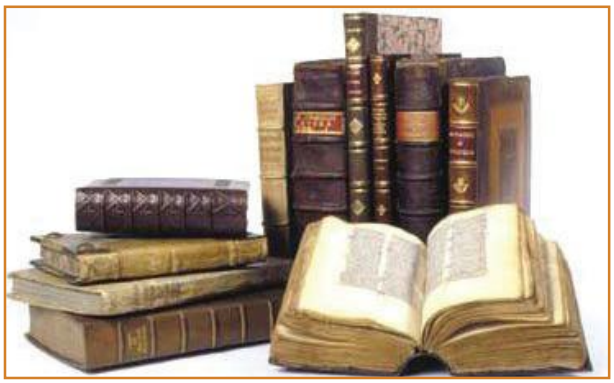

إلى متى سيظل أصحاب المواهب الحقيقية بعيدين عن الإنصاف؟

أمرًا واقعًا يتحدى المعارضين له، ويرغمهم على الاعتراف بوجوده وكيانه.

وفي الوقت ذاته يشير الدكتور القاعود إلى أن الواقع الأدبي المعاصر امتلأ بالكثير من التناقضات التي أدت إلى اختلال المقاييس والمعايير، نتيجة لتراكمات عديدة، جعلت أصحاب المواهب الحقيقية بعيدين عن مجال التقدير والإنصاف، وفي الوقت ذاته أتاحت الفرصة لعديمي الموهبة وطلاب الشهرة أن يحتلوا الواجهة الأدبية، ويلقوا من الحفاوة والدعاية الكثير مما لا يستحقونه، وكان من ضحايا هذا الواقع الأدبي جيل الأصالة الذي ارتبط بالأمة وهمومها وآمالها.

كتّاب الرواية

أمّا عن أسباب غياب الرواية الإسلامية في الحقبة الأخيرة، فمرد ذلك إلى موجات التغريب التي اجتاحت حياتنا الأدبية والثقافية- كما يقول الدكتور صابر عبدالدايم- كذلك كان تمزق الأمة الإسلامية، ووقوع الوطن العربي في قبضة الاستعمار الغربي، وطغيان الفكر الاستشراقي المعادي للعروبة والإسلام، بمنزلة تمهيد للغزو الفكري، كما أن هذه الموجات العاتية من المد الفكري التغريبي- للأسف- وجدت عقولًا انهزامية تستجيب لكل أصدائها، ووقعت هذه العقول فريسة هذه الاستجابات العمياء للثقافات الوافدة، وقد بلغت المأساة ذروتها حين وجدنا من يروج للتغريب، ويركب موجاته المخادعة التي تغرق في غياهبها كل من يحتمي بها أو يظن النجاة في السباحة مع تيارها.

وكثير من كُتّاب الرواية العلمانيين في مصر والمغرب وتونس وسورية ولبنان قد صنعوا من فكرهم بوقًا يردد في غير وعي مبادئ الثقافات

الوافدة، ويروج لها ويحاكيها في كتاباته، وأحيانًا كثيرة يقوم بعض هؤلاء الواهمين بسرقة الأفكار التغريبية وتقديمها في صورة مشوهة ممسوخة، وقد تأثرت الحياة الثقافية والفكرية والإبداعية بهذه الموجات الطاغية، ففسد المناخ الأدبي في كثير من بلدان العالم العربي، وشوّهت الحياة الفكرية وغابت رؤاها.

وإن كانت هذه الموجة الإلحادية بدأت في الانحسار، خاصة بعد سقوط الشيوعية، وظهور الصحوة الإسلامية التي قرعت الأبواب بشدة، غير أننا مازلنا في حاجة إلى تكاتف جهود المخلصين لدينهم ووطنهم من أبناء الأمة.

ويرى الدكتور صابر عبدالدايم أن الرواية والقصة تنافسان الآن الشعر منافسة ضارية، ولكنهما لم يصبحا بديلًا عنه، فمازال الشعر على الساحة له حضوره الفعال، وأثره الغائر في النفوس. ويشير إلى أن هناك عوامل كثيرة وراء تفوق فن القصة وفن الرواية في جذب القارئ، وفي القدرة على التأثير، وعلى الالتحام بواقع الزمان والمكان، أو بإيقاعات الحياة المعاصرة، ذلك أن القصة والرواية يمكن تحويلهما إلى مسلسلات درامية تلفازية، تصل إلى ملايين المشاهدين وتؤثر فيهم، أمّا الشعر

الإسلام دعا إلى أسلمة الأدب والفن منذ فجر الدعوة

نحن في حاجة إلى الرواية الإسلامية كي تبرز شخصيتنا الحقيقية

فمازال أسير الكلمة المكتوبة! وأن الرواية لا يميل كثير من كتابها إلى الأساليب الملغزة، ولا إلى الغموض الموغل في الغرابة والبعد عن واقع الناس.

ضرورة الرواية الإسلامية

ويؤكد الأديب الإسلامي الدكتور محمد كمال إمام أننا في حاجة إلى الرواية الإسلامية لتبرز شخصيتنا وسط هذا الطوفان من المذاهب الأدبية الوافدة التي تسرح وتمرح في وسطنا وتسهم في تلويث وعينا، والتي يتبناها أبناء المسلمين يبشرون بها ويسعون لتكريسها، أو على الأقل يمنحونها مشروعية الوجود ولا يجدون غضاضة في معاشرتها وطرد الغربة عنها!

ويقول: «إذا كنا قد رضينا بالله ربًا وبالإسلام دينًا، وتحملنا في سبيل ذلك مكائد العالم المتكبر فلا أقل من أن نسعى لتأصيل وتكريس الأدب الإسلامي ليسهم في الذود عن مقدراتنا ومقدساتنا الفكرية، وليس فيما نسعى إليه بدعة ولا تجزئة، فأسلمة الأدب مشروع إسلامي، ومجيء المصطلح لم يكن بدعًا من القول، فالإسلام منذ البدء مارس أسلمة الأدب والفن».

إشكالية المسرح الإسلامي

وحول الدعوة إلى إنشاء المسرح الإسلامي الذي دعا إليه أمثال باكثير ونجيب الكيلاني لخدمة قضايانا الاجتماعية يقول كاظم الظواهري: «مازلت في شك كبير من إمكانية توظيف المسرح للقيام بمهمة تتفق وتعاليم الإسلام في الوقت الحاضر على الأقل، وذلك لأسباب كثيرة، على رأسها سبب يتعلق بالواقع البغيض للمسرح في الساحة العربية، وسبب ثان يتعلق بالماضي المرتبط بالوثنية لهذا الفن في مهاده، وسبب آخر يتعلق بخاصية التشخيص التي كانت سببًا في رفض أفلاطون لهذا الفن، وعلى الرغم من كل هذه الأسباب، فإننا نضع أيدينا في أيدي مريدي توظيف فن المسرح لهذه المهمة الجليلة، ونستجيب لدعوتهم بالنظر في المشكلات التي تعوق توظيف المسرح كأدب إسلامي، آملين أن نتمكن من حل بعض هذه المشكلات، ووضع بعض القواعد النقدية لتكون لبنة في بناء صرح نقدي عندما يحين الوقت المناسب الذي تصبح فيه البيئة مهيأة لاستقبال فن مسرحي جاد، ويقتنع المتلقي بأنه يمكن أن يجلس عدة ساعات في قاعة تقدم له وجبة تمتع العقل والروح دون إسفاف أو لهو فارغ!.

شعرُ الأطفالِ وأثرُهُ القِيَمي

علاء الدين حسن

الأطفال قطوف الأمل، وقرّة عين الإنسان، وزهور الأمّة، وبراعم الغد المشرق.. الأطفال تذكار مقدس، إنهم هدية السماء، وللطفولة عالمها الخاص، وللشعر سحره الجميل.. عالمان وسيمان تربط بينهما وشائج كثيرة، تبدأ بالإيقاع، وتمتد بالخيال، وتنتهي بسموّ الإحساس ورقّته، إذ يغدو للأشياء والمحسوسات حضور أجمل وأرقى، ومسميات تفيض ألقًا، وتستنطق بلغاتٍ جديدة.

ولقد اعتاد الإنسان أن يرسم لنفسه منذ الصغر صورًا وألوانًا من الأماني والآمال؛ فالحلم والخيال يظلان متوهجين في قلب كل إنسان، ولعلّ مقولة: «في أعماق كل واحد منا طفل» تنطبق على الشعراء قبل سواهم؛ لأن ثمة أكثر من نقطة التقاء بين الشاعر والطفل.. كلاهما يجمع بين الواقع والحلم.. كلاهما يريد إخضاع الحياة للرغبات، ويسعى إلى تغيير كثير من الأشياء.. وهما معًا يشتركان في نقاء القلب وبراءة السريرة وتقديم قيم الحق والخير والجمال.. ويشتركان أيضًا في نوعية الرؤية، فالطفل يتخيل الكرسي حصانًا، ويتخيل العصا قطارًا يجري به على الأرض.. وكذلك الشاعر يكشف لنا عن سحر الأشياء.. يجعل للفجر أنامل من ورد ينزاح منها الضوء، ويجعل للعين لغة تبوح بالنخيل والشرفات في مملكة تجتاز فواصل الزمن وحدود الكائنات.. في واحة مترعة بقطر العذوبة ونسمة الأزهار.

والشعر- كما هو معروف- رافد مهم من روافد ثقافة الطفل، وهو في الوقت ذاته مصدر رقي وارتقاء، ويُعَدُّ من أقوى المؤثرات في تربية الذوق الفني، والحس الجمالي؛ لما يجتمع له من رونق الإيقاع، ورشاقة التعبير، وجاذبية الصورة، وهو بذلك يؤدي وظيفة مهمة ذات أبعاد عقدية وجمالية وشعورية ووجدانية وفكرية؛ ولهذا يستأنس الأطفال كثيرًا بسماع الشعر وحفظه، إذا كان مناسبًا لهم من جهة ألفاظه وأفكاره وأوزانه وصوره الفنية.

والشعر الموجَّه إلى الأطفال ينبغي أن يتضمن الإيقاع والتخييل، وأن يمتاز بالبساطة والرنين.. وأن يكون وسيلة مجدية في خلاص الأطفال من بعض المشكلات الاجتماعية، وأن يبعث على النشاط والتجديد وتقوية الذات وبناء ثروة لغوية وجمالية متميزة، وترسيخ القيم الإنسانية النبيلة كاحترام أفكار الآخرين وتقدير مشاعر الغير، وتقبّل الآراء، على أن تصاغ الفكرة بالكلمة الرشيدة الرشيقة الواعدة الملأى بالود والإيثار، الملامسة لأغصان شجيرات وجدان الصغار.

وجدير بالأديب أن يصور الطبيعة بأزهى الألوان؛ لتتلألأ أمام نواظر الصغار؛ فاللون يجذب الطفل.. والزهرة شذية بعطر الألوان.. والبحر متوسم بنقاء اللون.. اللون إذًا نغم مدهش في عالم الكتابة للطفل.

غايات ومقاصد

ومن الغايات المرجوة من كتابة الشعر للأطفال تغذية الإيمان، وترقية معنى العلم، وتنمية الخيال والعاطفة، والتأكيد على مبادئ التعاون والصدق والوفاء، ونبذ الشر والباطل والحقد والكذب والحسد، ومن الأهداف أيضًا التدريب على أدب الحوار الهادف البناء، على أن نحرص على جمالية الشكل العام بعيدًا عن قوقعة التكلف والنظم الارتجالي وقلق الوزن وركاكة الأسلوب، وبذلك يمكن للطفل أن يحلق في فضاء رحب يبعث على قيم البراءة والنقاء.

الصورة الشعرية

يحتضن الخيالُ الخصبُ الصورةَ المقروءة والمتخيّلة التي تجسدها البنية التعبيرية للشاعر، عبر رمزية تحقّقها التشبيهات والاستعارات، في صور مجازية، تعمل المخيّلة على عمارتها، ثم تُقدّمها للطفل في منظور تربوي، تنتج عنه فوائد متعدّدة يمكن إيجازها في النقاط الآتية:

١ - الصورة التي يتلقّاها الطفل من التخييل المقروء لا يشترط فيها أن تُطابق الصورةَ التي رسمتها مخيّلة الشاعر، تبعًا لمقدرة المخيّلة، وهي تدفع الطفل للتعامل معها، وقد يدرك الطفلُ ذو المخيّلة النشطة الصورةَ الأصلية التي ابتدعها الكاتب، ويبني لنفسه صورةً أخرى جديدة.

٢ - يعمل التخييل المقروء على تحريض خيال الطفل وتنشيطه مهما كانت مقدرته.

٣ - قد لا يتصوّر خيالُ

باحث مصري

الطفل الصورةَ المطابقة للصورة التي يتضمّنها التخييل الأدبي.. وثمة دلالات كثيرة تتمّ عن حرص الطفل على امتلاك تصوُّره الذاتي للتحليق، وبناء تصوّرٍ ذاتي بعيد عن الصور التي يطرحُها التخييلُ الأدبي، وليس المهم بعد ذلك المدى الذي يبلغه التحليق؛ لأنَّ حرية الخيالِ هي التي تبني شخصية مستقلةً، قادرةً على الإبداع.

٤ - إيجاد علاقة بين تصوّر الكاتب، وتصوّر الطفلِ المتلقّي؛ لأن الأديب يمتلك مخيّلةً تفعل فعلها في أثناء الإبداع، فيرسم الصور بالكلمات في سياق مقنع مؤثّر، ثم يأتي دور الطفل الذي يقرأ ويَتأثّر ويبني انطلاقًا من تصوّره الذاتي، وهذا يؤكد جدوى العلاقة بين الأديب والطفل؛ حيث تحلّق مخيّلة الصغير بحرية، وهذا ما تتطلّبه التربية والأدب معًا.

٥ - أدب الأطفال مزيجٌ من الفن والتربية، وتربيةُ خيال الطفل على حرية التحليق لابدّ أن يوظّف توظيفًا يقتضي ربط الطفل بواقعه مهما حلّق فوق هذا الواقع، وابتعد عنه؛ ليبقى اجتماعيًا مع فرديته.

ونظرًا للتطوّر الذي قطعته الحداثة الشعرية، فإنَّ الصورة تنوّعت بتنوّع تجارب الشعراء الثقافية، واختلفت باختلاف أمزجتهم الاجتماعية؛ لذلك وُجدت صورٌ تميلُ إلى الرمز والإيحاء، كما تميل إلى الصراحة والمباشرة، أو تُعرض عن التصريح.

وربما تحرّرت الصور من عقال الأبعاد المكانية والزمانية، وتخلّت عن المنطق- في بعض منها- لتغدوَ صورةً حلميةً، يتعذّر على الطفل التقاطها، أو معْرفةُ طبيعتها.

وفي التفاتة فنية بارعة اتّجه عدد من الشعراء إلى التصوير باللون، فأخذوا، ينهلون من سحره، ويرسلون من جمالياته طاقاتٍ تعبيرية، يعجز عنها التعبير التقريري المباشر، ولم تعد الألوان مجرّد رموزٍ للحالة النفسية التي تشكلّها الصورة الفنية في النصّ الشعري، بل صارت ركيزة مهمةً من ركائز التعبير الفني والجمالي في الشعر، تطرح في النص بتوظيف فنيّ رفيع، يؤكّد تنامي الوعي الجمالي، وتطوّر الذائقة الشعرية.

صعوبات متعددة

١ - اعتقاد بعض الشعراء أن الكتابة الشعرية للأطفال عمل أيسر وأسهل من الكتابة الشعرية للكبار.. مع أن العكس هو الصحيح.

٢ - بعض الشعراء الذين يكتبون للأطفال لا يمتلكون الثقافة المطلوبة في مجال علم نفس الطفل.

٣ - عدم التمكّن الفني من الأدوات الرئيسة الخاصة بشعر الأطفال.

٤ - عدم التوفيق في اختيار الأسلوب الجميل والموسيقى والإيقاع واللغة والخيال والألوان.

مراجع

١- أدب الأطفال في ضوء الإسلام- د.نجيب الكيلاني- بيروت ١٩٨٧م.
٢- أدب الأطفال- د.علي حديدي- القاهرة ١٩٩٠م.
٣- ثقافة الطفل- د.سمر الفيصل- اتحاد الكتّاب بدمشق ١٩٨٧م.
٤- شعر الأطفال- محمد قرانيا- دمشق ١٩٩٦م.
٥- أدب الأطفال الإسلامي- د.عدنان نحوي- الرياض ١٤٢٦ هـ.
٦- صحف ومجلات عربية منوّعة.

العربية.. لغة الأدب الرفيع والبلاغة السامية

حسين سباهي

ما أحوجنا نحن العرب إلى أن نرقى في تعلمنا وتعليمنا لهذه اللغة إلى مستوى الغاية القومية والشعور بالمسؤولية تجاه امتنا، فهي اليوم كما كانت بالأمس الرابطة الروحية والقومية مهما تناءت الاقطار واختلفت البيئات، فيها تتجسد آمالنا في الأمة المنشودة، وهي مرآة حياتنا الفكرية والشعورية التي تعكس صورة جميلة واضحة، وعلينا اليوم أن نعيد الصورة مشرقة زاهية كما كانت بالامس، ونسلح مواطنينا باللغة القومية ونهيئ لهم فرص التفاهم والتقارب مع أبناء أمتهم في مشرق الوطن العربي ومغربه لتصبح هذه اللغة في نصاعتها وبيانها سمة لهم كما كانت لأجدادهم.

واللغة العربية بما لها من المعطيات والخصائص استطاعت أن تحافظ على استمرارها ونموها، يشهد لها بذلك ماضيها المجيد، وحياتها المديدة عبر عصور طويلة، حيث كانت لغة الادب الرفيع والبلاغة السامية أيام الجاهلية، فما إن جاء الاسلام حتى فتحت ذراعيها تستقبل إعجاز القرآن وبيانه، وتستوعب العلوم الجديدة كالفلسفة والطب والقوانين، و استطاعت على مر العصور أن تحفظ تراثنا العربي، وتتفاعل مع تراث الحضارات التي احتكت بها وتنقله عبر العصور ليصبح ملاكًا للأجيال في شتى بقاع العالم، ومازال الكتاب العربي مرجعًا يعتد به في كثير من جامعات العالم،و تزداد الرغبة في ترجمة الكتب العربية القديمة، وتتوالى اعترافات المستشرقين والدارسين لهذه الآثار بفضل العرب على أوروبا ودفعها الى التطور والنهوض.

وإذا كانت حياة اللغة تقاس بمدى تفاعلها مع حضارة العصر الذي تعيش فيه، فيحق لنا ان نفخر بهذه اللغة الحيّة النامية المتطورة التي أسهمت، ومازالت تسهم الى يومنا هذا في الحضارة الانسانية التي تطالعنا كل يوم باختراعات جديدة، ولغتنا اليوم بما لها من الخصائص اللغوية التي تميزت بها من بين جميع لغات العالم، كخصب المفردات، وكثرة المرادفات، ودقة التعبير، تفتح صدرها من جديد في حيوية وقدرة أجبرت العالم على الاعتراف بها، لغة حية متطورة قادرة على التفاعل الحضاري، مؤهلة لان تكون احدى اللغات الرسمية في كثير من المحافل الدولية، كاليونسكو والأمم المتحدة.

وأخيرًا أريد أن أقول إن اللغات تشيخ وتهرم وتتغير وتضعف، وربما اندثرت وماتت وطواها النسيان، أما لغتكم ففي ربيع دائم، وشباب متجدد، لأن الله حفظها بالقرآن الكريم المنزل بها ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر: ٩).

باحث سوري

في مؤ ر جمعية لسان العرب لرعاية اللغة:

أزمة تهميش اللغة العربية ووسائل النهوض بها

بدر محمد

تحت عنوان «توصيات مؤتمرات القمة في النهوض باللغة العربية» عقدت جمعية لسان العرب لرعاية اللغة العربية بالقاهرة مؤ رهاالسنوي السادس عشر على مدى يومين، وذلك في الأسبوع الثاني من نوفمبر الماضي تحت رعاية جامعة الدول العربية، وشارك فيه باحثون وخبراء من سورية والسعودية وجزر القمر بالإضافة إلى مصر، وناقش المشاركون ١٥ بحثا في قضايا مهمة أكدت على ضرورة التفعيل الجيد لقوانين اللغة العربية، مع التوصيات التي أقرتها الجهات الرسمية والأهلية، كما ناقشوا قضية تهميش اللغة العربية ومكائد المتربصين بها وضرورة نشرها بالجامعات العالمية، ودور الأزهر الشريف في نشرها في الدول غير الناطقة بها، وقضايا أخرى.

وقد استهل المؤتمر رئيس جمعية لسان العرب د.سامي نجيب بكلمة أعرب فيها عن أسفه الشديد وتشاؤمه مما آل إليه حال اللغة العربية، وشدد على أن المؤامرات التي تحاك ضدها ليست وليدة اللحظة أو عقد أو عقدين من الزمن، بل دبر لها منذ أكثر من قرنين، وبعض أهلها بسطوا أيديهم لكل من يعبث باللغة، وتدهور التعليم من تعليم عربي أصيل، يثبت الهوية والانتماء، إلى تعليم أجنبي يعمل بشدة لتهميش اللغة العربية، وفقدنا الكتاتيب التي كانت تصلح وتصحح اللحن في القراءة، وتنمي لغة الطفل في إطار نظرية السمع أولا وحتى بدون فهمه للقرآن في هذه السن.

ووصف نجيب من يقف أمام العربية ولا يساعد في النهوض بها فكريا وثقافيا بالخائن للهوية العربية، والمذوب لشخصية اللغة العربية، وللأسف فإن البعض يسير وراءه بوعي وبغير وعي، دون تقوى الله في لغة كريمة رائدة أصيلة راقية، تعصف بها رياح التغريب والعولمة.

ولكنه حذر من اليأس والإحباط الذي ألمّ بالكثير منا، من كثرة المؤتمرات في المحافل دون جدوى ملموسة، كقابض بيده على الماء فخانته فروق أصابعه، ودلل بتوصية مؤتمر الدوحة بضرورة النهوض باللغة العربية علميا وعمليا، وقد صدرت قرارات سياسية بهذه الشأن في ثلاثة مؤتمرات قمة ولم تُفعّل حتى اليوم، والأمين العام عمرو موسى دعا بنفسه في مؤتمر لجمعية لسان العرب بدعمها في جميع المجالات ولم يحدث شيء للآن، كما خاطبت الجمعية منظمة «الإيسيسكو» بالمغرب منذ عام تقريبا، لكي تعمل الجمعية تحت لوائها وما زالت تنتظر الرد.

وطالب رئيس جمعية لسان العرب باستقلالية مجمع اللغة العربية المصري عن وزارة التعليم العالي كما هو الحال في جميع الدول العربية، وأن يقوم المجمع بوظيفة تصحيح ومراجعة مناهج التعليم في مصر، وليس فقط إعداد المعاجم، كما طالب بتفعيل قرار ١١٢ لرئيس الجمهورية الذي كلف فيه الوزارة بالعمل على النهوض باللغة العربية في المناحي كافة، وهو قرار يضخ الدم في الجسد المحتضر.

مؤتمرات بلا فاعلية

وانتقد كثرة المؤتمرات مع ضعف التفعيل وعدم الامتثال لقوله تعالى ﴿كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ (الصف: ٣)، فالتعليم العالي يعاني التلوث اللغوي وتعريب العلوم فيه يساوي صفرا، فهم يتحججون بقولهم إن العربية لغة جامدة ولا تساير متطلبات سوق العمل، وكأن دولا كتركيا والسودان وسورية يتم التعليم فيها باللغة الأم، رجس من عمل الشيطان، في حين أن كل دول أوروبا وآسيا جامعاتها لديها أقسام لتدريس اللغة العربية، ولغتها الأم غير العربية.

وقال رئيس الجمعية: في قلبي غصة.. فبعد أن أمضت الجمعية ١٨ عاما، لا تزال مكتوفة الأيدي لا نشاط لها إلا هذا المؤتمر السنوي ومسابقات حفظ القرآن الكريم والاحتفال بيوم اللغة الأم، فنحن أمام محنة كارثية تعيشها اللغة العربية صنعناها بأنفسنا وبأيدينا، حتى صارت لغتنا منبوذة حتى من أبنائها، والعربية هي من الدين ولكن ألغاها الإعلام والمجتمع المدني.

ثم تحدث د.حسني السيد نائب

كاتب صحفي

رئيس الجمعية وأستاذ المناهج وطرق التدريس، فأكد أن اللغة العربية لم تنهض النهضة المرجوة، رغم الجهود الفردية لبعض أبنائها في مقابل مساع لهدمها من آخرين، فلم تجد العربية الاهتمام من مؤسسات الدولة في مصر بالرغم من القانون الذي أصدره رئيس الجمهورية ويلزم الجميع بالحفاظ عليها في جميع مؤسسات الدولة والمجتمع.

وأعرب عن أسفه لكون الجمعية تواجه معوقات من الخارج وصعوبات من الداخل، ولكنه أكد أنها ستجاهد مع جمعيات أخرى مهمة مثل جمعية تعريب العلوم، وجمعية حماة اللغة العربية، وبعض الجهود الفردية من كليات دار العلوم وبعض كليات الآداب من أجل الدفاع عنها.

وأبدى نائب رئيس الجمعية دهشته لقيام وزير التعليم المصري السابق يسري الجمل بإعطاء تصريح لـ٢٥٠٠ مدرسة تمنح الدبلومات الأميركية، وقبل أيام صرحت السفيرة الأميركية بالقاهرة بأنها ستنشئ مدارس أميركية مجانية بالقاهرة والإسكندرية، وهذا أمر خطير يهدد الانتماء والولاء، فالهجمات شرسة من الاستعمار الجديد، من أميركا وانجلترا والصين وكندا وغيرها، تلك التي تنشئ المدارس والجامعات الخاصة المتزايدة.

رباط أهل مصر

وألقى كلمة المكرمين د.محمد سليم العوا المفكر المعروف وأمين عام الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، فأكد أن الواجب نحو لغتنا يعظم ويثقل على أعناقنا، والعمل لها يقوم به محب يسعى سعيا دائما

اللغة العربية من الدين لكن ألغاها الإعلام والمجتمع المدني

لحمايتها، والإحاطة بها إحاطة بأوسع الألسنة.

وأشاد بدور جمعية لسان العرب في حماية اللغة والدفاع عنها وهي جمعية متطوعة، وقال: أفزعني أن رأيت رئيس الجمعية يتشح بالسواد من هوان اللغة على أهلها، فالعاملون للغة لا يستحضرون الحزن والاكتئاب، بل هم في رباط.. والمرابط يقظ سعيد عامل على حماية ثغره أن يؤتى من بين يديه أو من خلفه، وليس رباطنا فقط على الثغر الشرقي لنرد العدو الصهيوني أو نحمي فلسطين ونرد غزوات العادين، بل رباط أيضا على ثغر اللغة لكيلا تصاب أو تحتضر، فلا نواجه هجمة شرسة ونحن حزانى ثكالى، بل نحن قادرون على أداء الواجب قال تعالى: ﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ (محمد: ٣٨).

ويتحفظ العوا على الرؤية التي تقول بأن من لا يخدم اللغة العربية فهو خائن للهوية والقومية، لأن هناك أسبابا أخرى لعدم خدمة العربية منها: عدم العلم والوعي بالقضية، أو العجز عن أداء الواجب، أو عدم وعي بالكسب الكبير المتحقق من حمايتها ورعايتها، والدليل أن كثيرا ممن كانوا يحاربونها في الجامعات صاروا يقفون في صف العربية ويدافعون عنها، بثمرة غرس جمعية لسان العرب المبارك، ولكن القضية تحتاج جهدا إعلاميا كبيرا، ولن يكفي دور وزير التعليم فهو مشغول بالإدارة ويصعب عليه التفرغ لها، فمسألة اللغة تحتاج جهدا فكريا كبيرا من المفكرين والمتخصصين أنفسهم.

ودعا الرئيس الشرفي للمؤتمر عبدالمحسن القحطاني أستاذ اللغة العربية بجامعة الرياض ورئيس نادي جدة الأدبي، إلى توحيد مجامع اللغة العربية على مستوى العالم العربي تحت مظلة واحدة، حتى لا نتمزق أوصالا وتتناثر جهودنا، فإن لم نتوحد سياسيا فلنتوحد حماية للغتنا، فبدونها لن يتفاهم العرب البتة.

ولخص المستشار السعودي أحمد باديب رئيس المؤتمر أزمة اللغة العربية في عدم تطبيق قول رسول الله ﷺ «تركت فيكم امرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله»(الألباني إسناده حسن وله شاهد)، فنحن العرب تركنا مسلك ومرتقى الأنبياء والصالحين، واعتبر أن الشباب هم حملة رسالة النهضة باللغة العربية وبالأمة، نهضة تبدأ بالعمل تحت مظلة قوله تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾ (المجادلة: ١١)، فبالعمل نرقى وليس بالعويل وبدفاع القاعد مكانه.

ودعا باديب لتوحيد المناهج في الدول العربية، فمناهج اللغة العربية فيها متخلفة وتعطي انطباعا سيئا عنا، ولنقض على خلافاتنا البينية لنتصدى للدفاع عن ديننا ولغتنا وقرآننا.

صندوق لدعم اللغة

وأوصى د.أحمد مصطفى الأستاذ بجامعة المنصورة في ورقته بتأسيس صندوق عربي لدعم أقسام وكليات ومدارس العربية خارج الوطن، وإقامة مكتب بوزارة التعليم لتلبية الاحتياجات بهذا الشأن.

وكشف د.رشاد سالم الأستاذ بجامعة الشارقة في بحث عنوانه «العربية ومكائد المستشرقين» أن المستشرق الألماني «ولهلم سبيتا» وكان مديرا لدار الكتب المصرية أواخر القرن التاسع عشر، خدع المسلمين بلهجة المحب ولكنه أراد أن تصبح العربية لغة طقوس وصلاة بعيدا عن مسرح الحياة، ومن ثم يحصر القرآن والإسلام في زاوية المسجد لا غير، وهو الهدف الذي سعى إليه المستعمر ومهد له التبشير والاستشراق ومشاريع التغريب، وبعبارة أخرى أراد للغة القرآن أن تكون كاللاتينية واليونانية والسريانية، لا تتردد إلا على ألسنة الكهنة والقساوسة في المناسبات الدينية، ولا يفهم الناس منها شيئا.

وشدد على أن دعاة العامية واللغات المحلية أو الأعجمية متهمون بالتآمر على ديننا وعروبتنا وتاريخنا وحضارتنا، ووجب علينا مكافحة دسائسهم لنقطع سبل التشويه الذي ينصب على قلوب وفكر الناشئة.

وأوصى د.سيد يوسف من جزر القمر بالمزيد من الجهد لدعم نشر العربية من قبل المنظمات الإسلامية بكل السبل، لأن هؤلاء الذين يتعلمون العربية يرجعون لبلدانهم ويرفعون فيها شعار هذه اللغة ومكانتها.

قواعد اللغة وتغير الحكم الشرعي

إسلام عبدالتواب

يوجه كثير من العلماء والمشايخ تلاميذهم وجماهير مستمعيهم إلى خطأ بعض الألفاظ من الناحية الشرعية، فيقولون لهم مثلا: لا تقولوا: المرحوم فلان، لأن هذا جزم بحدوث الرحمة له من الله تعالى، وهذا ادعاء على الله بغير علم، ولكن قولوا: فلان رحمه الله؛ فهذا دعاء له، وكذلك يقولون لهم: إذا ذكر الرسول ﷺ، فصلوا عليه بصيغة: ﷺ لأنها دعاء له بالصلاة عليه، ولا تقولوا: عليه الصلاة والسلام، فهي مجرد تقرير لصلاة الله تعالى عليه، وليست دعاء منك له ﷺ.

والمشكلة التي وقع فيها هؤلاء العلماء الأفاضل والمشايخ الفضلاء هي أنهم لم يرجعوا لقواعد اللغة حتى يتبينوا هل ما قالوه صحيح أم لا؟ فإن العالم الشرعي ينبغي أن يتحلى بفقه اللغة، وهذه القضية الشرعية من حيث جواز قول ما أو عدم جوازه، وصحة الصلاة على النبي ﷺ، بهذه الصيغة، أو عدمها، ينبغي الرجوع فيها لقواعد اللغة العربية.

يقول علماء اللغة: إن الجمل في اللغة العربية إما خبرية أو إنشائية، والخبر هو ما يحتمل الصدق والكذب في ذاته، بصرف النظر عن قائله، والإنشاء عكسه، وهو ما لا يحتمل الصدق ولا الكذب، ومثال الأول أي خبر، كقولك: طلعت الشمس، أو حانت الصلاة، فقولك هذا يحتمل الصدق والكذب في ذاته، مهما كانت مكانتك وصدقك، أما الإنشاء، فيشمل الاستفهام والدعاء والأمر والنهي، حيث لا يحتمل أي منها الصدق ولا الكذب، فلا نقول لمن يسألنا: هل حانت الصلاة؟ إنه كاذب، أو لمن يدعو الله تعالى: اللهم أدخلني الجنة؛ كذلك.

ولكن ورد في اللغة والقرآن الكريم جمل ينبغي الوقوف أمامها، كقول الله تعالى عن المسجد الحرام ﴿ومن دخله كان آمنا﴾ (آل عمران: ٩٧)، فهو خبر عن أمن من يدخلون المسجد الحرام، ونحن نعلم ونؤمن بصدق الله تعالى، ولكن كيف نفسّر ما فعله القرامطة من غزو للمسجد الحرام، وقتل للحجاج، ونهب للحجر الأسود، وما فعله جهيمان العتيبي وأتباعه بالمسجد الحرام من قتل للحجيج في العصر الحديث؟ وهل يمثل هذا طعنا في صحة الآية؟

لا، بالطبع، والإجابة: إن هذه الآية تمثل صنفا ثالثا من الجمل، وهو الجملة خبرية اللفظ إنشائية المعنى، فهي في ظاهرها خبر عن أمن المسجد الحرام، ولكن معناها إنشاء، وهو الأمر للمسلمين بتأمين من يدخل البيت الحرام.

وكذلك قول الله تعالى ﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم﴾ (النور: ٢٦)، حيث قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء(١).

فهي في ظاهرها خبر عن تزوج الطيبات من الطيبين، والخبيثات من الخبيثين، وأن ذلك قاعدة إلهية، ولكننا نرى في الواقع غير ذلك، حيث تقع الطيبة في إنسان خبيث دون أن تعلم، أو العكس، فالآية في حقيقتها إنشاء نوعه أمر للمؤمنين أن يزوجوا الطيبة للطيب والخبيثة للخبيث حتى يستقيم مسار الحياة.

وكذلك وقع ذلك الاستخدام في الحديث الشريف، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرمه الله، لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها» (صحيح البخاري).

فقوله ﷺ «لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته...» كل هذا من

كاتب مصري

قبيل الإخبار، ولكنه في حقيقته نهي عن هذه الأمور، ويدل على ذلك ما ورد عن أبي شريح أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة: ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولا قام به النبي ﷺ الغد من يوم الفتح، سمعته أذناي، ووعاه قلبي، وأبصرته عيناي حين تكلم به، حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس؛ فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما، ولا يعضد بها شجرة...» (صحيح البخاري).

فلفظ «فلا يحل لامرئ» يبين أن المقصود بالحديث الأول النهي.

وهذا ما كان يفهمه الصحابة رضوان الله عليهم من مثل هذه الألفاظ، ففي الموطأ: وحدثني عن مالك عن إسحق بن عبدالله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك أنه سمع عمر بن الخطاب، وسلم عليه رجل، فرد عليه السلام، ثم سأل عمر الرجل: كيف أنت؟ فقال: أحمد إليك الله. فقال عمر: ذلك الذي أردت منك.

ومن هنا لو جئنا لقولهم: إن الصلاة على النبي ﷺ بقول «عليه الصلاة والسلام» غير صحيح لأنه مجرد تقرير، وليس دعاء، فنرد أولا: إن لفظ الصلاة الذي يرونه صحيحا، وهو ﷺ عبارة عن جملة فعلية فعلها ماض؛ وهذا أيضا- على رأيهم- تقرير بحدوث الصلاة من الله تعالى عليه، وليس صلاة، فيلزم من هذا عدم صلاحية هذه العبارة أيضا للصلاة على الرسول ﷺ.

وثانيا: إن العبارتين في الحقيقة صحيحتان في الصلاة على النبي لأنهما من قبيل الجمل خبرية اللفظ إنشائية المعنى؛ فظاهرهما خبر، ولكنهما دعاء من المسلم لله بالصلاة على النبي ﷺ.

ومثل هذا يقال في قول: رحمه الله؛ فهي جملة فعلية فعلها ماض، وظاهر معناها الجزم بوقوع الرحمة للميت، ولكنها وكلمة المرحوم التي هي اسم مفعول مشتق من فعل مبني للمجهول، هو: رُحِمَ، أي رُحِمَ من الله تعالى خبريتا اللفظ إنشائيتا المعنى، حيث هما دعاء للميت بالرحمة لا أكثر، وليس بهما جزم بوقوع الرحمة للميت.

ندى الروح

بوخضرة عبدالكريم

سألت القوافي ما الهوى؟ ما مواسِمهْ؟
ألا يا سهام الود ثوري تعززي

وهل بين أعطافي خَوافٍ تقاسِمُهْ؟
بِقَوْلٍ من الوجدان ثارت عزائمه

إذا راح في الدهر الهزار فهأنا
شهابُ الرّواح الظفرَ كانت ونابَهُ

أسائلهُ.. إن السؤال يساومه
وها.. رَغبَاً ناجَتْ سَنَاءً مناسمه

على الورد والريحان عن زهرةٍ على
ندى الروح غيثٌ للتهجد نشوةٌ

وناةٍ، على دمعٍ على من ينادمه
بطول الليالي الليلُ تشدو مباسمه

يعاتبني الطيف الذي قد بدا رؤًى
بكوب الهدى من حوضه أنجمٌ هَوَتْ

يقاومني طورًا وطورًا أقاومه
ولاحَتْ مَجَرّاتٌ وأفقٌ يناغمه

تبلّل بالأشواق نبضي ومِبْسَمي
سلامٌ لِذاكَ السَّمْق روحي لهُ وفي

كما للحُباب الحب تشقى مآثمه
بيان قصيدي نبْضُ قلْبٍ مسالمه

أنست به فجرًا شربت رحيقهُ
أنا والهوى والكأسُ والرّاحُ كلنا

بنور الرسولِ الْعِطر تحلو نسائمه
على دربهِ نحيا ونحيا معالمه

أرى العمر يمضي.. والسراب إلى متى
على الآهِ كنت الأمْس أنشِد ليلتي

يدوم ويبقى الشوق.. تبقى مكادمه؟
وليلي من الزُّجْعانِ صارتْ مراسمه

سلاسِل مَيْلي في الفؤاد كأنها
به الأرضُ تعلو للسماء وِتنحني

شِعاب غمام هَدّه من يقاتمه
ويسجدُ بدْرٌ و الرّذاذ يُلاثمه

كتمت وللكتمان بَوْحٌ مُغرِّدٌ
فيا بسمة دَامَتْ وما كنت عارفًا

يعانقه نَثْوًا.. فإذ هو كاتمه
ولولا مآقي الدمع جَفّتْ ألازمه

أللشِّعر من دون النبيِّ حلاوةٌ
وتشربُ من نُسْغِ الحبيبِ قصيدتي

وللبسمةِ المُلقاةِ صَدْرٌ تباغمه؟
ويحلو الهوى لَمّا تحينُ مَواسِمُهْ

برغم العدا أنشدت قولي مُرتّلاً
من القصد مبنى والمعاني دعائمه

مُساجلات الأقران

مساجلاتُ الأقران ركنٌ شرعيٌّ وأدبيٌّ، وتاريخيٌّ توثيقيٌّ، يعْرض لبعض ما وقع لرجالات العلم، وأئمّة الدّين، وسادة اللغة والأدب، وأوعية الحديث والفقه، وأرباب الفنون المختلفة في محاوراتهم أو مراسلاتهم أو مناظراتهم، وربّما تناول بالسَّرْد والتّحقيق ما تَبَارى فيه الشّعراءُ والحكماءُ والمفكّرون والبُلغاء، كلّ ذلك بغية تصوير ما كان عليه المتقدّمون والمتأخّرون من تمام العقل، وسَعَة الصّدر، وجودة القريحة، وصفاء النّفس، وهي رسائل ناطقةٌ وصامتةٌ للتعلّم وحُسْن التّهدّي، تدْعو مَن يقف عليها من عموم المثقّفين للتأمّل وطول التدبّر في كيفيّة معالجة ما يقع للنُّفوس من الخلل والتأثر السّلبيّ النّاجم عن ضيق النّفس، وكآبة الضمير، وقلّة الدّراية والفَهم.جاء في لسان العرب: ٣٢٥/١١ «أصْل المُسَاجَلة: أن يَسْتَقي ساقيان فيُخْرِجُ كُلُّ واحد منهما في سَجْلَه مثْلَ ما يُخرج الآخَر، فأيُّهما نَكَل فقد غُلِبَ. فضربتْه العربُ مثلاً للمُفاخَرة، فإذا قيل: فلان يُساجِل فلاناً، فمعناه: أنه يُخْرِجُ من الشَّرَف مثْلَ ما يُخرجه الآخرُ، فأيُّهما نَكَل فقد غُلب، وتَساجَلوا، أيْ: تَفاخَروا، ومنه قولهم: الحَرْبُ سِجالٌ».

ولئن كانت الصّناعاتُ المختلفة، كما يقرّر ذلك العلماء، لها درجاتٌ متفاوتة، فمنها ما يرفع أهْلَه ويشرّفهم ويُغْنيهم عند المساجَلة والمكاثرة عن كرم المناسب، وشَرَف المناصب، ومنها ما يضَعُ المحترفين له أشدَّ الضَّعة، ويُخْملُهُمْ أقْبَحَ الخمول، حتى لا يكونوا لأحد ممّن سواهم نظراءَ في منزلة، ولا أكْفاءَ في معاشرة.

لئن كان ذلك، فإنّ صنْعَة العلْم، وسَعَة الاطّلاع، وجودة المحفوظ، وتجدُّدَ الفائدة من أجمل ما يتبارى فيه المتبارون، ويتمدَّحُ به السّامعون، وينْهَل منه المتلهّفون.

التحرير

بين ابن أبي زيد القيرواني وابن مجاهد البصري

حول التناصح في العلم

د. عبد الرحمن بن معمر السنوسي

هذه نصوصٌ نادرةٌ لعَلَم مُبَارَك من أعلام المالكيّة المتقدّمين، ألا وهو أبو محمّد عبدالله بن أبي زيد القيروانيّ، صاحب «الرّسالة» المشهورة، وهي مراسلتان، كتبَ الأولى جوابًا لرسالة بعثَ بها إليه إمامُ المالكيّة في العراق ومُقدّمُهُمْ؛ أبوعبدالله محمّد بن مجاهد البصريّ، والثّانيةَ لأحد طلاّب العلم كان قد اقتعدَ العزمَ على الحجّ والرّحلة في طلب العلم؛ يُوصيه فيها بأخلص ما يَتَهَدّلُ من دَوْحَة الأبوّة الدّينيّة من توجيه وحنان ونُصح، وأكْرِمْ بالعلماء الرّبّانيّين نَصَحَةً يومَ لا يَعْدَمُ الحُوارُ من أمّه الظّآر!

وهاتان الرّسالتان- مضافًا إليهما رسالةُ ابن مجاهد- من النّصوص التّراثيّة النّفيسة من حيثُ قيمتها التّاريخيّة والأدبيّة والفقهيّة، كما تعطي صورةً مُقَارِبَةً عن ثقافة ذلك العصر، ومنهج الدّراسات الفقهيّة فيه، وعن العلاقات التي كانت بين علماء الأمصار آنئذ.

دعاني إلى إخراجها الرّغبةُ في مُنَاسَمَة الأنفاس الصّادقة لأئمّة أسلافنا الكبار؛ كي نقفَ على أدب العلْم وجلال أخلاقه، ونَسْتَافَ من عبير سيرة أهله نَسَائمَ الهَدْي وكمالات السّلوك.

ولعلّ نفاسةَ هذه الرّسائل وأهمّيّتَهَا هي التي أوحت لناسخ كتاب «الذّبّ عن مذهب مالك لابن أبي زيد» أن يُلْحِقَهَا بآخر الجزء الثّاني- وقبل الثّالث- منه، وهو أيضًا ما بعثَ القاضيَ عياضًا على أن ينقل مُقْتَطَفَات من رسالة ابن مجاهد وجواب ابن أبي زيد في ترجمة ابن مجاهد من ترتيب المدارك(١).

ويبدو أنّ تلاميذ الإمام ابن أبي زيد- رحمه الله- كان يَتَعَمّقُهُمْ من جلالة الشّيخ وسلطانه الرّوحيّ عليهم ما ظهرَ أثره في تسجيلهم ما يصدرُ عنه من القول، وإن لم يكن ذلك ممّا يُسَجّلُ ويُلْحَقُ بالتّصانيف في مجرى العادة، إذ رغم أنّ هذه الرّسائل لا تعدو أن تكون لَحَقًا في ذيل كتاب «الذّبّ» المذكور؛ إلاّ أنّك تجد في ذيل رسالة الجواب الأولى «خطبةَ نكاح» لابن أبي زيد؛ قد يكون أحدُ تلاميذه دوّنها حين إلقائها، وبعد نصّ الخطبة سجّلَ النّاسخُ جملةً ممّا أورده الشّيخُ في مجالس الإقراء، أو خصّ به بعض تلاميذه من حكايات لا يخفى أثرها التّربويّ.

أمّا الرّسالة الثّانية، فقد كتبها لطالب علم لم يُسْعِفْ طولُ البحث في معرفة اسمه، ويبعُدُ في النّظر أن يكون أحدَ التّلميذين اللّذَيْن ذكرهما في الرّسالة الأولى، وذكرَ أنّهما متوجّهان من مكّة إلى العراق لِلُقْيَا الشّيخين أبي بكر الأبهريّ وابن مجاهد.

وقد نُسِخَتْ هذه الرّسائلُ- مع كتاب الذّبّ- في حياة المؤلّف الذي لم يَنْسَ النّاسخُ أن يدعوَ له في طُرّة الرّسائل، وفي أواخر كلّ جزء من «كتاب الذّبّ عن مذهب مالك» بـ: «أيّده الله» و«وأطال الله بقاءه»، بل في حياة الشّيخ الأبهريّ الذي توفّاه الله بعد أربعة أعوام من نَسْخ كتابَ الذّبّ وهذه الرّسائل.

رسالة الشّيخ محمّد بن أحمد بن مجاهد الطّائيّ البصريّ إلى ابن أبي زيد القيرواني:

للشّيخ الفاضل أبي محمّد عبدالله بن أبي زيد الفقيه المالكيّ القيروانيّ- أطال الله بقاءه وأدام عزّه وتأييده وسعادته وكفايته ونعمته وحراسته وتوفيقه- من محمّد بن أحمد بن مجاهد الطّائيّ البصريّ(٢)، يوصل القيروان حضرة الشّيخ الفاضل الفقيه ابنَ أبي زيد- أدام الله عزّه:

بسم الله الرّحمن الرّحيم، وصلّى الله على سيّدنا ومولانا محمّد.

أطال اللهُ بقاءَ الشّيخ الفاضل، وأدامَ عزّهُ وتأييدَهُ وسعادتَهُ وكفايتَهُ وحراستَهُ ومعونتَهُ وتوفيقَهُ وتسديدَهُ، وجمع لنا وله خيرَ الدّنيا

أكاديمي جزائري

والآخرة- برحمته- عن سلامة وعافية أحمدُ الله عليها؛ وأسألُه أن يُجزِّلَ حظَّه منها، وصلّى الله على سيّدنا محمّد النّبيّ وآله وسلّم تسليمًا.

وما يتّصلُ بنَا من أخبارِ الشّيخ الفاضل، وما وَهَبَهُ الله من الفضائل، وخَصّهُ به من شَرَف المنازل، قد أَبْهَجَنَا، وزاد في مُنْتَنا، وقَوِيَتْ به أنفسنا، فكثرت رغبتنا إلى الله تعالى في الدّعاء له، ومسألتنا حسنُ الدّفاع عنه، لما هو عليه- أيّده الله- من الإقبال على العلم والاهتمام به والتّوفير على أهله، حتى قد شرحَ من فنون العلم ما كان مُشْكِلًا، وفتحَ من عيونه ما كان مُطْبَقًا، وأَنْهَجَ من سَبيله ما كان وَعْرًا، وجمعَ من شوارِّه ما كان متفرّقًا، فأحسنَ الله جزاءه، وأطال بقاءه.

ولقد وقع إلينا من تصنيفه- أيّده الله- قطعة من المختصر، وجدناه- أيّده الله- قد أحسن في نظمه، وألطفَ في جمع معانيه، وكشفَ عمّا كانت النّفوسُ تَتُوقُ إليه، وكفى مَؤُونَةَ الرّحلة وطلب المصنّفات بالكلام السّهل والمعاني البيّنة التي تدلُّ على حُسْنِ العناية، وكثرة المعرفة، والحرص على منافع الرّاغبين في العلم والمتعلّقين به، فأحْسَنَ الله- أيّها الشّيخ- جزاءك، وأجزلَ ثوابك، وأمتعَ بدوام سلامتك.

ثمّ بَلَغَنَا أنّه- أيّده الله- قد صنّفَ كتابًا كبيرًا؛ جمع فيه مذهبَ الشّيخ الإمام مالك- رضوان الله عليه ورحمته، واختلافَ الرّوايات واختلافَ أصحابه- رضي الله عنهم، فَدَلَّنَا ما شَهِدْنَا من هذه القطعة من المختصر على عِظَمِ(٣) قدر هذا المبسوط، واشتماله على المحاسن، وجمعه لكلّ متفرّق من المذهب، وشرح كلّ غَلِق فيه، فَتَاقَتِ النّفوسُ إليه، وانصرفتَ الهممُ نحوه، فلولا طولُ المسافة، والعوارضُ التي تقطع كثيرًا من أهل العلم عمّا يُؤْثِرُونَهُ من المبالغة فيه، والقصد إلى الشّيخ المتفرّد في هذا- أيّده الله- لَمَا بَعُدَ طريقٌ يُوصل إليه- أيّده الله، ولَخَفَّ كلُّ ثقيل يؤدّي إلى فوائده، ويُنَالُ به العلمُ الذي لا يوجد إلاّ عنده!

وما يتّصل بنا من فضل الشّيخ- أيّده الله- ورغبته في الثّواب، قد نشّطني إلى تعريفه- أيّده الله- ما بنَا من الحاجة إلى هذين الكتابين، وبتَطَلُّعي وبتَطَلُّع مَنْ قِبَلِي من الطّالبين لهما. والشّيخ الفاضلُ- أطال الله بقاءه- يتفضّلُ في ذلك بما هو أهله، ويَمُنُّ بذلك عليّ؛ فإنّي إليه وجماعةً من قِبَلِي من إخوانه والرّاغبين في مذهب الشّيخ الإمام- رضوان الله عليه- متطلّعين، ﷺ فإنْ رَأَى الشّيخُ- أيّده الله- أن يتفضّل بإنفاذهما بعد عَرْضِهما بحضرته، وإجازتهما لي ولغيري من أصحابنا ممّن آثرَ ذلك وأحبّه، ويتفضّل بمكاتبتي بأخباره وأحواله، وما يَعْرِضُ قِبَلَنَا من مهمّاته وحوائجه، وما يَعْرِضُ لأصحابه- حفظهم الله- بالعراق، وليسدِيَ بذلك- أيّده الله، وعلى مَن بحضرته من إخوانه وأهل العلم السّلام.

وأنا أسأل الشّيخَ- أيّده الله- أن يشركَني في دعائه، فما أُغْفِلُ ذلك له: أجابَنَا اللهُ وإيّاه، وفتح لنا وله برحمته إنّه قريب مجيب، وهو حسبُنا ونِعْمَ الوكيل، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وسلّم تسليما.

وكُتِبَتْ هذا الكتاب في السّبت، لتسع خَلَوْنَ من ذي القعدة، سنة ثمان وستّين وثلاثَ مائة، وجعلتُهُ على نسختين استظهارًا في البلاغ، وأرجو أن يَبْلُغَا- إن شاء الله، والحمد لله أوّلًا وآخرًا.

جواب الشيخ أبي محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني

بسم الله الرّحمن الرّحيم

أدام الله للشّيخ الجليل البقاءَ في نِعَم دَارّة، وعين قارّة، وأحوال سارّة؛ مَكْلُوءًا بحرَاسته، محفوظًا برعايته، مُيَسّرًا إلى مَحَابّه وطاعته وعِصْمَته من الزّيغ والفتنة، ووفّرَ حظَّهُ مِنَ الصّفح والرّحمة، وأيّده بالتّوفيق في البيان عن دينه وإظهار حجّته ونشر حكمته، وحصّنه- فيما يقولُ ويعملُ- بعصمته، وجعله الله من المتّقين، ومَسّكَهُ بصالح سلفه المتقدّمين.

كتبتُ أحمدُ اللّهَ إليك على ما بنَا من ظاهر نعمة الله وباطنها في الدّين والدّنيا، وَهَبَنَا اللهُ وإيّاكَ من شُكره ما يرضاهُ عليها شُكرًا، ويكون لنا عنده ذُخْرًا، ولا حولَ لنا ولا قوّةَ في ذلك وفي غيره إلاّ به، وصلّى الله على سيّدنا محمّد نبيّ الرّحمة وعلى آله وسلّم.

وَرَدَنِي كتابُ الشّيخ- أَجَلّ اللهُ قَدْرَهُ ورفعَ في الدّارَيْن خطره- بما أَبْهَجَنِي من سلامته- أدامها الله له ووَاصَلَهَا عنده، وبما عَظُمَتْ به يَدُ الشّيخ عندي من ابتدائه بالمكاتبة وما بَسَطَ من المواصلة، وما دَلّ عن جميل القَصْد والطّويّة؛ والنّيّة الخالصة المرضيّة؛ نَفَعَهُ اللهُ بذلك ونَفَعَ به، وجَزَاهُ أفضلَ جزاء المتواصلين له يومَ تَقَاطُعِ المتحابّين لغيره، والقلوبُ- أيّد اللهُ الشّيخَ- أجنادٌ مُتَوَاصِلَة، وجوارحُ مُتَعَارِفَة، وعلى هذا الدّين مُؤتلفة- وإنْ نَأَت الدّيار، وهو يجمع من الأُلْفَة ويُوجِبُ من الحُرْمَة، ما لا يُوجِبُهُ قريبُ النّسب أو وشائجُ الرّحم، وَصَلَكَ اللهُ ببِرّه، وحماكَ من مساخطه.

وعِنْدَنا من أخبار الشّيخ الطّيّبة ما تَعُمُّ مسرّته؛ من بصيرته في هذا المذهب، وذَبّه عنه، ومُحَامَاته عليه- حماهُ الله عن كلّ مكروهٍ أوّلًا وأخيرًا برحمته.

وذَكَرَ الشّيخُ- أَطَابَ الله أخباره- ما وقع إليه من المختصر الذي عَمِلْنَاهُ، وسهّلنا فيه السّبيل، وقرّبْنَا فيه المعنى بمبلغ الطّاقة، ونرجو أن يُسَلِّمَنَا اللهُ وإيّاكَ في كلّ قَوْل وعمل.

وذَكَرَ الشّيخُ- صَانَهُ الله- ما أَعْجَبَهُ من ذلك واسْتَحْسَنَ منه، ومن بَيَانه وتقرير المعنى فيه، فقد أَنِسْتُ إلى قول الشّيخ- أيّده الله، ونرجو أن يجعله اللهُ خالصًا لوجهه، وأن يَرْفَعَنَا من حَالِ التّكلّف إلى حالِ النّصيحة له ولرسوله ولعباده، وهي الدّينُ الذي هو السّببُ المبلّغُ إلى رحمته.

ورَغِبَ الشّيخُ- رعاه الله- في إيصَال هذا الكتاب إليه كاملًا، لينتفعَ به الصّادرُ والوَارِدُ، وليُبَثَّ في البلاد، وينفعه الله به وينفعنا، فجزى الله الشّيخَ عنّا وعن جميع المسلمين جزاء المتناصحين له وفيه.

وكنتُ على أن أُجيدَ نَسْخَ نُسخة، وأجتهدَ في مقابلتها، وأبعثَها، فلم يتّسع لي الوقتُ إلى ما أردتُ من ذلك، وذكرتُ أنّ شابّيْن- ممّن يقربُ منّا- توجّها إلى الشّيخ من مكّةَ لِلُقْيَاهُ ولُقْيَا أبي بكر- الشّيخ- الأبهريّ(٤)- رعاه الله- فذكرتُ أنّهما حَمَلَا معهما هذا المختصرَ مصحّحًا مقابَلًا؛ مع كلّ واحد منهما نسخة، وهما شابّان ممّن عُنِيَ وفَهِمَ؛ وهما محمّد بن خلدون، وإسماعيل بن إسحق- يُعرفُ بابن عَزْرَةَ(٥)- فإن انتسخ من نسخة أحدهما فهو صحيح، ومع ذلك فأنا على ما أردتُ(٦) من تجويد نسخة وأبعثَهَا إلى الشّيخ- أيّده الله.

وأمّا الكتابُ الكبيرُ المبسوطُ الذي ذكره الشّيخُ- حفظه الله، الذي جمعنا فيه اختلاف أقاويل الشّيخ الإمام أبي عبدالله مالك بن أنس- رحمة الله عليه، واختلافَ أصحابه- رحمهم الله- والذين من بعدهم من المالكيّين إلى عصرنا هذا، قد جمعناه من الدّواوين الكبار التي فيها ما ابتغينا من ذلك، فيه مجتمع ومفترق، وجمعناه بالاجتهاد لتعظم الرّغبةُ وتكثرَ

الفائدة.

فهذا الكتابُ- أيّد الله الشّيخ- إنّا فيه نَدْأَبُ! وقد تَخَلّصَ من الكتب التي نُسخ فيها المُلْحَقُ والمستدرك، وبقي أن يُنْقَل من هذه النّسخة مُهَذّبًا لا إلحاقَ فيه ولا تقديمَ ولا تأخير، وقد تَهَذّبَ من هذه الصّفة نحوُ الثّلاثين جزءًا؛ ولم يُقَابَل بعدُ، لشُغلي بتمام تخلُّصها من النّسخة العويصة، وكتبتُ هذا الكتابَ وما قُوبل منها إلاّ كتابَ الطّهارة والجُزءَ الأوّل من الصّلاة، وقد بعثتُ بهما إلى الشّيخ مُقَابَلَيْن؛ ليرى أوّلَ الكتاب وكيف يندرج.

وأنا- إن شاء الله وبه أستعين- إذا كَمَلَ الكتابُ على ما ينبغي، عملتُ على أن يَصِلَ إليه منه نسخةٌ- إن شاء الله، والكتابُ المبسوطُ- أيّد الله الشّيخ- أقلُّه- إذا تمّ- نحوُ الخمسين جُزءًا إلى خمس وخمسين، المختصرُ من نحو ثلاثمائة، مع ما ضُمّ إليه من الأطراف والفوائد من سائر ما يُسْتَنْدَرُ من الكتب، ولقّبناه: «كتابَ النّوادر والزّيادات على ما في المدوّنة من غيرها من الأمّهات».

وأرجو أن يعين الله على مبلغ الأمل منه، وينفعَ به المسلمين، ويُعِيننَا على ذلك بالتّأييد في الإصابة لما يرضاه من عباده من الاجتهاد وحُسن النّيّة برحمته.

والسّلام على الشّيخ ورحمة الله وبركاته، وعلى من بحضرة الشّيخ من إخوانه وأوليائه، وعلى خاصّة وعامّة الطّالبين عنده- بارك الله فيهم، ونمّاهم، وكثّرهم، ومن كلّ مَنْ قِبَلَنَا من إخواننا ومن بحضرتنا وخاصّتنا ومن يَلُوذُ بِنَا، على الشّيخ السّلامُ ورحمة الله وبركاته- من جميعهم- وصلّى الله على محمّد- نبيّه- وعلى آله وسلّم. وعلى الشّيخ أبي بَكرٍ محمّد بن عبدالله بن صالح الأبهريّ.

وما ذَكَرَ الشّيخُ- أيّده الله- من إجازة الكتابين، فَهُمَا له إجازةٌ، ولكلّ من رغبَ في حمله عنّا، فذلك لهم إذا وصل إليهم مصحّحًا- إن شاء الله.

وما ذَكَرَ الشّيخُ من الدّعاء، فهذا واجبٌ له، وكذلك نرغبُ إليه فيما رَغِبَ فيه- أجابَ الله لنا وله صالحَ الدّعاء.

وكتبتُ هذا الكتابَ في غُرّة شعبان من سنة تسع وستّين وثلاث مائة.

نصّ رسالة ابن أبي زيد الثّانية التي أرسلها إلى أحد طلاّب العلم

بسم الله الرّحمن الرّحيم

حفظكَ اللّهُ في ظَعْنِكَ ومُقَامك، حفظًا تَصْلُحُ به أحوالُك، وتُزكّى به أعمالُك، وبلّغَكَ من الخير صالحَ آمَالك.

علمتُ ما تَؤُمُّهُ في مخرجك، من حجّ بيت الله- تبارك اسمه- وزيارة قبر نبيّه- عليه السّلام- والفائدة من علم الدّيانة، من الكُتُب من الحديث والفقه ما ترجو أن يعود عليك نفعُهُ أوّلًا وأخيرًا.

قيّضَ الله لكَ النُّجْحَ والسّعادةَ والرّشادَ والتّوفيقَ فيما تَؤُمُّهُ وتُؤَمِّلُهُ وتقوله وتعمله؛ فاستعنْ بتقوى الله ومراقبته؛ فإنّها حِصْنٌ منيعٌ من مَكَارِهِ الدّارَيْن، وعَوْنٌ مُبلِّغٌ إلى كُلّ صالحة من خير الدّنيا والآخرة، ورُضْ نفسَكَ على حسن الخُلُق والتّخلّق بمكارم الأخلاق؛ فإنّ ذلك يُحَبِّبُكَ إلى الرّفيقِ والصّاحب، ويرفعك عمّا يَسْفُلُ بالنّاسِ ويضعُ من أقدارهم.

وعليكَ بالأخذ بالحزم فيما أنتَ بسَبيله من سَفَرك، ولا تتّكلْ فيه على الهُوَيْنَى والصّاحبِ المُتَخَلِّف، واحْتَرِسْ من النّاس بسوء الظّنّ، في رفق وستر ورفع للأذى، ولا تَغْفُلْ عن التّعاهُد لتلاوة القرآن، فإنّه التّذكرةُ الكبرى، والحِصْنُ المنيعُ لمن اتّبعه في الآخرة والأولى.

وليكنْ لَجَؤُكَ(٧) إلى الله فيما ترغبُ فيه، ومُعَوّلُكَ عليه، راغبًا، وسائلًا، وراجيًا، وخائفًا، واستعنْ به، والْجَأْ إليه على ما كان فيك.

وإذا أحسستَ من أحد تقوىً وصحّةً، فاشْدُدْ به يديك، وجاملْ من لا تَرْضَى حَالَهُ مجاملةً لا تُشاركُهُ بها في جُرْم، وتجتنب أهل الشّرّ والباطل- ما استطعتَ- في رفق، ولا تُمَارِ سفيهًا، ولا تُراجعْهُ، ولا تُهَازِلْهُ!

وعليك بالرّفق ولِين الجانب، فربّما كان ذلك أَنْفَذَ وأبلغَ من العُنْف في بعض الأمور وبعض المواطن، والغريبُ أَوْلَى النّاسِ بذلك!

وارغبْ في كلّ بلد تَرِدُهُ في خُلْطة خياره وأهل الدّيانة منه، واقْنَعْ بهم وإنْ قَلُّوا، وقد تُؤَدِّيكَ ضرورةٌ إلى أن تحتاجَ إلى ذي باطلٍ وظُلْم، فَدَارِهِ! واستعن بالله في حاجتك إليه.

ومهما رَغِبْتَ في علم تَقْتَبِسُهُ وتطلبُهُ وتَرْوِيه وتستفيدُه، فَمِنْ أَوْثَقِ من تَجِدُهُ، وأقربِهِمْ إلى التّمسّك بالسُّنّة، وحُسْنِ الحال.

وإذا قضى الله عنك فريضتَكَ، ورُمْتَ طلبَ العلم، فإنْ عُوفيتَ من دخول العراق فهو أسلمُ لك! وإن دخلتَهُ فاحذرْ- ثم احذرْ- خُلْطَةَ أهل الجدلِ والكلام، وإن وجدتَ من صالحي رُوَاةِ الحديث وأهل الفقه فخالطهم دون غيرهم.

وإنْ كتبتَ الحديثَ؛ فعليكَ بصَحيحه على ما يَدُلُّكَ أهلُه. وكتابُ البخاريّ لكَ فيه كِفَايَة، وإن كتبتَ أو اشتريتَ مُصنّفًا في الحديث واختلاف السّلف فَمُصَنّفَ ابن أبي شيبةَ، إنْ كان يوجدُ روايةً، وبعده مُصنّفُ عبدالرّزّاق- إن لم يكن ذلك- وإن استغنيتَ عنه بالاقتصار على مذهب أهل المدينة اكتفيتَ بما لا تجدُ منه عوضًا.

وإن كان لكَ رغبةٌ في الرّدّ على المخالفين من أهل العراق والشّافعيّ، فكتابَ ابن الجَهْم(٨)- إن وجدته-، وإلاّ اكتفيتَ بكتاب الأبهريّ(٩)- إن كسبته- وكتابَ الأحكام لإسماعيل القاضي(١٠)، وإلاّ اكتفيتَ باختصارها لبكر بن العلاء(١١)، والكتابَ الحاوي لأبي الفرج(١٢)- إن كسبته- ففيه فوائد! وإن استغنيتَ عنه لقلّة لَهَجِكَ بالحجّة فأنت عنه غنيٌّ بمختصر ابن عبدالحكم(١٣)، أو كتاب الأبهريّ، وأحسنُ ما كسبتَ في الفقه للمالكيّين كتابُ ابن المَوّاز(١٤).

وإن دخلتَ العراقَ فاكتُبْ في مسائل الخلاف ما تجدُ لأهل الوقت من الحجّة والاستدلالات.

وإن رغبتَ في شيءٍ من التّفاسير، فتفسيرُ لإسماعيل القاضي(١٥)- إن كان يوجد.

وأمّا تفسيرُ محمّد بن جرير(١٦) فبلغني أنّه حسنٌ؛ ولا أدري محلّ الرّجل عند أهل بلده في التّمسّك، وبعضُ النّاس يتّهمه وأنا لا أُحَقّقُ عليه(١٧)، ولإسماعيل كتابُ الشّواهد(١٨)، فلو وُجِدَ لكان حسنًا.

والمنهومُ في الكُتُب لا يَشْبَعُ! وأسألُ اللهَ أن يحملكَ على أجملِ الطّرق وأسْلَمِهَا عاقبةً وعاجلةً، وأقلّ مِنْ هذا فيه مَقْنَعٌ لمن وفّقه الله!

واستعنْ بالله واسْتَخِرْهُ، والْجَأْ في كُلّ أمرٍ إليه، وارغبْ إليه في السّلامة من مساخطه؛ والعملِ بمَحَابّه، والشُّغْلِ بأرضَى الأعمال عنده. واللهُ وَلِيُّكَ وناصرُكَ وكافيكَ وراعيكَ، بفضله ودفاعه ورفقه وكفايته.

ولنا عليكَ أن تذكُرَنَا في صالح المشاهد، وعند تلك المواطن الحميدة، عند النّيّات الخالصة، وأسألُ اللهَ لكَ القبول والتّوفيقَ برحمته، وصلّى الله على محمّدٍ نبيّه وسلّم تسليمًا.

الهوامش

١- ينظر: ترتيب المدارك: (٦/١٩٧-١٩٨).

٢- هو أبوعبدالله محمّد بن أحمد بن محمّد بن يعقوب بن مجاهد الطائيّ، بصريّ سكن بغداد، صاحَبَ أبا الحسن الأشعريّ وأخذ عنه وعن أبي زيد المروزيّ، وعنه أخذ أبوبكر الباقلاّني وأبوبكر بن عزرة وأبوالقاسم المكّي، من تآليفه: كتاب تهدية المستبصر ومعونة المستنصر، وكتاب في أصول الفقه على مذهب مالك، توفي سنة (٣٧٠هـ)، ترتيب المدارك لعياض: (٦/١٩٦- ١٩٩)، وسير أعلام النّبلاء للذّهبي: (١٦- ٣٠٥)، والدّيباج المُذهَب: (١/ ٢٥٨).

٣-: شُكلَت في الأصل هكذا «عُظْم»، ويبدو أنّ ذلك من تصرّف النّاسخ؛ إذ لا يصحّ في هذا الموضع أن تكون «عظم» بضمّ العين وإسكان الظاء؛ لأنّها في معنى (معظم الشّيء وأكثره)، بل الصّحيح أن تكون بكسر العين وفتح الظاء؛ لإفادتها معنى كبر الشّيء وفخامته حسًا أو معنى، وهو المناسب لسياقة العبارة.

٤- هو أبوبكر محمّد بن عبدالله بن محمّد الأبهري، أشهر فقهاء المالكيّة ببغداد في عصره، من تآليفه: كتاب الرّدّ على المزني، وكتاب الأصول، وكتاب إجماع أهل المدينة، وشرح مختصري ابن عبدالحكم، وعنه روى ابن أبي زيد مختصر ابن عبدالحكم إجازة كتب بها إليه، توفي سنة (٣٧٥هـ) . النّوادر والزّيادات لابن أبي زيد: (١/ ١٤)، وتاريخ بغداد للخطيب: (٥/ ٤٦٢، ٤٦٣)، والانتقاء لابن عبدالبرّ: (ص/٥٣).

٥- ذكرهما القاضي عياض في ترتيب المدارك: (٦/ ١٩٨) في ترجمة ابن مجاهد عند كلامه عن هذه المراسلة، إلاّ أنّ في أحد نسخ «التّرتيب» محمّد بن خالد، بدل: محمّد بن خلدون.

٦- ضَبَطْهَا بالضّمّ للفاعل المتكلّم أولى؛ لأنّه جرى على أن يخاطب ابنَ مجاهد بضمير الغيبة وما يقتضي التعظيم والتّوقير.

٧- رُسِمَتْ في الأصل هكذا: «لجاك»؛ بناءً على مذهب من يُبقي الهمزة المتطرّفة تقديرًا على الألف مطلقًا؛ مصيرًا إلى أنّ اللّفظ إذا انفرد وأُريدَ الوقوف عليه، تُبدلُ الهمزة ألفًا، وأصحّ منه مذهب من يعتبر حركة الهمزة نفسها لتوسّطها العارض، والغريب أنّ هذا هو مذهب المتقدّمين الذين نَسخ هذا الكتاب في عهدهم. ينظر: «المطالع النّصريّة» للشّيخ نصر الهوريني: (ص١١١-١١٢)، وأدب الكاتب لابن قتيبة: (ص ٢١٠).

٨- ظاهر كلامه أنّه يشير إلى كتاب «الحجّة لمذهب مالك»، ولابن الجهم كتاب آخر هو: «كتاب مسائل الخلاف» احتجّ فيه كثيرًا لمذهب مالك وردّ على مخالفيه، وهو منهجه في تآليفه كما ذكر الخطيب في تاريخه.

وابن الجهم هو: أبوبكر محمّد بن أحمد بن محمّد بن الجهم، يعرف بابن الورّاق المروزي؛ من فقهاء المالكيّة الكبار ومحدّثيهم ببغداد، ومن تآليفه: بيان السّنّة، والرّدّ على محمّد بن الحسن، وغيرهما، توفي سنة (٣٢٩هـ) وقيل (٣٣٣هـ)، ترتيب المدارك لعياض: (٥/ ١٩-٢٠)، وتاريخ بغداد للخطيب: (١/ ٢٨٧هـ).

٩- لعلّه يقصد «كتابَ الرّدّ على المزنيّ».

١٠- وهو «كتاب أحكام القرآن».

والقاضي هو: إسماعيل بن إسحق بن إسماعيل بن حمّاد الجهضمي الأزدي؛ ولد سنة (٢٠٠هـ) بالبصرة، وبها كانت نشأته، ثم استوطن بغداد، وتفقّه به أكثر فقهاء المالكية ببغداد في عصره، من تآليفه: الرّدّ على الشّافعيّ في مسألة الخمس، وكتاب المبسوط في الفقه، وكتاب الأموال والمغازي، توفي سنة (٢٨٢هـ). ترتيب المدارك: (٤/ ٢٧٨-٢٩٣)، والدّيباج المُذهَب: (١/ ٩٣-٩٥).

١١- واسمه: «كتاب الأحكام المختصر من كتاب إسماعيل بن إسحق».

وابن العلاء هو: أبوالفضل بكر بن العلاء بن محمّد بن زياد بن الوليد القشيري، أصله من البصرة، وانتقل إلى مصر فأدرك فيها رياسة عظيمة، وهو من كبار فقهاء المالكيّة رواية للحديث، من تآليفه: كتاب الرّدّ على المزني، ومآخذ الأصول، توفي بمصر سنة (٣٤٤هـ)، ترتيب المدارك: (٥/ ٢٧٠-٢٧٢) والدّيباج المُذهَب: (١/ ١٠٠-١٠١).

١٢- هو أبوالفرج عمر بن محمّد بن عمرو اللّيثيّ البغداديّ، نشأ ببغداد، وأصله من البصرة،، وكان فصيحًا لغويًا فقيهًا متقدّمًا، وهو من أصحاب إسماعيل القاضي، من تآليفه: اللّمع في أصول الفقه، وكتاب الحاوي المذكور، توفي سنة (٣٣٠هـ) وقيل (٣٣١هـ)، ترتيب المدارك: (٥/ ٢٢-٢٣)، والدّيباج المُذهَب: (١/ ٢١٦).

١٣- وهو كتاب «المختصر الصّغير».

وابن عبدالحكم هو: أبومحمّد عبدالله بن عبدالحكم بن أَعْيَنَ المصريّ؛ كان من المتحقّقين بمذهب مالك، وإليه أفضت الرّياسة بمصر، روى عن الإمام مالك، كما روى عن كبار أصحابه- كابن القاسم وابن وهب وأشهب- ما سمعوه منه، وصنّف كتابًا اختصر فيه تلك الأسمعة بألفاظ مقرّبة، ثم اختصر من ذلك كتابه المختصر الصّغير، وعليهما كان المعوّل في المدارسة عند مالكيّة بغداد، وكان صديقًا للشّافعيّ، وعليه نزل بمصر، توفي سنة (٢١٤هـ)، ترتيب المدارك: (٢/ ٥٢٣-٥٢٨)، والانتقاء لابن عبدالبرّ: (ص٥٢-٥٣).

١٤- المشهور «بكتاب الموّازية»، وهو أجلّ كتاب ألّفه قدماء المالكيّة، وأصحّه مسائل، وأبسطه كلامًا وأوعبه.

وابن الموّاز هو: أبوعبدالله محمّد بن إبراهيم بن زياد بن الموّاز الإسكندراني، ولد سنة (١٨٠هـ)، من تآليفه: كتاب الوقوف، توفي سنة (٢٦٩هـ) وقيل (٢٨١هـ)، ترتيب المدارك: (٤/ ١٦٧-١٧٠)، والدّيباج المُذهَب: (١/ ٢٣٢-٢٣٤).

١٥- واسمه «كتاب معاني القرآن وإعرابه» أخذه من كتاب المعاني للقاسم بن سلاّم؛ وزاد فيه زيادات؛ وهو كتابٌ أقرب إلى صناعة أهل اللّغة منه إلى صناعة المفسّرين.

هذا؛ وفي النّفس أنّه يقصد: «كتاب أحكام القرآن» الذي سبق ذكره، ويكون المقصود بكتاب الأحكام الوارد في كلام ابن أبي زيد هو «كتاب المبسوط في الفقه»، ويتأيّد هذا التّقدير بعبارة القاضي عياض التي تفيد أنّ كتاب «معاني القرآن وإعرابه» صغير؛ فقد ذكر أنّه خمسة وعشرون جزءًا- والجزء ههنا بمصطلح الأقدمين- أي لا يتجاوز المجلّدين في أكثر تقدير، أمّا «كتاب أحكام القرآن» فقد قال عنه ابن النّديم: «كبير!». وانظر: ترتيب المدارك: (٤/ ٢٩٢)، والفهرست لابن النّديم: (ص٢٥٢).

١٦- وهو المسمّى «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» مطبوع.

١٧-: انظر في ذلك: سير أعلام النّبلاء للذّهبي (١٤/ ٢٧٣).

١٨-: اسمه «شواهد الموطّأ» ذكر القاضي عياض في ترتيب المدارك: (٤/ ٢٩٢) أنّه في عشرة مجلّدات.

مدينة «نَسَا»

إن من أحب الأشياء إلى النفس أن تتعرف على منطقة أو مدينة كانت حاضرة المناطق، ثم غيبتها الأيام، ونسيها سكان الزمان.

مدن كانت نسبًا لعلمائها الذين ملأوا الدنيا علمًا، فعرفتهم أقاصي المعمورة، وطوّف ذكرهم البلاد، على حين زالت هذه المدن مع تقلب الأيام، واندرست، وطمست معالمها، أو استبدل باسمها آخر.

وإنّ من أحب الأشياء إلى النفوس أن تعرف عالما طار صيته، ثم تعلم موقع بلده، لتقرن العلم بالمكان، والسمع بالحس، والمعرفة بالبيئة، والنبوغ بالمصدر، وتكون خيبة أملها شديدة عندما تبحث فلا تصل، وتفتش فلا تعرف، إذ ضاع الماضي، واندثر الفن، وندبت الحضارة أيامها الخوالي.

وتكون ثورة النفس عنيفة على أمتها وعلمائها الذين لم يضعوا تحت يديها ما يعرفها على ذلك المكان، الذي افترن بترجمة عالم من العلماء، يذكر كلما ذكر ذلك العالم، ومع ذلك لا يعرف موقعه في خريطة العالم اليوم.

ومن الموضوعات التي يعاني الباحثون من شح المعلومات حولها ما يتعلق بالتعريف بالبلدان التي ينتسب إليها العلماء، حيث إنها وإن كانت معرفة في كتب البلدان القديمة، كمعجم البلدان للحموي، وغيره، إلا أن تحديد موقعها اليوم، وتقديم وصفها الحالي، مما يعجز عن الوصول إليه كثيرٌ من الباحثين، وأنا واحدٌ من أولئك، حيث كنت أجد صعوبة في الوصول إلى بغيتي في هذا المجال في بحوثي الأكاديمية في الجامعة.

ولاشك أن علماء المسلمين اهتموا بعلم البلدان، وأولوه عناية خاصة، وذلك لأسباب كثيرة منها التعرف على الأمصار والأقطار التي ينتسبُ إليها علماء كان لهم إسهام بارز في التراث الإسلامي، وكان اهتمام المحدثين منهم بهذا العلم أكثر من غيرهم؛ لأن معرفة موطن المحدث من أهم عناصر ترجمته، ولذلك أفردوه كنوع مستقل من أنواع علوم الحديث (١).

وقد زادت الحاجة إلى هذا العلم بعد أن طرأ تغيير واسع على بعض الأسماء المعروفة من نواح عديدة، وبعد أن أهمل الباحثون ذكر كثير من المناطق والأقاليم التي كانت من حواضر العلم، وذلك بعد أن تقاسمتها دول عدة، وضمت إلى أراض واسعة، فضاعت لصغرها النسبي، كما هو حال «خراسان».

وللمساهمة في تذليل هذه العقبات؛ أردت أن أتناول الأمصار التي انتسب إليها العلماء.

د. محمد محمدي محمد جميل
اختصاصي دراسات إسلامية في وزارة الأوقاف الكويتية

مدينة «نَسَا» من مدن خراسان، وتقعُ بآخر خراسان- من جهتها الشماليّة الغربية- بسفح الجبل، على الثغر، مما يلي خُوارزم (١)، بينها وبين «سَرَخس» يومان، وبينها وبين «مرو» خمسة أيام، وبينها وبين «أبيورد» يوم، وبينها وبين «نيسابور» ستة أو سبعة أيام (٢).

قال المقدسي البشاري (ت نحو ٣٨٠هـ): «نسا بلدٌ رحبٌ، نزيه طيب، غزيرُ المياه، كثير الخيرات، مشتبك الأشجار، حسن الثمار، جامعٌ ظريف، وخبزٌ نظيف، وسوقٌ رصيف، له خصائص وظرائف، المذهب واحد، والرخص دائم، مع فقه وأدب وأصل وحسب وبأس ومنعة، قَلَّ دارٌ إلا وبها بستانٌ وماءٌ جار، وقرى كبار...» (٣).

قال ابنُ حوقل (ت بعد ٥٨٠هـ): «ونَسا مدينةٌ خصبةٌ، كثيرةُ المياه والبساتين، وهي في الكبر نحو «سرخس»، ومياهُهم جاريةٌ في دورهم وسككهم، وهي نزهةٌ، ولها رساتيق واسعةٌ خصبة، وهي في أضعاف جبال» (٤)، أي: تقعُ المدينةُ ضمن سلسلة جبال، وهي جبال «كوبت داغ».

وهي مدينةٌ طيبةٌ، كثيرة الأنهار، يُقال: إنّ بها اثني عشر ألف عين ماء تخرجُ من أصل الجبل، إلا أنها وبئة، ويكثر بها العرقُ المديني (٥)، حتى إنه في الصيف قلّ مَن ينجو منه (٦).

وقد بناها فيروز بن يزدجرد، أحد الأكاسرة، وكان يُقال لها «شَهْرفيروز»، وذكر القزوينيُّ أنّ بها رباطًا عظيمًا بناه رئيسُها عمادُالدين حمزة النسوي، وأنه ليس في شيء من البلاد مثله في عظم العمارة وكثرة الخير(٧).

هذا على وصف البُلدانيين القُدامى، فمن الواضح أنّ المدينة كانت من أكبر المدن، وهي في الكبر مثل مدينة «سرخس»، إلا أنّ الأمر اختلف بعد ذلك، فقد أشارَ القزوينيُّ (ت٦٨٢هـ) إلى أنّ هذه المدينة كانت ضمن المدن التي خرّبها التتار، حيث قال بعد وصف المدينة: «وكان الأمرُ على ذلك إلى ورود التتر، والآن سألتُ بعضَ فقهاء خراسان عنها فذكرَ أنه بقي منها بقيّة» (٨).

أمّا الآن: فلا وجودَ لمدينة «نَسَا»، وتقع أطلالُها إلى الغرب من «عشق آباد» عاصمة «تركمانستان»، على بُعدِ خمسة أميالٍ منها(٩).

وهذه المنطقةُ التي تقعُ فيها مُدُنُ: «نسا» و«عشق آباد» واقعةٌ في الوادي العريض الذي يقع بين جبال «كوبت داغ» وصحراء «قراقوم»، ويُسَمّى هذا الوادي- الآن- بـ«دَرّة كَز» (١٠).

والنصفُ الشماليّ من سلسلة جبال «كوبت داغ» تُشَكِّلُ الحدودَ الطبيعيّةَ بين إيران وتركمانستان.

وتقع مدينةُ «نسا» - حسب ما سبق من الوصف- على سفوح هذا الجبل من جهة الشرق، في النصف الشماليّ منه، في جنوب تُرْكُمانسْتَانْ.

وذكر «كي لسترنج» أنه «لعل مدينة نسا تطابق محمد آباد الحديثة، أكبر مدن «دَره كز» (١١).

والنّسبةُ إلى هذه المدينة: «النّسائيُّ»، و«النّسَويُّ»، والأصحُّ والأشهَرُ هو الأول، بل حكى السمعانيُّ عن الأديب أبي المظفّر محمد بن أحمد الأبيوَرْدي أنه هو الصحيح (١٢).

أمّا سببُ تسمية هذه البلدة بهذا الاسم، فقد قال السمعاني: «وسمعتُ أنّ هذه البلدة إنما سُمّيَت بهذا الاسم في ابتداء الإسلام؛ لأنّ المسلمين لَمّا أرادوا فتحَها كان رجالُها غُيّبًا عنها، فحارَبَت النّساءُ الغزاةَ، فلما عرفت العربُ ذلك كفُّوا عن الحرب؛ لأنّ النساءَ لا يُحارَبْن، وقالوا: وضعنا هذه القريةَ في النّساء، يعني التأخير، حتى يعودَ وقتُ عَودِ رجالهن»، ثم قال: «إنما سُمّيَت «نَسَا» لأن النساءَ كانت تُحارِبُ دون الرّجال، والله أعلم» (١٣).

هذا وقد خرجَ من هذه المدينة أعلامٌ كثيرون في الحديث والفقه وغيره، وأشهرُهم على الإطلاق هو الإمامُ أبوعبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سفيان بن بَحر بن دِينار النّسائيّ.

وُلِدَ- رحمه الله- في مدينة «نَسَا» عام

خمسَ عشرة ومائتَين، ونشأ في بلده «نَسَا» نشأةً علميةً، وطلبَ العلمَ في صِغَره، وتلقّى أصولَ العلوم على مشايخ بلده، ولما شبّ عن الطّوْق وبلغَ مبلغَ الشباب، بدأ الرحلةَ في طلب الحديث ولَمّا يتجاوز الخامسةَ عشرة من عمره، وهذا يدلُّ على نضوجه وبلوغه مبلغَ مَن تأهّلَ للرحلات إلى خارج بلده، كما يدلُّ على أنه كان قد حصّلَ قبل ذلك ما يُعدُّ ضروريًّا لطلّاب العلم قبل البدء بالرحلة، كحفظ القرآن الكريم، ودراسة أوّليات علوم الآلة، وغيرها.

أثنى على الإمام النسائيّ كثيرون، ومن أقوالهم فيه: قال تلميذُه الحافظ أبوعلي النّيسابوريّ (ت٣٤٩هـ): «أخبرنا الإمام في الحديث بلا مدافعة أبوعبدالرحمن النّسائيّ». وقال: «وكان من أئمة المسلمين».

وقال الإمامُ الدارقطني (ت٣٨٥هـ): «أبوعبدالرحمن مقدّمٌ على كلّ مَن يُذكَر بهذا العلم من أهل عصره».

وقال الحافظُ ابنُ نقطة (ت٦٢٩هـ): «صاحبُ كتاب «السنن»، حدّثَ عن خلق كثير، وطافَ البلاد: العراقَ، والحجازَ، والشامَ، ومصرَ، وكان إمامًا من أئمة المسلمين».

وقال الإمامُ الذهبيُّ: «ولم يكن أحد في رأس الثلثمائة أحفظَ من النّسائيّ، هو أحذق بالحديث وعلله ورجاله من مسلم، ومن أبي داود، ومن أبي عيسى، وهو جارٍ في مضمار البخاري، وأبي زرعة».

وقال سبطُ ابن العجمي (ت٨٤١هـ): «صاحبُ «السنن»، وأحدُ الأئمة المبرزين، والحفّاظِ الأعلام، طوّفَ وسمعَ بخراسان، والعراق، والحجاز، ومصر، والشام، والجزيرة، من خلق كثير، مشهورُ الترجمة، وأثنى العلماءُ عليه كثيرًا، ووثّقوه، وهو فوق الثقة».

ألّفَ الإمامُ النسائيُّ كثيرًا من الكتب في مختلف فنون الحديث، وأشهرُ هذه الكتب وأعظمُها كتابُه «السنن الكبرى»، و«السنن الصغرى»، وأشهرُها «الصغرى»، وهو أحدُ الكتب الستة المشهورة، وقد أطبقَ الأئمة والعلماء على الثناء على هذا الكتاب، ومن ذلك ما قاله السخاوي أنه: «من التصانيف الجليلة المشتملة على التّصاريف النبيلة، المدرج في كتب الإسلام ونخب الدواوين العظام، الكتاب الحسن الوَاضح الجلي، الملقّب بالسنن للنسائي؛ فإنه بفُنونه زاحمَ إمامَ الصّنعة أبا عبدالله البخاريّ في تدقيق الاستنباط...».

وقال أيضًا: «ولَعَمري فكتابُه بديعٌ لِمَن تدبّرَه، وتفهّمَ موضوعَه وكرّرَه، وكم جواهرَ اشتملَ عليها، وأزاهرَ انتعشَت الأرواحُ بالدخولِ إليها».

كان الإمامُ النسائيُّ مع ما كان عليه من السعة في المال معروفًا بزهده وورَعه، وانقباضه عن الدنيا، والإقبال على الله تعالى، فكان يَصومُ صوم داود- عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- فيصومُ يومًا ويُفطرُ يومًا.

وقد رحلَ الإمامُ النسائيُّ إلى كثيرٍ من البلاد الإسلامية في طلب الحديث، وهو من أشهر الرحالين فيه، وبعد تطواف عريض استوطنَ مصر بدل مدينته «نسا»، ولكنه خرجَ من مصر قبل موته بثلاثة أشهر ونصف.

وقد اختلفوا في سبب خروجه من مصر، كما اختلفوا في جهة وروده، فذكرَ بعضُهم أنه خرج من مصر لأنه لما بلغَ ما بلغَ من العلم والمكانة حسدَه الناسُ، فخرجَ منها إلى الرملة، وكانت المحنةُ فيها، ثم نقل إلى مكة وتوفي فيها.

بينما ذكرَ آخرون أنه خرجَ حاجًّا، ولم يذكر الحسد، وذكر أنّ المحنةَ كانت بدمشق، وأنه أخرجَ منها إلى مكة، وتوفي بها.

أمّا الراجحُ في سبب خروجه، فلا يُستبعَدُ اجتماعُ الأمرين- الحسدُ وإرادةُ الحج- فلا يُستبعَد أن يُحسَدَ الإمامُ النسائيُّ على ما بلغَ إليه من المنزلة العالية في العلم، وأن يكون الإمامُ قد خرجَ منها متضايقًا، والله تعالى أعلم.

أما جهةُ وروده، فأكثرُ المصادر على أنّ المحنةَ كانت في الرملة، وليس في دمشق، وذكرَ الإمامُ الذهبيُّ وغيرُه أنّ المحنةَ كانت بدمشق- في جامعها- ثم أخرج من المسجد، وحُمِلَ إلى الرملة، وهذا هو الذي تسكن إليه النفس، والله تعالى أعلم.

وقد توفي الإمامُ النسائيُّ سنة ثلاث وثلاثمائة، وذلك بسبب المحنة التي تعرض لها، وتوفي في الرملة.

والإمامُ النسائيُّ آخرُ الأئمة الستة وفاة، بل هم في مرتبة شيوخه، كما ذكرَه السخاويُّ، وكان من المعَمّرين، حيث عاشَ ثمان وثمانين سنة، رحمه الله تعالى، وأسكنَه فسيحَ جناته.

الهوامش

(١) «توضيح المشتبه» لابن ناصرالدين (١٧/٥، ٧٠/٩)، «تبصير المنتبه بتحرير المشتبه» للحافظ ابن حجر (١٤٣٧/٤).

(٢) «معجم البلدان» (٣٨٥/٤).

(٣) «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» للبشاري (ص٣٢٠). ذكرَ البشاريُّ بعد كلامه السابق بعض مساوئ هذه المدينة، حيث قال: «إلا أنّ بها كلّ عيّار، قد أخربها (كذا) العصبية، وحوى ضياعها الخوارزمية، قد زادوا في القرآن، ورجّعوا في الأذان، وخالفوا الإسلام». وهذا الذي ذكره المقدسي لا يعدو أن يكون سببه شيء من العصبية التي رماهم بها، وقد ذكر البشاريُّ نفسُه أنّ أكثر الخراسانيين على مذهب الإمام أبي حنيفة، سوى بعض المدن، وذكر منها «نسا» (انظر: أحسن التقاسيم ص ٣٢٣)، وهو نفسه حنفي المذهب، فقد يكون ما ذكرَه عن أهل نسا راجعًا إلى ما قد يكون بين أهل المذاهب، والله أعلم.

(٤) (صورة الأرض) لابن حوقل (ص ٤٤٥).

(٥) ذكرَ د.محمد علي البار أنه نوعٌ من الديدان كان يكثر في المدينة، ولذا نُسب إليها، ويُعرف علميا باسم «دراكانكولا ميدنيس»، كما يُعرف أيضًا بدودة غينيا، وهو يكثر في المناطق التي تعتمدُ في شربها على مياه الآبار.

(٦) انظر: «آثار البلاد وأخبار العباد» للقزويني (ص ٤٦٥)، «تبصير المنتبه بتحرير المشتبه» للحافظ ابن حجر (١٤٣٧/٤).

(٧) «آثار البلاد وأخبار العباد» (ص ٤٦٥).

(٨) «آثار البلاد وأخبار العباد» للقزويني (ص/٤٦٦).

(٩) انظر: «المسلمون في الاتحاد السوفييتي» للدكتور محمد علي البار. (٥٩٣/٢)، «خراسان» لمحمود شاكر (ص ٤٧).

(١٠) «بلدان الخلافة الشرقية» (ص ٤٣٥).

(١١) «بلدان الخلافة الشرقية» (ص ٤٣٦)، هامش (٢٠).

(١٢) «الأنساب» (٤٨٣/٥).

(١٣) «الأنساب» للسمعاني (٤٨٣/٥).

مسجد قرطبة الجامع في الأندلس (إسبانيا)

تركي محمد نصر
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

قرطبة «جوهرة العالم» مدينة أندلسية تقع في غرب إسبانيا، وتمتد على الضفة اليمنى لنهر الوادي الكبير، كانت مركزًا للحضارة الإسلامية في أوروبا قرابة خمسة قرون، وتاريخها شاهد على ما بلغه عز الإسلام في الأندلس.

ويعد مسجدها الجامع قمة من قمم الفن المعماري العالمي، وأروع الآثار الإسلامية الباقية على الإطلاق.

دخل الإسلام قرطبة عام ٩١هـ، عن طريق جيوش المسلمين التي فتحت الأندلس، وكان فتح قرطبة ميسورًا؛ حيث أرسل طارق بن زياد القائد مغيث الرومي إلى قرطبة في سبعمائة فارس، فأقبلوا نحو المدينة ليلًا، ونجحوا في دخول أسوار المدينة وفتح أبوابها لجيوش المسلمين، ففتحت قرطبة، وكان السمح بن مالك الخولاني هو الذي عمرها ورفعها إلى مصافّ الحواضر الكبرى، وأصبحت هذه المدينة حاضرة الأندلس الإسلامية.

بلغت قرطبة أوج عظمتها وتألقها، بعد أن أعلنها القائد عبدالرحمن بن معاوية (ت ١٧٢هـ) الملقب بـ«الداخل» عاصمة له، ومركزًا للعلم والثقافة والفنون والآداب في أوروبا كلها، حتى أطلق عليها الأوروبيون «جوهرة العالم»، ومسجدها الجامع هو قلب الجوهرة.

بناؤه ومساحته

اهتم الأمويون بتعمير الأندلس عمومًا، وقرطبة- عاصمة ملكهم التي بلغ عدد سكانها مليون نسمة- خصوصًا، فأقاموا مبانيها على الطراز العمراني العربي الأندلسي الدمشقي.

ويرجع تأسيس جامع قرطبة إلى سنة ٩٢هـ، عندما شاطر المسلمون نصارى قرطبة كنيستهم العظمى، فبنوا في شطرهم مسجدًا، وبقي الشطر الآخر للروم، وحينما ازدحمت المدينة بالمسلمين وجيوشهم في عهد «الداخل» قام بشراء شطر الكنيسة العائد للروم، مقابل أن يُعيد بناء ما تمّ هدمه من كنائسهم وقت الفتح، وبدأ بناء الجامع على الشطر الرومي، على شكله الحالي سنة ١٧٠هـ، و كان يُسمى قديمًا بـ «جامع الحضرة»، أي «جامع الخليفة».

ويعد التابعي الجليل حنش بن عبدالله بن عمرو الصنعاني (ت ١٠٠هـ)، فاتح جزيرة بني شريك وباني المسجد الأبيض في سرقسطة، أول من حدد قبلة المسجد وهندس مخططه مع غيره من كبار التابعين.

بدأ «الداخل» بتتميم بناء الجامع، وأنفق عليه أموالًا طائلة بلغت ٨٠ ألف دينار، غير ما دفعه للنصارى مقابل كنيستهم.

واستغرق بناء الجامع أكثر من قرنين ونصف من الزمان حتى وصل إلى أوج كماله، وانتهت مرحلة بنائه السادسة سنة ٣٧٧هـ في أيام «المنصور».

ظل الجامع على شكله الأول حتى وفاة الداخل سنة ١٧٢هـ، حيث كانت مساحته آنذاك ٤٨٧٥ مترًا مربعًا، ويتألف من بيت للصلاة بمساحة ٦٥×٧٥ مترًا، مقسم إلى ١١ رواقًا، بواسطة ١٠ صفوف من الأقواس، يضم كل منها ١٢ قوسا، ترتكز على أعمدة رخامية، وتمتد عموديا على الجدار الخلفي، وفوقها ١١ سقفًا جمالونيا متوازيا، بينها أقنية عميقة مبطنة بالرصاص، وينفتح الحرم على الصحن بواسطة ١١ قوسا حدويًا، فيما تبلغ مساحة الصحن ٧٤×٦٠.

أمر الداخل بزراعة صحن الجامع بالأشجار المثمرة، وقد أوصل الماء إليها عبر قناة مدها من سفح جبل العروس قرب قرطبة، كما أنشأ عددًا من

المقاصير، منها مقصورة دار الصدفة غربي الجامع، وقد جعلها مركزًا لتوزيع الصدقات، ومقصورة أخرى أمام الباب الغربي، كان الفقراء يتخذونها مسكنًا لهم.

وعندما خلفه ولده هشام، الذي كان من المبرزين في علم الحديث والفقه، قام بأعمال الزيادة في الجامع واهتم ببنائه ورفع منارته حيث بلغ ارتفاعها ٤٠ ذراعًا، وهو أول من بنى سقائف لصلاة النساء.

تابع الخليفة عبدالرحمن الأوسط أعمال البناء، فزاد فيه زيادتين في عام ٢٣٤هـ، حيث بلغت مساحته آنذاك ١٣٠×٧٥، وأبدع في صناعة محراب الجامع حتى صار آية في الدقة والروعة، وأجمع المؤرخون على أنه أجمل محاريب الدنيا.

وبعد وفاته- رحمه الله- أكمل ابنه محمد توسعة الجامع وزخرفته.

وفي سنة ٣٤٠هـ، أمر المستنصر باللّه بهدم منارته القديمة، وبناء منارة جديدة بديعة الصنع بدلًا منها، وهي المنارة الأعظم في قرطبة، كما أمر ببناء منبر بديع ونفيس استغرق الصناع في تجهيزه سبع سنين، وأمر- رحمه الله- بعمل الظلة على صحن الجامع وقاية للناس من حر الشمس، كما أقام رصيفًا على امتداد الجامع، ليكون متنزهًا لأهالي قرطبة، تم تجديده سنة ٣٥٥هـ.

يقول المؤرخ لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ): «إن المستنصر زين الجامع بالفسيفساء المجتلبة من ملك القسطنطينية مع الصناع المحكمين لذلك، محاكيًا بفعله ما فعله الوليد بن عبدالملك بمسجد دمشق».

وقد بلغت الزيادات المستنصرية ثلث المساحة الإجمالية للجامع، واستمرت قرابة أربع سنين، (من عام ٣٥١هـ- ٣٥٥هـ).

وختم المنصور بن أبي عامر سنة ٣٧٧هـ أعمال الزيادة، حيث أولاه عناية خاصة، حتى بات الجامع يُعرَف باسمه، حيث زاد في الجامع على طوله حتى بلغت مساحته بعد هذه التوسعة ٢٢٥٠٠ متر مربع.

التاريخ العلمي للجامع

كانت قرطبة أول المراكز العلمية في الغرب، وقد قصدها طلاب العلم من بلاد شتى، واحتل مسجدها الجامع مكانة علمية مرموقة منذ بداية نشأته حتى صار جامعة لكل العلوم، فقام الأمير الداخل بدعوة العلماء والفقهاء والفلاسفة والشعراء إليه.

وتابع أمراء الأندلس انطلاقة الجامع الثقافية التي بدأها سلفهم، حتى وصل إلى أوج تألقه الحضاري والثقافي في عهد الخليفة عبدالرحمن الناصر (ت ٣٢٧هـ)، حيث نافست قرطبةُ به آنذاك بغداد عاصمة العباسيين، حتى قال شاعرهم:

دع عنك حضرة بغداد وبهجتها
ولا تعظّم بلاد الفرس والصينا
فما على الأرض قطر مثل قرطبة
وما مشى فوقها مثل ابن حمدين

ووصلت نسبة التعليم فيها إلى ١٠٠٪، في حين كانت أوروبا ما تزال في أعماق بحر من التأخر والجهل والانحطاط.

مئذنة الجامع لا تزال شامخة وكأنها تقول «سيرجع إليّ المسلمون يومًا ما»

خلف الناصر ابنه الحكم المستنصر (ت ٣٦٦هـ)، وامتاز عصره بازدهار العلوم والآداب بصورة كبيرة، فقد كان أكثر خلفاء بني أمية حبًّا للكتب، حيث بلغ شغف اقتناء الكتب أشده في هذا العصر، وكان- رحمه الله- يبعث رجالًا بأموال طائلة لاستجلاب نفائس الكتب إلى الأندلس، وأنشأ المكتبة الأموية في قرطبة، والتي وصلت محتوياتها إلى أربعمائة ألف مجلد، وحَوَت أنفسَ المخطوطات.

وقد شهد التعليم في عهد الحكم نهضة عظيمة، فانتشرت بين أفراد الشعب معرفة القراءة والكتابة، بينما كان لا يعرفها إلا أرفع الناس في أوروبا.

وقد بَنَى الحكم مدارس لتعليم الفقراء مجانًا، وأسس «جامعة قرطبة» أشهر جامعات العالم، وكان مركزها هو المسجد الجامع، وتُدرّس في حلقاتها جميع الفنون، وتم تحديد مرتبات للشيوخ ليتفرغوا للتدريس والتأليف، حتى وصل الأمر بنفر من الأساتذة إلى ما يشبه منصب الأستاذية اليوم في مجالات علوم القرآن والحديث والنحو، كما خُصصت مكافآت للطلاب.

يقول العالم الإسباني الكبير فندث بيدال: «وصلت الخلافة الأندلسية في ذلك العصر إلى أوج روعتها وبسطت سيادتها السلمية على سائر إسبانيا وكفلت بذلك السكينة العامة، الأمر الذي حمل ملوك أوروبا على إرسال البعوث العلمية إليها لينهلوا من علومها ومعارفها»، وهذا جزء من رسالة أرسلها ملك انجلترا جورج الثاني، إلى الأمير هشام الثالث يقول فيها: «... نفيدكم بأننا سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج من هذه الفضائل، لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم، لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يحيط بها الجهل من أركانها الأربعة ...».

و قد خرّج لنا «جامع قرطبة» كوكبة من العلماء في جميع المجالات (العلوم الإسلامية، الطب بفروعه، الصيدلة، الهندسة بفروعها، الفلك، الرياضيات، والعلوم العسكرية)، ومن هؤلاء العلماء:

١- يحيى بن يحيى الليثي (ت ٢٣٤هـ)، صاحب الرواية، حيث سمع الموطأ من مالك في أواخر حياته- رحمه الله- وقد كتب الله لروايته القبول، قال فيه الحميدي (ت: ٤٨٨) «إليه انتهت الرياسة بالفقه بالأندلس، وبه انتشر مذهبُ مالك هناك».

٢- أبوالقاسم عباس بن فرناس، المخترع الأندلسي الشاعر، (ت ٢٧٣هـ)، وهو كيميائي، وفيزيائي، وفلكي، وطبيب، وهو أول من اخترع دبابة عسكرية في عهد الأمير عبدالرحمن بن الحكم، وعُرِف بـ«أول طيار في التاريخ».

٣- بقي بن مخلد بن يزيد (ت ٢٧٦هـ)، عالم الحديث والرواية في الأندلس، وعميد فقهاء الأندلس في عصره، صاحب كتاب «تفسير القرآن»، قال فيه ابن حزم «إن تفسيره للقرآن لم يُؤلّف في الإسلام مثله».

٤- المؤرخ أحمد بن محمد بن موسى الرازي (ت ٣٤٤هـ)،

من أعلام المؤرخين الذين وضعوا أسس الرواية في الأندلس، له كتاب «الاستيعاب في أنساب أهل الأندلس».

٥- الطبيب الجرّاح خلف بن عباس أبوالقاسم الزهراوي (ت ٤٠٠هـ)، قال عنه ابن أبي أصيبعة الزهراوي «كان طبيبًا خبيرًا بالأدوية المفردة والمركبة، جيد العلاج، وله تصانيف مشهورة في صناعة الطب، وأفضلها كتابه «التصريف لمن عجز عن التأليف»، وهو أكبر تصانيفه وأشهرها، وتكلم في كتابه هذا عن «جراحة الأوعية الدموية، والأنف والأذن والحنجرة، واللثة والأسنان، والأورام، والمسالك البولية والختان، والبطن والأمعاء، وتحدث عن طريقة إخراج السهام من الجسم، وغيرها»، ويذكر أن أول إجازة في الطب البشري صدرت من جامع قرطبة.

٦- الإمام علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي، المعروف بـ «ابن حزم الظاهري»، (ت ٤٥٠هـ)، الحافظ الفقيه، صاحب «المحلى» الذي قال فيه العز بن عبدالسلام «ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل «المحلى» لابن حزم...».

٧- أبوعمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر الأندلسي القرطبي المالكي (ت ٤٦٣هـ) شيخ الإسلام، صاحب كتاب «الاستذكار»، قال فيه ابن حزم «لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله، فكيف أحسن منه؟».

٨-«الشريف الإدريسي محمد بن محمد ابن عبدالرحمن بن إدريس (ت ٥٥٩هـ)، أحد كبار الجغرافيين في التاريخ، كما أنه كتب في التاريخ والأدب والشعر والنبات، ودرس الفلسفة والطب والنجوم.

٩- الإمام محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد الشهير بالحفيد، من أهل قرطبة وقاضي الجماعة بها، (ت ٥٩٥هـ)، قال ابن فرحون «وهو الذي لم ينشأ بالأندلس مثله كمالًا وعلمًا وفضلًا»، وله تآليف جليلة تنيف على الستين تأليفًا، منها كتابه «بداية المجتهد ونهاية المقتصد».

١٠- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، أبوعبدالله الأنصاري، الخزرجي الأندلسي المالكي (ت ٦٧١هـ) صاحب كتاب «الجامع لأحكام القرآن»، قال فيه الحافظ الذهبي «إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على سعة اطلاعه ووُفور فضله، وقد سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبان، وهو كامل في معناه...».

هذا ولا يتسع المقام لذكر العلماء والأدباء والفلاسفة والمفكرين الذين درسوا وتخرجوا من المسجد، حيث كوّنوا مع بقية علماء الأندلس جامعة ضخمة شاملة لكل الفنون، والجدير بالذكر أن هذه الجامعة التي اتخذت من جامع قرطبة مقرًا لها هي النموذج الذي أقام الغربيون على أساسه جامعاتهم كجامعة «أكسفورد»، و«كابرج»، و«بادو»، و«باريس».

وظلت قرطبة تنعم بهذا التفوق على سائر مدن إسبانيا زمنًا إلى أن سقطت الخلافة الأموية عام ٤٠٤هـ- ١٠١٣م، حين ثار جند البربر على الخلافة ودمروا قصور الخلفاء فيها وهدموا آثار المدينة وسلبوا محاسنها، ومنذ ذلك الحين انطفأت شعلة تفوقها وانتقلت مكانتها السامية إلى إشبيلية.

ورغم ذلك استطاعت قرطبة أن تحتفظ ببعض تفوقها الثقافي، حتى سقطت بيد فرناندوا الثالث، سنة ٦٣٣هـ وحوّل مسجدها الجامع الذي ما يزال باقيًا يحتفظ بكل أروقته ومحاريبه الإسلامية إلى اليوم إلى كاتدرائية تتبع الكنيسة الكاثوليكية، وهجر قرطبة كثير من المسلمين، وطويت صفحتهم الحضارية العظيمة التي امتدت أكثر من خمسة قرون في هذه المدينة، وأكبر شاهد عليها ما خلفه المسلمون في تلك البلاد من بصمات تاريخية وأمجاد حضارية، مما يدل على أنهم كانوا ملوكًا للبشرية، حتى قال قائلهم:

كنا ملوكًا على الدنيا وكان لنا
ملك عظيم وكنا سادة الأمم
كسرى وقيصر والخاقان دان لنا
وأمرنا كان بين السيف والقلم

وقال آخر في رثائها:

وأين قرطبة دار العلوم فكم
من عالم قد سما فيها له شان

وتقف مئذنة الجامع، ويبدو الشموخ عليها واضحًا رغم وضع الأجراس فوقها، وكأنها تقول: «هأنذا مازلت مسلمة، وسيرجع إليّ المسلمون في يوم ما، ليملأوا سمائي نورًا وتكبيرًا».

وأخيرًا فإن قرطبة كانت صاحبة اليد العليا والسبق الثقافي الإسلامي دائمًا، لذلك فإن سقوطها كان بداية النهاية للملحمة الإسلامية الكبرى في الأندلس.

المصادر

الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون، (ت ٧٩٩هـ).

٢- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة الدمشقي، (ت ٦٨٨هـ).

٣- دولة الإسلام في الأندلس، لمحمد عبدالله عنان، (ت ١٩٨٦م).

٤- لماذا غربت شمس الإسلام عن الأندلس، للدكتور أحمد الزعبي.

أسرتي

لا.. للثقافة الاستهلاكية

تجتاح رياح العولمة مجتمعات وشعوب العالم أجمع وفي مقدمتها المجتمعات النامية، وتحمل هذه الرياح معها انماطًا حياتية وقيمًا ومبادئ وسلوكات منافية لقيمنا واخلاقنا وعاداتنا وتقاليدنا الإسلامية، ولعل من ابرز هذه الانماط الحياتية الحديثة شيوع ثقافة الاستهلاك اللاواعي واللامدروس من خلال تدفق السلع والبضائع والمنتجات الأخرى من معامل المشروع العولمي، وإقبال الأسر المسلمة على اقتنائها وشرائها بنهم وجشع لا مثيل له.

إن الاسرة المسلمة مطالبة بالنأي عن هذه السلوكات السيئة المحطمة التي تخدم مشاريع العولمة المشبوهة الهادفة الى تحطيم قيمنا الإسلامية القائمة على الاعتدال والوسطية في الأكل والشرب والملبس، ولاشك ان تربية الابناء على هذه القيم منذ الصغر بناء على ثوابتنا من الكتاب والسنة، هي سبيلنا للوصول الى مجتمع مسلم متحرر من سلبيات العولمة الحديثة.

المحرر

كيف نتجنب «الطلاق الصامت» بأنواعه المختلفة؟

أ.د. ناصر أحمد سنة

على مستوى الذات و«الآخر» وتنوعاتهما. أسريًا واجتماعيًا وعالميًا. كثيرة هي المشكلات التي من أسبابها الرئيسة غياب حُسن الاستماع وأسس الحوار والتواصل الفعال، ومن شأن استعادة هذا الأمر الهام التحول الإيجابي، والتغيير البناء نحو مزيد من التماسك والاستقرار الأسرى والاجتماعي والوطني، وكذلك التحاور والتعايش بين الحضارات.

الإنسان مخلوق ناطق في حاجة ماسة لمن يتواصل معه.. تخاطبًا واستماعًا وتحاورًا.. ليتم التعبير عن أفكاره واتجاهاته وهمومه وانفعالاته وأزماته ومشكلاته، واللغة هي ترجمان ذلك، فتراه يذهب مذاهب شتى ليجد من يسمعه، وقد يذهب كثيرون للأطباء دونما شكوى أو علة محددة، ولكن ليجدوا من يستمع إليهم، ويتحاور معهم، فيتقاضى الأطباء أتعابهم فقط على تلك المهمة الكبيرة! إن الاستماع الأفضل والتحاور الفعال بداية للتغيير البناء وأحد ضروريات النجاح في الحياة. لقد ارشد لذلك قرآننا الكريم، وهدي رسولنا صلى الله عليه وسلم قبل أن يهتدي إلى ذلك الباحثون في علوم الاجتماع والاتصال الحديث.

مشكلات فردية

إخفاقات الأفراد في سياق حياتهم العملية تحلها المراجعات الدقيقة والحوار السليم مع الذات (سماع الذات، نقد الأنا، الحوار والتأمل الذاتي)، وذلك سعياً لتصحيح مواطن الخلل والإخفاق، سوء تقدير المواقف، ومن ثم تحديد وتعزيز مواطن الصحة والمعافاة ليستمر طريق النجاح نحو تكوين الإنسان الصالح المصلح(١).

علينا التحلي بحس الاستماع والتحاور لحل ما يثار حول «أزمة الهوية» لدى الأفراد، والضباب الذي يغطي انتماءاتهم، وازدياد شعورهم بالغربة في أوطانهم، وتنامي معدل إحباطاتهم، وتراجعهم أمام هجوم مظاهر «العولمة» الطاغية ذات الأثر السلبي عليهم، واختلاط الأمور والمعايير لدى الشباب، فعن وابصة بن معبد رضى الله عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «جئت تسأل عن البر»؟، قلت: نعم، فقال: «استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك»(٢)، فسماع حديث القلوب والنفوس النقية معيار داخلي للتعرف على البر والإثم، ومن ثم يأتي الهم بالأعمال «إن الله تعالى تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تكلم أو تعمل به»(٣). وتبقى القاعدة: من لم يجد الاستماع لذاته، فأنى له الاستماع «للآخر» والتحاور معه.

مشكلات أسرية

«الصمت المنزلي/ الخرس العائلي/ الصمم الأسري» وباء تعاني منه الكثير من الأسر، وله أسبابه من الانشغال الدائم بالعمل والتجارة والأسفار والدراسة واختلاف التوجهات الفكرية والثقافية، ومشاغل وأعباء البيوت، وله أيضا مظاهره من كثرة شكاوى الأولاد: لا نجد في البيت من يسمعنا (ويزيد من عزلتهم طغيان استعمال«الكومبيوتر»)،

كاتب وأكاديمي مصري

علينا التحلي بحس الاستماع والتحاور لحل ما يثار حول «أزمة الهوية» لدى الأفراد

وتشكو الزوجات: أزواجنا لا يستمعون إلينا، ونشعر بالضيق الشديد عندما نتحدث دون إنصات منهم، فهم يسمعون فقط ما يودون سماعه، والأزواج بدورهم يُقللون من شأن أحاديث زوجاتهن فليس لديهن ما يقلنه سوى المزيد من النفقة وسرد مشاكل البيت، وتأتي نتائجه الوخيمة حيث يهرب كل فرد ليبحث عمن يسمعه خارج حصن الأسرة، ويكثر تدخل القرناء والرفاق، والأمهات والحموات، والأصدقاء والزملاء مما يحول دون حل المشكلات الأسرية التي تتراكم وتتفاقم يوما بعد يوم ويتعرض استقرار الأسرة لخطر وبيل، فرغم قلة الإحصاءات الرسمية عن معدلات الطلاق في العالم العربي إلا أن هناك ما يشير لمعدلاته في قطر حيث يبلغ ٣٨٪، والكويت ٣٥٪، بينما في الإمارات يبلغ ٤٦٪ من إجمالي حالات الزواج (٤)، فلندع «الصمت المنزلي» عبر توفير الوقت الكافي (استثمار استراتيجي سيعود بنفع أوفر من جمع المال) ليسمع بعضنا بعضا ولنتحاور لحل المشكلات، وتبديد الهموم، وتنفيذ التطلعات، والقيام برحلات والمشاركة في أحلام كل أفراد الأسرة بلا استثناء، وهناك نعمة كبيرة تسهم وتسد ثغرة في هذا المجال عندما تتوافر الأسر الممتدة من أجداد وجدات وإخوة وأخوات وأعمام وعمات يحملون جزءا من عبء مهمة التواصل والاستماع الأسري.

مشكلات اجتماعية

كثرة اللغو :

كثرة اللغو معضلة حلها الإعراض عن سماعه، قال تعالى ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾(القصص:٥٥). وحينما يقتحم سمع المرء ما لا يرضى من القول أو المهاترات، فما هو الحل؟ قال تعالى: ﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا﴾(المزمل: ١٠)، فقوة الاحتمال تجعل الجاني يراجع موقفه، أو يكون الهجر الجميل والمقاطعة دون حقد أو ضغينة أو تشاحن.

الغيبة:

اعلم أن الغيبة كما يحرم على المغتاب ذكرها، يحرم على السامع استماعها وإقرارها، فيجب على من سمع إنسانا يبتدئ بغيبة محرمة أن ينهاه، إن لم يخف ضررا ظاهرا، فإن خافه وجب عليه الإنكار بقلبه ومفارقة ذلك المجلس إن تمكن من مفارقته (شأن كل منكر)، فإن قدر على الإنكار بلسانه أو على قطع الغيبة بكلام آخر لزمه ذلك، فإن لم يفعل عصى، فإن قال بلسانه: اسكت وهو يشتهي بقلبه أن يستمر، فقال أبوحامد الغزالي: ذلك نفاق لا يخرجه عن الإثم ولابد من كراهيته بقلبه، ومتى اضطر إلى المقام في المجلس الذي فيه الغيبة وعجز عن الإنكار أو أنكر ولم يقبل منه حرم عليه الاستماع والإصغاء للغيبة وعليه أن يذكر الله تعالى بلسانه وقلبه أو بقلبه فقط أو يفكر في أمر آخر ليشتغل عن سماعها، ومتى استطاع المفارقة وجب عليه أن يفارق لقوله تعالى: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ (الأنعام:٦٨)(٥).

التشاحن والتباغض والوشاية والإشاعة:

عند سماع نبأ ما علينا التدقيق والتبين من شخصية الناقل فضلا عن صحة الخبر، قال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾(الحجرات: ٦). ومن ثم التحاور لتبديد ما يتعلق بهذه الأمور.

وينبغي أن ينزه السمع عن كل ما من شأنه السخرية من آيات الله تعالى، والسمو به عن أن ينصت إلى شيء من تلك المجالس: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾(النساء: ١٤٠). ويبقى حُسن الاستماع والانتباه لما هو طيب والاقتداء به دلالة على هداية الله تعالى: ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد. الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب﴾(الزمر:١٧- ١٨).

كما علينا أن نصغي جيدا ويتم التحاور بفاعلية حول المشكلات الاجتماعية من قبيل انقلاب نسق القيم الاجتماعية كقيم التكافل والتراحم والتعاون وقيمة العمل واحترام الحريات والمرأة، وشيوع البطالة والفساد والعنف والخمر والمخدرات، ومشاكل عمالة الأطفال وذوي الحاجات الخاصة، والتعليم والإعلام غير المنضبط المضر بقيم المجتمع.

الهوامش

١- بتصرف من د. عبدالستار الهيتي، الحوار.. الذات والآخر، كتاب الأمة العدد:٩٩، المحرم ١٤٢٥هـ ، ص ٩٩، قطر.
٢- حديث حسن رواه أحمد والدارمي في مسنديهما.
٣- الألباني-صحيح الجامع.
٤- منار الإسلام، العدد: ٣٧٢، ذوالحجة ١٤٢٦ه ، ص:٨٨ .٩٠، الإمارات.
٥-الأذكار للنووي، ص ٣٠٢، وانظر حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، ص ١٢٨.

الملكة الجديدة

إيمان القدوسي

مهما كانت الملكة السابقة منصفة فإن ظلالا من حيرة وغيرة وقلق تشوب فرحتها بتتويج الملكة الجديدة، حفل التتويج هو حفل زفاف الابن قرة العين وثمرة كفاح العمر وآخر صبرها، تجلس العروس بجواره تتيه بجمالها وشبابها وتصبح هي السيدة الأولى في حياته، عندما يحدث صراع على المكانة بينهما تشتعل حرب تقليدية تتكرر على مدار الأجيال (حرب الحماة وزوجة ابنها)، والكل يخسر في تلك الحرب وخاصة الابن الممزق بين ولائه ووفائه لأمه وحبه لعروسه الجميلة.

صراع بين ماضيه بتاريخه الحافل بتضحيات أمه ومستقبله الواعد بالسعادة والهناء مع زوجته وحبيبته، حزم الرجل وعدله وحنانه عناصر توازن هامة في المعادلة، وكذلك عقلانية الأم وتحلّيها بروح الإنصاف وامتلائها بمعاني الأمومة الحقة، التي من بينها الفرح بسعادة ابنها وإفاضة مشاعر الأمومة على زوجته التي صارت في منزلة ابنتها أيضا، وهكذا تصبح هي الرابحة ليس فقط لأنها لم تخسر ابنا بل لأنها اكتسبت ابنة.

تظل المهمة الأصعب ملقاة على عاتق الزوجة الصغيرة أو المكلة الجديدة، ففي إمكانها تحقيق انتصار حاسم وتجنب صراعات قد تطول، وتحقيق مكاسب لا تخطر لها على بال، وذلك بسلوكات بسيطة تفعلها وهي تعلم وتقدر دوافع حماتها كأم تخشى فقدان مكانتها، فتؤكد لها، بسلوكها العملي، أن مكانتها محفوظة، ويجب أن تتجنب الدخول في صراع معها، بل تعاملها كأنها أمها، فتتقبل بصدر رحب توجيهاتها وانتقاداتها ولا تأخذها بحساسية بل تنفذ منها ما تراه صائبًا، وتسعى بإخلاص لعقد أواصر الصداقة والمحبة مع حماتها، وتحرص على حسن معاملتها في غياب زوجها أكثر من حضوره، ولتتذكر انها تتقي الله فيها وتبتغي منه وحده حسن الجزاء.

المطلوب منها وجه بشوش وصدر رحب واعتراف بحق الأم في ابنها وتقدير لمكانة السيدة الكبيرة التي قدمت صحتها وشبابها بساطًا يسير الابن عليه ليصبح رجلًا يملأ العين، وتأخذه المكلة الجديدة بغير جهد منها، إنها سنة الحياة وما فعلته الحماة فعلته من قبلها أم زوجها وستفعله غدًا عروس ابنها، ولكن هناك معاني رائعة تزين النفوس وتضيء القلوب لأن مصدرها اليقين في الله -عز وجل- والرغبة في مرضاته، هذه المعاني هي الرحمة والتراحم بين جيل قادم وآخر يستعد للرحيل.

عندما تنجح مهمتها وتكتسب ثقة حماتها سترى وجها آخر، سترتضي الملكة السابقة بلقب «الملكة الأم»، وستبارك تتويج «الملكة الجديدة» لأنها أحبتها واطمأنت لها ولأنها تحتاج شبابها لاستكمال المسيرة، ستدعم خطواتها وتمدها بخلاصة تجاربها وتدعو لها وتحب أولادها، ولن تكون مفاجأة كبيرة إذا حدث خلاف بين الزوجين وأخذت الحماة صف زوجة الابن الصالحة، ففي النهاية هما امرأتان تجمع بينهما أواصر مشتركة، وكل منهما تحب الخير لنفس الرجل، ليس بشكل تنافسي ولكن تكاملي.

على امتداد رحلة العمر وحتى بعد رحيل الحماة عن الحياة، ستحصد زوجة الابن الصالحة نتاج ما قدمته من خير، سيظل زوجها ذاكرا جميلها وحسن عشرتها لأمه، وستجمع ذكرياتهما المشتركة مع الأم بينهما، وتدعم حياتهما بروابط جديدة، ثم إنها ستجد أثر ذلك في ذريتها، فما أسرع مرور الأيام وحين يأتي أوان ملكة جديدة ستجني ما قدمته يداها.

النصيحة الذهبية تقول: عامليها كأمك ستعاملك كابنتها.. وستكسبين قلب زوجك واحترامه، ويكسب أطفالك جدة حنونًا وتكسب أسرتك يدين مرفوعتين بالدعاء الصالح لكم آناء الليل وأطراف النهار.

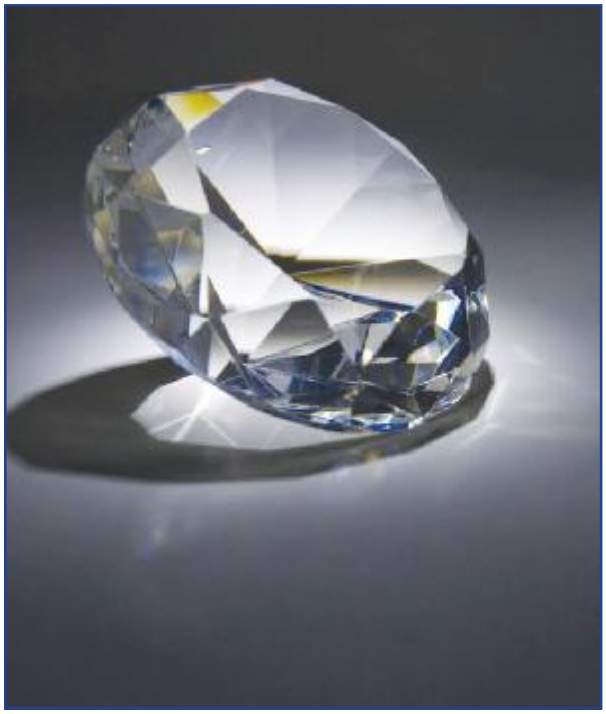

كاتبة صحافية

المرأة لؤلؤة غالية

د. زيد محمد الرماني

قال الله تعالى ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾ (آل عمران: ٣٦).
الله سبحانه تعالى خلق الذكر ومتعه بقوة خاصة جعلته مختلفًا عن الأنثى في التكليف، حيث قسم المهام بحسب فسيولوجية وقدرة كل منهما.
فلكل من الذكر والأنثى رسالة يجب تأديتها على أكمل وجه.

يقول الأستاذ محمد عبدالعزيز الصدر في كتاب «فن الزواج»: إن الزواج في جملته كالفرقد يضل فيه السائر إذا لم يحمل بين يديه «بوصلة» ترشده إلى مواقع الجهات، وإذ ذاك يهتدي الهدي كله، فيصل إلى مرفأ السلامة.

وهانحن نسمع أصوات الأسى تنبعث من أفواه بعض المتزوجين تتردد في الآفاق، يحسبها الناس أحزانًا يتلو بعضها بعضًا، فيتوجس العزاب خوفًا من الزواج، لأن لهم آذانا تسمع تلك الصرخات المؤلمة وتسمع من أفواههم أيضا الغض من كرامة الزواج والحط من شأنه، وتسمع أن السعيد ذلك الذي لم يقدر له الزواج يومًا ما.

وليست هذه الصرخات وليدة بيئة دون أخرى ولكنها في كل البيئات يسمعها الناس لأن الذي يبعثها هو الشقاء، وأما الذين ينعمون بالزواج فلا يحدثون العالم بشيء عن نعيمهم هذا، بل يقطعون مرحلتهم ساكنين ساكتين، تحفهم السعادة من كل جانب وترى هذه السعادة تتخطى قلوبهم إلى أعمالهم، إذ يهدأ فكرهم وتطمئن نفوسهم وليس أحسن من بيئة يهدأ فيها الفكر وتطمئن لها النفس لترى السعادة الزوجية حقلًا تنمو فيه العزيمة ويذكو فيه الفؤاد.

إن المرأة كانت لؤلؤة غالية، تضرب إليها أكباد الإبل، ويسعى إليها الرجل سعيه المتواصل فتحفى قدماه، ويكفيه منها ابتسامة حلوة، أو نظرة عذبة، فهي إذن الدرة الثمينة.

وكان إذ ذاك الحب في مهده حبًا غير مشوبة حياته برياء، وإنما حب يخفف ويلات الحياة، على أن ويلاتها إذ ذاك لم تكن بالكثيرة، فما بالك بها اليوم وهي كثيرة جدًا، أما كان يجدر بالحب أن يعيش فيأخذ بيد الإنسان من جب الشقاء العميق القاتم الذي أصابه اليوم؟

هل تخشى المرأة النجاح؟

سمير إبراهيم كشك

قيم المجتمع تؤكد أهمية نجاح المرأة في دائرة الحياة الخاصة، ولكن ماذا عن النجاح في العمل أو الحياة العامة؟

لقد كثر الاهتمام بالعوائق الخارجية التي تعوق المرأة، لكن الاهتمام الموجه لعالمها النفسي الداخلي قليل، إن المرأة في حالات عديدة تخشى النجاح المهني لأن النجاح في العمل يتضمن معنى الصراع.

والمرأة تلقت قيمًا طوال تربيتها تفيد بأن الصراع ضد الأنوثة، ومن ثم فهي تخشى ذلك، فالقيم التي أكسبها المجتمع للمرأة ولدت داخلها صيغة «أن تخضع للقهر»، إنها تتنازل عن النجاح في سبيل أن يرعاها الرجل أو الزوج، وينفق على البيت، فهي تركع وتقول انها ضعيفة خوفًا من التبعات المترتبة على القوة والنجاح.

إن ركوع المرأة الظاهري يتضمن معنى استبعاد الرجل، لكنه مع التقدم الحضاري ومع تعقد الحياة يبرز احتياج موضوعي لتحمل الأعباء الاقتصادية وتقاسمها بين الطرفين، ومن ثم يبدأ الاثنان في التنازل عن هذه المعاهدة، فالرجل تدريجيا يستشعر أنه في حاجة لامرأة قوية. والمرأة من ناحية أخرى تشعر أنها لا تريد أن تركع وأنها مثلها مثل الرجل.

هكذا يستشعر تدريجيا كل طرف بمصلحته في عدم الاستمرار في أداء تلك الأدوار، على الجانب الآخر فإن نجاح المرأة او تفوقها يوجد مشاكل عند الطرفين معًا.

فكما شاع من أن تفوق الزوجة على الزوج يثير المشاكل فقط لدى الأخير، فإنه يثير مشاكل ايضًا لدى الزوجة نفسها، فهي تستشعر قلقا لتفوقها عليه، ويرتبط ذلك بصورة الرجل كما رسمها المجتمع.

فالذي يحدث للمرأة في هذا الشأن هو نوع من الاستيطان لأيديولوجية المجتمع.

مشاركة المرأة في العمل العام

وصفي عاشور أبوزيد

إن أخواتنا في الله هن شقائق الرجال وموضع كرامتهم، وينزلن منا منزلا حسنا، نرى أنه لا يمكن أن نحلق في عالم اليوم إلا بهن في قلب الدعوة وصدرها، كما كانت خديجة أسبق القوم جميعًا إلى الإسلام، وفاطمة أسلمت قبل أخيها عمر، وأم الفضل قبل زوجها العباس.

لذلك نريد الأخت المسلمة منطلقة إلى الإيمان والعمل، ليس تبعا للرجل، بل بحبٍّ لله تعالى مُخلَصًا من شوائب التقليد، فلتعلم الأخت المسلمة أنها إنسانة، صاحبة رسالة وخلافة، وليس لكونها زوجة لفلان أو بنتًا لعلّان.

وقد قدم د.صلاح سلطان وصية لأخواته في الله، وهي تتوافق مع ما جاء في هذه الدراسة: «مشاركة المرأة في العمل العام»، المتميزة بجوانب كثيرة، منها ما يلي:

١ - المنهجية السديدة في صفاء الاستقاء من نصوص القرآن والسنة، دون إفراط ولا تفريط.

٢ - أنها استوعبت معظم ما كتبه الأثبات من علماء الأمة في قضية المرأة، كالنحل الذكي الذي يَلتقط أنقى رحيقٍ من كل زهرة يانعة.

٣ -أن فيها براعة في التقسيم المنهجي، والتخطيط العلمي الرصين، وترابطًا وثيقًا بين الفصول والمباحث والنقاط التي مثّلتْ محطات عقلية مريحة للقارئ.

٤ - الاستيعاب والجمع بين تحرير المصطلحات وأحكام المشاركة، ونماذج حية من الماضي العريق والحاضر القريب، والشبهات المثارة، والأجوبة المختصرة الشافية عليها، والتحديات التي تواجهها، ووسائل التغلب عليها، ومجالات عمل المرأة، والأدوار التي يجب أن تدعم المرأة، وتُفعِّل دورها في مسيرتها الدعوية والإصلاحية.

٥ -أنها مزجت بين العمق الشرعي والحس الدعوي، في ثوب جديد وفريد، على كثرة ما كتب في موضوعه.

من أجل هذا كانت هذه الدراسة التي حاولنا فيها إلقاء الضوء على قضية المرأة في كثير من أبعادها، واجتهدت أن أستوعب ما قاله علماؤنا فيها، ولا أدعي أنها «متأنية» كما أراد الشيخ الغزالي، بل هي جهد المقل، ورشْحُ نفس بشرية تخطئ أكثر مما تصيب، فكل بني آدم خطّاء، وخير الخطائين التوابون، كما قال النبي ﷺ.

وقد جاءت الدراسة في مقدمة وسبعة فصول وخاتمة.

بَيَّنَت الدراسةُ في الفصل الأول المعاني المختلفة لمفردات الدراسة من مشاركة، وعمل عام، وماذا تعني مشاركة المرأة في هذا العمل العام، ووضعنا حلا لإشكال كبير بين الرجل والمرأة من خلال فك هذا الصراع بينهما والالتباس عبر وضع صيغة «المقام والمهام» التي وضحت أن الرجل والمرأة متساويان تماما في المقام، لكنهما مختلفان في المهام لا لشيء إلا لحكم طبيعة التكوين والنوع، وهو اختلاف تنوع وتكامل، لا اختلاف تضاد وتناطح.

وفي الفصل الثاني كان الحديث عن الموقف الشرعي من مشاركة المرأة من خلال النصوص الشرعية من القرآن والسنة الصحيحة، وكان اعتمادُها القرآنَ الكريم، وصحيحي البخاري ومسلم (١) وبينت ضوابط هذه المشاركة، وخطورة غيابها، واستثناءاتها، ومقاصد المشاركة وثمارها على المرأة والأسرة والمجتمع.

وفي الفصل الثالث كان الحديث عن نماذج لهذه المشاركة عبر العصور المختلفة، قبل عصر الرسول ﷺ، وفي عصره، وبعد عصره، حتى عصرنا الحاضر، وخاصة في فلسطين، وركز هذا الفصل على نماذج للمشاركة في عصر الرسالة لما يمثله من تشريع وتقنين، وكان دليلي ورائدي إلى النصوص التي أوردتها في عصر الرسالة وما قبله موسوعة: «تحرير المرأة في عصر الرسالة» لصاحبها الأستاذ محمد عبد الحليم أبوشقة- رحمه الله وجزاه عن الأمة خيرا- الذي أفدت منه إفادة كبيرة، بل نقلت عنه كثيرا من العناوين في أمثلة المشاركة، وهو كتاب لا يسع أحدًا يتحدث في شأن المرأة وقضاياها إلا أن يرجع إليه ويعتمد عليه.

أما الفصل الرابع فكان الحديث فيه عن أهم الشبهات التي تطعن في أهلية المرأة، وصلاحيتها للعمل والمشاركة، بلغت خمس عشرة شبهة، ويشير إلى كثير من الآثار الواردة الموضوعة والمنكرة

باحث في المركز العالمي للوسطية

والضعيفة، والتي كان من شأنها ترسيخ ثقافة احتقار المرأة وإهانتها، ويوضح بعض الفهوم المغلوطة لنصوص صحيحة، وكان الرد في هذا كله معتمدا الدليل القاطع والبرهان الساطع، وعمل الرسول ﷺ، والصحابة من بعده، والسلف الصالح لهذه الأمة.

كما بينت هذه الدراسة في فصلها الخامس أهم التحديات التي تواجه المرأة، ورسمت معالم وكيفية مواجهة هذه التحديات والتعامل معها؛ من الاستلاب الغربي، وموروث العادات والأعراف الاجتماعية المخالفة لصحيح المنقول وصريح المعقول، وتطوير الذات والوعي بالحقوق والمسؤوليات، والموازنة بين المهام والواجبات المختلفة، إلى عدم الانقطاع في العمل أو الاكتفاء بالعمل العام الموسمي.

وأما الفصل السادس فكان عن أهم المجالات التي يبيح لها الشرع- بل يوجب أحيانا- أن تشارك فيها وفق الضوابط الشرعية والآداب المرعية، مع ذكر الطرق والوسائل والمهام التي يمكن أن تقوم بها المرأة في كل مجال، ولم يفت الدراسة أن تشير إلى أعمال يحرُم على المرأة إتيانُها لا لشيء إلا نزولا على حفظ طبيعتها، واستبقاءً لفطرتها وأنوثتها.

واختتمت الدراسة بفصلها السابع ببيان أهم الأدوار التي يمكن أن تدعم المرأة في مسيرتها الحضارية وتفعِّل مشاركتها في المجتمع؛ من خطاب شرعي متوازن، وإعلام، ودور بارز للحركة الإسلامية، والمحاضن التربوية الأساسية في الأسرة والتعليم، والمناهج التربوية، والمجتمع، وأخيرا دور الزوج الذي يعتبر من أهم الأدوار.

ثم آثرتُ أن أكتب خلاصة مجملة ومختصرة جدًا لأهم الأفكار التي جاءت في هذه الدراسة من خلال فصولها ومباحثها؛ لما في ذلك من فائدة للقارئ المعاصر، وكانت الخاتمة عن آفاق عمل المرأة مستقبلا، ومشاركاتها في النواحي المختلفة.

ذلك، وقد راعيت في البحث أن يجمع بين التنظير والتطبيق، وبين التأصيل الشرعي والوسائل العملية التي يمكن أن تسلكها المرأة بعد أن تتفقه في دينها وتدرك مكانتها وقيمة رسالتها، وتملك القدرة على رد الشبهات التي تثار من حين لآخر حول المرأة، حتى لا يكون الكتاب مغرقا في التنظير بلا رؤية عملية واقعية، أو منفلتا في العملية والتطبيق بعيدا عن ضوابط الشرع.

وقد ظهر التأصيل والتنظير في فصول التعريفات والمشروعية والشبهات، كما ظهر التطبيق والعملية في فصل التحديات، وفصل المجالات.

ولم يتحيز البحث في منهجه إلى مدرسة معينة أو تيار محدد، إنما آثر أن يتبع النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية الصحيحة، وينظر في أقوال العلماء والفقهاء على اختلاف مشاربهم، ويورد منها ما يتوافق مع منطوق ومفهوم الآيات والأحاديث، ويرفض منها ما خالف النقل أو العقل، ورائدنا في هذا كله هو الدليل والبرهان، وعمل السلف الصالح، رضي الله عنهم.

وقلما رجعت إلى تراثنا الشرعي القديم؛ وذلك لأمر واضح هو أن قضايا المرأة لم تكن بارزة في عصور فقهائنا وعلمائنا القدامى- رحمة الله عليهم- إنما اتسع الحديث حولها، وبرز الخلاف بشأنها في العصور المتأخرة بما لم يكن له مثيل من قبل.

ولا نتوقع أن تنتهي الكتابات عن المرأة أو تقل في الفترة القادمة، لأن من شأن القضايا الحيوية أن تكثر فيها الكتابات، ويتعالى فيها صوت الجدل والخلاف، ولا بأس من هذا كله، فهي ظاهرة صحية ومبشرة، كما أنها مؤشرة إلى خير كبير ينتظر المرأة المسلمة متى فقهت رسالتها، ووقفت على أهمية مشاركتها في ضوء ضوابط الشرع الحنيف، وفي ضوء مراعاة متطلبات الواقع وضروراته.

وإنني سائل كل من يطالع هذا العمل أن يسددني ويرشدني، ويهدي إلي عيوبي، فيسدي إلي النصيحة، فكل بني آدم خطاء، و«الدين النصيحة» كما قال المعصوم ﷺ.

ونحن إذ نقدم هذا العمل المتواضع لأخواتنا المسلمات، وللمرأة عموما، ولدعوتنا وأمتنا، لنرجو من الله تعالى أن يكون خطوة داعمة للمرأة في مسيرتها، تتجاوز به الأعراف الراكدة، وتتفرس به التقاليد الوافدة، فتقف على أرض الإسلام الصافي، إسلام القرآن والسنة والسلف الصالح، ضارعًا إلى الله أن يبصرنا بعيوبنا، ويعفو عن تقصيرنا، ويتجاوز عن زلاتنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

لا نتوقع أن تنتهي الكتابات عن المرأة أو تقل في الفترة القادمة لأن من شأن القضايا الحيوية أن تكثر فيها الكتابات

الهوامش

١ -خرجتُ مرةً واحدة في هذه الدراسة عن الصحيحين إلى سنن الترمذي في حديث: «المرأة عورة» في فصل الشبهات، وهو حديث حسن صحيح غريب، وكان معظم نقلي في النصوص من صحيح البخاري.

كاميرا الجوال

تحقيق- صلاح محمد أبوزيد

بات من الشائع في المناسبات الاجتماعية الخاصة أن تدور كاميرات الجوالات بأيدي الشباب في خفة ورشاقة لتلقط صورًا للأهل والمعارف والأصدقاء على سبيل الذكرى أو المزاح، وفي كثير من الأحيان تنتقل بعض هذه الصور إلى الكمبيوتر لتلعب التكنولوجيا- بأيدي ذوي الخبرة والمهارة - دورها من جديد بالتعديل والحذف والإضافة وخاصة في صور الفتيات، فتتحول صورة بريئة للغاية إلى صورة خليعة تظهر فيها الفتاة في وضع مخز أو غير أخلاقي، ثم يتداول الشباب هذه الصور فيما بينهم عبر شبكة الإنترنت، وقد تقوم فتاة عابثة بتصوير زميلات لها وهن متحررات من بعض ملابسهن على سبيل المزاح ثم تسيء استخدام هذه الصور التي قد تقع في أيدي العابثين أو معدومي الضمير لتصبح تلك الصور وسيلة من وسائل الابتزاز أو التشهير بالفتيات وأسرهن ما يتسبب في الكثير من الأزمات، هذا بالاضافة إلى أن كثيرًا من هذه الجوالات تحوي بذاكرتها أفلامًا وصورًا خليعة يتداولها الشباب فيما بينهم، فما الذي يدفع بعض الشباب إلى هذا الاستخدام السيئ لوسائل التكنولوجيا المتطورة؟ وما الهدف أصلًا من اقتنائها؟ وكيف يتجنب المجتمع أضرارها وشرورها؟

مارد مخيف

عن هذه الوسيلة التكنولوجية يحدثنا المهندس محمد صبري خبير الاتصالات بإحدى الشركات الكبرى فيقول: تعد الجوالات المزودة بكاميرا من أحدث وسائل الاتصال المتطورة وتحوي مجموعة ضخمة من الخصائص المتقدمة للغاية، فهناك مثلًا خاصية «البلوتوث» التي تظهر أقرب رقم جوال منك أثناء تشغيلها وعادة يستخدم الشباب هذه الخاصية لمضايقة الفتيات بعد التقاط أرقام جوالاتهن سواء بإمطارهن بوابل من رسائل الحب والغرام أو بإرسال صور غير لائقة، كما أصبح من السهل أن يتداول الشباب خلالها الصور ومقاطع الفيديو، وللأسف يستخدم كثير من الشباب الجوالات المزودة بالكاميرا في الإساءة إلى الآخرين والتشهير بهم، فمن الممكن التقاط صورة عادية جدًّا لفتاة ليس فيها ما يسيء، ثم تنتقل الصورة إلى الكمبيوتر ليقوم أحدهم بالتلاعب بتفاصيلها أو يتم تركيب وجه الفتاة على إحدى الصور العارية الخليعة لتصبح وسيلة للتشهير وتشويه السمعة أو الابتزاز الجنسي، وهذا يحدث كثيرًا في التجمعات الشبابية أو المناسبات الاجتماعية.

ويضيف المهندس محمد صبري: الإنسان الآن أصبح تحت رحمة التكنولوجيا، فالكل معرض- إذا لم يكن حذرًا ويقظًا- لأن تكون حياته الخاصة وبياناته وأسراره الشخصية متاحة للجميع عبر شبكة المعلومات الدولية.

أخلاق العولمة

وفي رصده لهذه الظاهرة يقول د.أحمد عبدالرزاق استاذ علم الاجتماع بجامعة عين شمس: إن المجتمع يعيش بالفعل أزمة أخلاق نتيجة تعرضه لموجات كثيفة من الغزو الثقافي الذي يستهدف زعزعة القيم والأخلاقيات الراسخة داخل المجتمع العربي الإسلامي، فأصبح لدينا فئات من الشباب والفتيات لا يراعون تقاليد وعادات المجتمع الذي يعيشون فيه سواء فيما يرتدون من أزياء أو ما يمارسون من سلوكات، ولا يحترمون خصوصيات وحرمات الآخرين، وهم يعبرون بسلوكياتهم هذه عن أزمة ما يسمى بجيل العولمة الذي اختلطت لديه القيم والمعايير وتراخت سيطرة الأسرة عليه.. وإذا كانت الفتيات هن في غالبية الأحيان ضحايا هذه الوسيلة التكنولوجية فإنهن من الناحية الأخرى يساهمن بشكل كبير في صناعة الفضائح سواء بالتساهل أو السماح للآخرين أو الأخريات بالتقاط صورهن.

هل فقد الإنسان المعاصر خصوصيته وأصبح يعيش في بيت من زجاج؟

تقليد أعمى

قام بعض طلبة قسم الاجتماع بعمل دراسة ميدانية للتعرف على أهداف الشباب من اقتناء أجهزة التكنولوجيا المتطورة كالجوالات المزودة بكاميرا، وعن مدى استفادتهم منها، وللأسف كانت نتائج الدراسة تشير إلى أن التقليد هو العامل المشترك بين الشباب، فهذا يشتري أحدث أنواع الجوالات لأن صديقًا له يقتنيها، وهذه تقلد زميلتها أو صديقتها دون هدف واضح سوى الغيرة والتنافس، وهكذا تسري عدوى التقليد كالنار في الهشيم، ومن الطريف أن اجابات الشباب كانت تحاول أن تضفي على الأمر نوعًا من الجدية فذكر بعضهم أن على الشباب أن يواكب أحدث وسائل التكنولوجيا حتى لا يكون متخلفًا عن العصر الذي يعيش فيه!

«for fun»

أما د. يسري عبدالمحسن أستاذ علم النفس المعروف فيقول تعليقًا على هذه الظاهرة: في البداية أعتذر عن استخدام المصطلح الإنجليزي «for fun» الذي يعني «من أجل المتعة» للتعبير عن هذه الظاهرة.. فكثيرًا ما أسمع الشباب يرددون هذا المصطلح بعد أن يمارسوا بعض السلوكات أو الأعمال المؤذية التي تضر بسمعة الآخرين أو تسيء إليهم، وهذا المصطلح يحمل في طياته تعبيرًا عن فقدان للهدف وسلب للهوية لصالح القيم الاستهلاكية الوافدة من الغرب، وتحت هذا الشعار تعرضت بعض الأسر وكثير من الفتيات لأضرار نفسية عديدة على أيدي هؤلاء الشباب العابثين الذين يسيئون استخدام هذه الوسيلة التكنولوجية.

ويضيف د.عبدالمحسن: وبعد هذا التطور الرهيب في وسائل الاتصال الحديثة والذي نلمسه جميعًا أصبح العالم وكأنه يعيش في بيت من زجاج، وأصبح كل واحد منا يشعر أنه مراقب من الآخرين وأنه قد يصبح عرضة للابتزاز في أي لحظة، وهذه الوسائل الحديثة رغم انها سهلت الاتصال بين البشر فإنها على وجه آخر نجحت في أن تسلب الإنسان المعاصر جزءًا كبيرًا من حريته الشخصية وتركته في العراء فريسة سهلة وعرضة لكثير من الأمراض النفسية.

إشاعة الفاحشة

وعن موقف الإسلام من هذه القضية التكنولوجية المعقدة يقول د.عبده نصار الأستاذ بجامعة الأزهر: بداية، لا يحرّم الإسلام أية وسيلة تكنولوجية حديثة بل العكس هو الصحيح، والمكتشفات الحديثة نعمة أنعم الله بها على الإنسان وعليه أن يؤدي شكرها بتوجيهها للمصلحة والمنفعة وليس الاعتداء على حرمات الناس وحريتهم، وما يمارسه البعض بهذه الوسيلة التكنولوجية من تشويه لسمعة الآخرين أو محاولة ابتزازهم سواء عن طريق التقاط الصور لهم دون علمهم أو موافقتهم أو التلاعب في تفاصيلها فهو أمر يحرمه الإسلام لأن فيه نوعًا من الافتراء والتجسس وانتهاكًا للحرمات ونشرا للفساد وإشاعة للفاحشة، يقول ربنا عز وجل في كتابه الكريم: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة﴾ (النور: ١٩).

كما ينهى الإسلام عن التجسس على الآخرين فيقول ربنا عز وجل ﴿يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا...﴾ (الحجرات: ١٢).

والإسلام يأمر بستر العورات وعدم تتبع الناس لفضحهم وهتك أسرارهم وفي الحديث الشريف الذي رواه ابن ماجه يقول ﷺ «من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته» (رواه ابن ماجه).

وإذا كنت أقول للشباب: هل ترضى أن توضع أختك أو زوجتك في موقف الشبهة أو الفضيحة؟

فإنني أقول أيضًا لكل فتاة: لا تضعي نفسك في موقف الشبهات ولا تسمحي لأحد- حتى لو كانت زميلة أو صديقة- بالتقاط صور لك في أي مناسبة.

احذروا الخطأ أمام الأبناء

كمال عبدالمنعم خليل

ما يعلق بذاكرة الطفل من الصعب أن يمحى بعد ذلك، فذاكرته أشبه بالحجر الذي ينقش عليه ما يراه أو يتعلمه، لذلك فإن التعامل مع الطفل له طرقه وأساليبه ووسائله، والطفل يتلقى تربيته الأولية من والديه أو من المشرفات عليه في دور الحضانة، وبعد ذلك من مدرسيه في المدرسة، إلا أن أكبر وقت يقضيه الطفل بين أهله في بيته، يجالس أباه وأمه، يسمع منهما، ويرى ويلاحظ ما يبدر منهما من تصرفات في جميع المواقف، وذهنه أشبه بالشريط الذي يسجل المواقف صوتًا وصورة، ويتخذه دليلا له في كل تصرفاته حاضرًا ومستقبلا، لذلك ينبغي على الوالدين أن يكونا على حذر من أي خطأ أمام أبنائهما الصغار.

أول ما ينبغي أن يتنبه إليه الوالدان زلات اللسان التي يلتقطها الطفل ويكررها ويرددها بعد ذلك، والأعجب من ذلك أن ترى أبا يعاقب ابنه لأنه تلفظ لفظًا هو دأب عليه، واللسان هو مجمع الفضائل والقبائح من الأقوال، فإذا سمع الابن لفظًا فاحشًا ردده وكرره أمام إخوته أو أمام أصدقائه، كيف لا وقد صدر من أحد والديه؟ فحذار من كل لفظ قبيح، فالله تعالى يقول: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ (ق: ١٨)، وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم».

وقد تندهش حينما تعلم أن الوالدين وربما الأقارب هم السبب في أن يتعود لسان الطفل على الكلام القبيح، فتجدهم يشجعون الطفل على سب فلان أو البصق على وجه فلان من باب مداعبته والمزاح معه، فينشأ الطفل على ذلك ويتعود عليه، وهذا خطأ لا ينبغي أن يكون من الوالدين أو الأقارب، بل يجب ان يعُلم الأبناء الكلام الطيب حينما تبدأ ألسنتهم في الكلام كتدريبهم على النطق بكلمات: «الله أكبر»، «الحمد لله»، «سبحان الله»، «لا إله إلا الله»، «السلام عليكم»، «شكرا»، وغير ذلك من الألفاظ الطيبة، لا أن نعودهم على الشتم والسب والبصق، كذلك فإن الكذب من الآفات السيئة التي يقع فيها الوالدان أمام الأبناء، فتجد الأب يكذب أمام أعين أبنائه في حديثه مع صديق له في الهاتف، أو ينكر نفسه ويأمر أبناءه بالكذب، او يدعي شيئًا، والحقيقة خلاف ذلك، فكل ذلك له مردوده السيئ على الابناء، فيلتقطونه ويرسخ في ذاكرتهم، والأمر كذلك بالنسبة للغيبة والنميمة والتجسس، وكلها من المحرمات التي لا ينبغي أن تصدر من أحد، فضلًا عن أن تصدر عن الوالدين وليس من المعقول أو المقبول شرعًا أو عقلًا أن يسمع الأب نداء الصلاة ولا يتحرك له ساكن، بل لابد من المحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها في جماعة في المسجد، ويلفت الأب انتباه أبنائه لذلك بالقول والفعل معا، كأن يقوم ليتوضأ ويعلمهم بذلك، ويتهيأ للصلاة ويصلي النافلة في بيته، كل ذلك أمام اعين اهل بيته جميعًا، حتى ينمي فيهم الحرص على الصلاة في جماعة، فعن عائشة - رضي الله عنها- قالت: «كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه» (رواه الأزدي وذكره الامام الغزالي في الإحياء مرويًا عن سويد بن غفلة رضي الله عنه)، وكان النبي ﷺ يفعل ذلك اشتغالاً بعظمة الله، وحرصًا على الصلاة في جماعة، وعلى الأب أن يذكرهم بأحاديث النبي ﷺ التي تحث على الصلاة في أول وقتها وفي جماعة، منها ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أي

كاتب وباحث مصري

الأعمال أفضل؟ قال: «الصلاة على وقتها» قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين»، قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»، وروى البخاري عن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ (الفرد) بسبع وعشرين درجة»، ولا يصلي في بيته ويترك صلاة الجماعة في المسجد متذرعًا بحجج واهية، فقد أخرج أحمد وأبوداود وابن ماجه والحاكم وغيرهم من حديث ابن أم مكتوم أنه قال: يارسول الله، إني رجل ضرير البصر، شاسع الدار، ولي قائل لا يلائمني، فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي؟ قال: «هل تسمع النداء؟» قال: نعم، قال: «لا أجد لك رخصة»، فحذار أن يتهاون أحد الوالدين في أمر الصلاة، لأن الأبناء يقتدون بهما، وينشأون على ما يتعودون عليه، قال الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان منا
على ما كان عوده أبوه

والأب يعود أبناءه على ارتياد المساجد وحضور الصلوات، فقد روى أبوداود بإسناد حسن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده- رضي الله عنهم- قال: قال رسول الله ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»، كذلك الأمر في سائر العبادات التي فرضها الله على عباده، فلا يفطر الوالدان في رمضان بغير عذر، أو يسيء أحدهما أو كلاهما الى سائل أو محتاج أو جار، فكل ذلك يلمسه الأبناء ويفعلون مثله.

وأود أن أشير الى خطأ، ما أكثره انتشارًا في نطاق الأسر، وهو قطع الأرحام والخصام بينهم على أتفه الاسباب، وبالتالي فالأمر يصدر الى الابناء بعدم الذهاب الى بيت فلان او فلانة، وألا يكلموا ابناء فلان وابناء فلانة الذين هم من أولي الأرحام، وهو جرم عظيم يمتد أثره جيلاً بعد جيل، فالواجب على الوالدين أن يغرسا في الأبناء صلة الأرحام، لا أن يقطعاها ويحثا أبناءهما على ذلك، وقد سمى الله تعالى قطع الأرحام فسادًا في الأرض، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم، قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذلك لك، ثم قال رسول الله ﷺ: اقرأوا إن شئتم ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم. أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾ (محمد: ٢٢-٢٣).

أول ما ينبغي أن يتنبه إليه الوالدان زلات اللسان التي يلتقطها الطفل ويكررها ويرددها بعد ذلك

وقد يتحجج الوالدان بأن فلانًا هو السبب، ولا ذنب لنا، فنحن الذين نسأل، ونحن الذين نجامل، ونحن الذين نزور، وهم لا يردون لنا أي شيء، فنقول لهم: ليس ذلك عذرًا للقطيعة، فأنت تصل وتسأل وتزور من أجل الله فقط، لأن الله تعالى أمرك بذلك، فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا قال: يارسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي، فقال: «لئن كنت كما قلت فكأنما تُسِفُّهم المل (الرماد الحار)، ولايزالَ معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك»، فينبغي تعويد الأبناء صلة الارحام بدلاً من قطعها، وهذا يأتي بالممارسة الفعلية لهذه الفضيلة أمام الأبناء، بل ينبغي اصطحابهم لزيارة أقاربهم.

إن الابناء امانة في اعناقنا، وسوف يسألنا الله تعالى عنها يوم القيامة، فقد روى البخاري ومسلم عن ابن عمر - رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، الامام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، فلينتبه الوالدان الى اخطائهما التي تصدر منهما أمام الابناء، وليعملا على تجنبها رغبة في أن ينشأ الابناء أسوياء، لايميلون ولايزيغون، ولايحيدون عن كل خلق قويم.

الخطاب الإسلامي الحضاري.. بناء الإنسان أولاً

أشهبار عبدالجواد

العلم أداة إصلاح وخير في العالم الإسلامي اليوم صيحات تتجاوب أصداؤها من المحيط إلى المحيط، تنادي بالعودة إلى الإسلام، الإسلام خالصًا من الشوائب، سالمًا من الزوائد، بعيدًا عن الغلو والتقصير، تنادي هذه الصيحات بالإسلام وحده بلا شركة، والإسلام كله بلا تجزئة، عقيدة روحها التوحيد، وعبادة روحها الإخلاص، وأخلاق روحها الخير، وحضارة روحها التوازن (1).

لقد أصبح شعار هذا العصر «المادية فوق كل شيء»، وطغى هذا الشعار وتضاءلت أمامه قوة الناس المعنوية، وتلاشت به الروابط الأدبية، وأشاحت الفضيلة بمزاياها عن النفس، فإذا الإنسان في غمار من الزهو والغرور يهزأ من العفة والاستقامة، ولا ينظر إلى الحياة إلا من خلال المتع والمسرات.

إن رجوعنا إلى عناصر الخلق، وإلى الفضائل الاجتماعية التي نبتت في أصول الأديان يضع حدًا للمتاعب التي تواجه الإنسان، وتجعل من العلم أداة إصلاح وخير، فالعلم قد وضع في أيدينا قوة إذا لم نحطها بسياج من الخلق والفضائل انقلبت إلى قوة هدامة مخربة، لا يستطيع الإنسان أن يرد عن الحياة آثامها وشرورها ومفاسدها إذا سار فيها على العلم وحده منصرفا عن معاني الخير (٢).

يقوم منهج المعرفة في الإسلام على أصول أصيلة، فلا مجال في الوجود للمصادفة العمياء، والأخذ في الاعتبار فطرة الإنسان وطاقاته واستعداداته، وقوته وضعفه، إن الوجود ليس متروكا لقوانين آلية صماء، وان وراء السنن إرادة الله المطلقة، إن قانون الطبيعة وقانون الدين يلتقيان ويتكاملان (٣).

التصور الإسلامي للوجود الإنساني

إن الإسلام حين يقيم بناءه الاعتقادي في الضمير والواقع على أساس العبودية الكاملة لله وحده، ويجعل هذه العبودية الكاملة لله وحده، في صورتها هذه، هي المدلول العملي لشهادة ألا إله إلا الله.. وأن التلقي في كيفية هذه العبودية عن رسول الله ﷺ، وحده هو المدلول العملي كذلك لشهادة أن محمدا رسول الله.. إن الإسلام حين يقيم بناءه كله على هذا الأساس، بحيث تمثل شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله منهج الحياة في الإسلام، وتصور ملامح هذا المنهج، وتقرر خصائصه، إن الإسلام حين يقيم بناءه على هذا النحو الفريد الذي يفرقه عن جميع الأنظمة الأخرى التي عرفتها البشرية، إنما يرجع إلى أصل أشمل في تقريره عن الوجود كله، لا عن الوجود الإنساني وحده، وإلى منهج للوجود كله لا منهج للحياة الإنسانية وحدها (٤).

والشريعة التي سنها الله لتنظيم حياة البشر هي شريعة كونية، بمعنى أنها متصلة بناموس الكون العام، ومتناسقة معه، ومن ثم فإن الالتزام بها ناشئ من ضرورة تحقيق التناسق بين حياة الإنسان، وحركة الكون الذي يعيش فيه، بل من ضرورة تحقيق التناسق بين القوانين التي تحكم فطرة البشر المضمرة والقوانين التي تحكم حياتهم الظاهرة، وضرورة الالتئام بين الشخصية المضمرة والشخصية الظاهرة للإنسان (٥).

إذن فإن الهدف الظاهر من قيام شريعة الله في الأرض ليس مجرد العمل للآخرة، فالدنيا والآخرة معا مرحلتان متكاملتان، وشريعة الله هي التي تنسق بين المرحلتين في حياة هذا الإنسان، تنسق الحياة كلها مع الناموس الإلهي العام.

هذا هو أساس التصور الإسلامي للوجود كله، وللوجود الإنساني في ظل ذلك الوجود العام، وهو تصور يختلف في طبيعته اختلافا جوهريا عن كل تصور آخر عرفته البشرية، ومن ثم تقوم عليه التزامات لا تقوم على أي تصور آخر في جميع الأنظمة والنظريات (٦).

بناء الإنسان

يؤكد فريد الأنصاري- رحمه الله- أن العمران البشري، المقصود به هندسة المذهبية الحضارية الكامنة في الإنسان.

العمران إذن هو بناء الإنسان، بما هو ثقافة، وبما هو حضارة وتاريخ، وبما هو فكر ووجدان، وبما هو نفس ونسيج اجتماعي.

وكما يكون فكر الإنسان وتصوره للحياة، تكون عمارته المادية، فالمادة في هذا تبع للفكر، وكما كانت بعثة محمد بن عبدالله ﷺ تقوم على نظام أولويات، فكذلك كل بعثة تجديدية يجب أن تقوم على ذلك النظام من الأولويات، بلا حرفية ولا ظاهرية، وإنما بمنهجية مقاصدية، حفاظا على سر الإرث النبوي، وطلبا للصواب في المنهج، ورغبة في تحقق النتائج بإذن الله.

ودور الجيل الجديد اليوم هو تجديد ذلك العمران، بدءا بتجديد الإنسان ككيان، حتى تجديد السلطان كمفهوم.

الإنسان هو أهم عناصر العمران، وأول مرتكزاته، فهو الذي يعطي للبناء معناه العمراني.. الإنسان إذن، هو أساس العمران، ولذلك كان محل خطاب الرحمن بالقرآن.

و«العمران القرآني» له قضايا رئيسية في بناء النفس والمجتمع، إليها تستند هندسته، وعليها يقوم بناؤه، فهي التي كانت تمثل اللبنات الكبرى في بناء البعثة المحمدية وعمارتها، عليها كانت تدور أولوياتها وهي: التوحيد بما هو إخلاص، والعبادة بما هي شعائر، والمجتمع بما هو علاقات ومؤسسات، ثم علم الدين بما هو إطار للتجديد والاستمرار، وغاية ذلك كله

كاتب وباحث

مهمة المسلم في الحياة الدنيا أوجزها كتاب الله في أربعة مصطلحات: العبادة الأمانة العمارة الخلافة

هو إقامة العمران الوجداني والمادي، لعبادة الله الواحد القهار (٧).

يعتبر الأستاذ راشد الغنوشي، أن نظرية الاستخلاف، وهي الركن الأساسي في الفلسفة السياسية الإسلامية، تتضمن الاعتراف بوحدانية الله، وأنه سبحانه رب كل شيء ومليكه والحاكم بغير معقب ولا شريك، وأن قانونه يعلو كل قانون، وأن الإنسان كائن مكرم بالعقل والحرية والمسؤولية والرسالة، قد اكتسب بمقتضى ذلك التكريم حقوقا لا سلطان لأحد عليها، ويحمل تكاليف لا انفكاك له منها، وهي في جملتها تشكل عهدا أو عقدا أن يعبد الله لا يشرك به أحدا وفق شريعته، وأنه إن فعل ذلك استحق من ربه بركات الرضوان والفوز في الدنيا والآخرة، إن شريعة الله وشورى الناس، هما المبدآن الرئيسيان اللذان تتأسس عليهما الدولة الإسلامية، وهما ثمرتان لازمتان لنظرية الاستخلاف، الركن الأساسي في العقيدة السياسية الإسلامية (٨).

يطرح المفكر الإسلامي فهمي هويدي حقيقة يجب ألا تغيب عنا، وهي أن النموذج الذي نقدمه في ممارساتنا وحياتنا العملية سيظل وحده الذي يمكن أن يقنع الآخرين برقي مشروعنا، وإيجابيات تعاليمنا، وسمو شريعتنا، ويجب أن ندرك أننا مهما قلنا في مديح الإسلام وتبيان تفوق تعاليمه وإنجازات حضارته، فإن الذين يتلقون ما نقوله سيضربون صفحا عن كل ذلك، ثم ينظرون إلى أحوالنا ويصدرون في ضوئها حكمهم النهائي، فإذا وجدوا في أحوالنا ما يؤكد كلامنا قبلوه، وإذا وجدوا تفاوتا بين الاثنين أو تناقضا، صدقوا أحوالنا وكذبوا كلامنا (٩).

إن المتتبع لتاريخ الأمة الإسلامية والمتأمل فيما تعرضت له من هزات عنيفة على مدى التاريخ، سواء بسبب عوامل خارجية: من حروب طاحنة، ومؤامرات ماحقة، وكيد بليغ الغاية في النكاية، وعوامل داخلية: من تمزق وحروب، واختلاف وجهل وغير ذلك، إن المتتبع لذلك يرى أنها الأمة الوحيدة التي ظلت عصية أمام العواصف، فكلما أصابتها كبوة، ونزلت بها عثرة، قامت معافاة، سليمة، تستجمع قواها، وتلملم جراحها، وتستأنف السير في طريقها إلى الله عزوجل، فلم تخضع لذوبان، ولم تدخل في قاموس قانون الحضارات التي تمر عليها سُنة «سادت ثم بادت»، كما هو شأن كل حضارة تمر بمرحلة الشباب ثم الشيخوخة ثم الانقراض، فعلى الرغم مما أصابها من محاولة مسخ شخصيتها، وتعرضها للاحتلال الذي حاول أن يسلب منها كل مقومات حضارتها، وأن يذيبها في الانحلال الخلقي، وأن يصرفها عن مقومات وجودها، وعزتها، فإنها دائما تنهض وتستعيد عافيتها.

إن تضافر الجهود في خدمة الإسلام يعبر تعبيرا صادقا عن وحدة الأمة الإسلامية وتماسكها، وحسن تعاملها وتعاونها على البر والتقوى، وشعورها بالمسؤولية الملقاة على عاتقها.

إن نداءات المشفقين اليوم من هذه الأمة تتداعى لإعادة النظر في أحوال الأمة والقيام من الكبوة التي وقعت فيها، والالتفات إلى ما أكرمها الله به من مقومات وكفاءات في مجالات شتى، يمكنها أن تفعل الكثير في خدمة الإسلام وإعادة الصف، وجمع الكلمة، وشد آصرة الأخوة الإيمانية، وحل المشكلات (١٠).

يؤكد الشيخ د.عدنان النحوي، أن مهمة المسلم في الحياة الدنيا أوجزها كتاب الله في أربعة مصطلحات: العبادة، الأمانة، العمارة، الخلافة، وهذه كلها تجتمع في تحقيق خطوة رئيسية ومهمة أساسية وهي تبليغ رسالة الله كما أنزلت على محمد ﷺ، إلى الناس كافة وتعهدهم عليها حتى تكون كلمة الله هي العليا.

لا تقف مهمة المسلم عند الشعائر فحسب إنما تمتد من الشعائر إلى دراسة منهاج الله وتدبره، قرآنا وسنة ولغة عربية، صحبة منهجية، صحبة عمر وحياة، ومن هذه الدراسة ينطلق لتبليغ دين الله، والجهاد في سبيل الله من أجل ذلك، وتنطلق سائر التكاليف قائمة على الدعوة والبلاغ والتعهد وإنقاذ البشرية من فتنة الدنيا ومن عذاب الآخرة (١١).

وكما قال د. يوسف القرضاوي: المسلم مطالب لدينه ودنياه دائما (١٢). ان المسلم مطالب بأن يعمل لدنياه منتجا معطاء، حتى تلفظ الحياة آخر أنفاسها، ولا يتوانى في عمارة الأرض لحظة واحدة، فقد علم الرسول ﷺ أمته، إن قامت الساعة وفي اليد فسيلة، فإذا كان في مستطاع المسلم ألا يقوم حتى يغرسها، فليغرسها. والفكرة هنا هي تكريم العمل، وأن يكون المسلم دائما معطاء إلى اللحظة الأخيرة، إذ ما فائدة الغرس والساعة قائمة، ولن يعيش كي يجني ما غرست يداه؟ لكن حب العمل، والعمل من أجل تكريس صورة المسلم المعطاء الذي تتوفر فيه شروط الفضيلة والعدل ونكران الذات والتضحية تملي عليه هذا الفعل.

إن الخطاب الإسلامي الحضاري محوره هو «الإنسان»، والتأكيد على الصلة الوثيقة بين العلم والنهضة والرقي بالإنسان مركز الاهتمام.

الهوامش

١- د. يوسف القرضاوي، من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا، الطبعة الأولى ١٩٨٨، المكتب الإسلامي، بيروت، ص: ١٧١.
٢- أنور الجندي، سقوط العلمانية، الطبعة الأولى ١٩٧٣، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص: ١٩٠.
٣- نفسه، ص: ١٩١، بتصرف.
٤- سيد قطب، معالم في الطريق، طبعة ٢٠٠٠، دار الشروق، بيروت، دار الثقافة، الدار البيضاء، ص: ١٠٨.
٥- نفسه، ص: ١١١.
٦- نفسه، ص: ١١٤، بتصرف.
٧- فريد الأنصاري، الفطرية: بعثة التجديد المقبلة من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام، منشورات رسالة القرآن رقم ٣، طبعة ٢٠٠٧، مكناس، ص: ٢٠٩-٢١٠، بتصرف.
٨- راشد الغنوشي، المبادئ الأساسية للديموقراطية وأصول الحكم الإسلامي، الطبعة الأولى الدار البيضاء ١٩٩٤، منشورات الفرقان، سلسلة الحوار رقم ١٨، ص: ٣٥-٣٦، بتصرف.
٩- فهمي هويدي، نحو حوار بناء بين الحضارات، مبادئ الخطاب الإسلامي المعاصر في التعامل مع الحضارة الغربية، مجلة الوعي الإسلامي، مجلة كويتية شهرية جامعة، العدد ٥٣١، نوفمبر ٢٠٠٩، ص: ٢١، بتصرف.
١٠- عبدالوهاب بن لطف الديلمي، من يستنهض كوامن الخير في الأمة الإسلامية؟ مجلة البيان، العدد ٢٦٩، يناير ٢٠١٠، ص: ١٦ و١٩، بتصرف.
١١- انظر حوارًا أجرته مجلة الوعي الإسلامي مع د.عدنان النحوي، العدد ٥٣٤، فبراير ٢٠١٠، ص: ٣٥.
١٢- د يوسف القرضاوي، من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا، مرجع سابق، ص: ١٥.

التفكير فريضة إسلامية

د .أيمن محمد الجندي

«التفكير فريضة إسلامية» كتاب أنصف الإسلام من ظلم أتباعه وأعدائه على حد سواء! كتبه العقاد جوابا لسؤال: هل يتفق الفكر والدين؟ وهل يستطيع الإنسان العصري أن يقيم عقيدته الإسلامية على أساس من التفكير؟ هذا ما يحاول العقاد إجابته من خلال هذا الكتاب البديع.

يقول العقاد إنه من مزايا القرآن مزية واضحة يقل الخلاف فيها بين المسلمين وغير المسلمين لأنها تثبت من تلاوة الآيات ثبوت الأرقام ، ولا تحتاج لمناقشات ومجادلات، هذه المزية هي التنويه بالعقل ، والتعويل عليه في أمر العقيدة والتكليف.

في الكتب السماوية السابقة (في نسختها الحالية) توجد إشارات صريحة أو مضمرة إلى دور العقل لكنها تأتي عرضا غير مقصودة لذاتها، وربما لمح القارئ أحيانا شيئا من الزراية بالعقل أو التحذير منه لأنه مزلة العقائد وباب الإنكار. أما القرآن الكريم فلا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه على أهمية الرجوع إليه، ولا تأتي الإشارة إليه عارضة أو مقتضبة في سياق الآيات بل مقصودة لذاتها مؤكدة باللفظ الجازم والدلالة اللافتة، تحث المؤمن على تحكيم عقله وتلوم المنكر على إهمال عقله وقبول الحجر عليه.. ولا تأتي الإشارة إلى العقل بمعنى واحد من معانيه، بل تشمل كل وظائف الإنسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها، لذلك تكررت في القرآن عبارات مثل «أفلا تعقلون؟، لعلكم تتفكرون، أفلا تبصرون، لعلهم يتذكرون» تعقيبا على الآيات بشكل لافت للنظر.

والآيات التي تبجل العقل لا تعد ولا تحصى إذ هي القرآن كله تقريبا ..منها على سبيل المثال لا الحصر:

﴿وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون﴾(المؤمنون: ٨٠)، ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾(العنكبوت: ٤٣) ﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾(الملك:١٠) ﴿كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون﴾(البقرة:٢٤٢) ﴿وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ (البقرة:٢٦٩) ﴿قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون﴾(المائدة:١٠٠) ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ (يوسف:١١١) ﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خير كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ (البقرة:٢٦٩) ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾(البقرة:٢١٩) ﴿ويتفكرون في خلق السماوات والأرض﴾ (آل عمران:١٩١) ﴿أو لم يتفكروا في أنفسهم﴾ (الروم:٨) ﴿أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض﴾ (الأعراف:١٨٥) ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته﴾ (ص:٢٩) ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾(الزمر:٩) ﴿خلق الإنسان. علمه البيان﴾(الرحمن:٣-٤) ﴿الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (العلق:٤-٥) ﴿قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا﴾ (الكهف:٦٦).

بهذه الآيات التي تحض على العقل والتمييز تقررت فريضة التفكير في الإسلام، وتبين منها أن العقل الذي يخاطبه القرآن هو العقل الذي يدرك الحقائق ويميز بين الأمور، العقل الذي يقابله الضلال لا العقل الذي يقابله الجنون الذي يذهب التكليف .

ولا يوجد أي تناقض بين العقل والإيمان بالغيبيات، فالفارق عظيم بين ما هو (ضد العقل) وبين ما هو (فوق العقل)، فما هو ضد العقل يلغيه ويعطله، وما هو فوق العقل يطلق له المدى ثم

باحث مصري

يقف حيث ينبغي له الوقوف، وحتى حينما يقف فإنها تكون وقفة تفكر وتدبر.

الإسلام دعوة حارة إلى العلم في معناه الكبير الأشمل من الشعائر والصوم والصلاة ، العلم بالمعارف الكونية وحقائق الوجود التي بها يقترب الإنسان من خالقه، لذلك يلفت القرآن الأنظار إلى العلوم الكونية ويربطها بمملكة الروح: ﴿أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء﴾(الأعراف:١٨٥) ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت. وإلى السماء كيف رفعت. وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت﴾(الغاشية:١٧-٢٠) ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾(البقرة:١٦٤)

كل ما حولنا معجزة، ولكنها المعجزة التي يعمل العقل لفهمها لا تلك التي تبطل عمل العقول، فالإسلام يضع المعجزة في موضعها فهي ممكنة لا استحالة فيها على الخالق، لكنها لا تهدي من لم تكن له هداية من بصيرته واستقامة تفكيره، ولذلك كان جواب الرسول لمن طالبه بالمعجزات هو: ﴿قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا﴾(الإسراء: ٩٣).

القرآن الكريم لا يذكر العقل الا في مقام التعظيم والتنبيه على أهمية الرجوع إليه

والتنويه بالعقل لم يأت مصادفة بل هو نتيجة منتظرة من دين لا يعرف الكهانة ولا يتوسط فيه أحد بين المخلوق والخالق، دين يعتمد على المسؤولية الفردية للإنسان ﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾(الطور: ٢١) ، دين لا يحاسب الإنسان على خطيئة ليست من عمله ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾(الإسراء: ١٥)، فليس في الإسلام إنسان ينجو أو يهلك بالميلاد، وإنما يوكل النجاة والهلاك لسعي الإنسان وعمله ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى. وأن سعيه سوف يرى﴾(النجم:٣٩-٤٠).

وعلى هذا يتناسق جوهر الإسلام ووصاياه، وتأتي منه الوصايا المتكررة بالعقل والتمييز، وحين يكون العمل بالعقل أمرا من أوامر الخالق يمتنع على المخلوق أن يعطل عقله لأي سبب خوفا أو إقتداء أو خضوعا.

بذلك يجيب العقاد على السؤال المطروح في بداية المقال: هل يتفق الفكر والدين؟ وهل يستطيع الإنسان العصري أن يقيم عقيدته الإسلامية على أساس من التفكير؟ وتكون إجابته: نعم يتفق الفكر والدين، نعم يدين المفكر بالإسلام وله سند من فكر وسند من إيمان، لأنه الدين الذي يجعلنا نعتقد بإله هو رب العالمين، ليس كمثله شيء وهو بكل شيء محيط، لا يحابي ذرية عن ذرية، ولا يختص بالنجاة فريقا دون فريق، ولا يميز أحدا بغير العمل والتقوى.

لأنه الدين الذي يجعلنا نؤمن بنبي مهمته الهداية، يعلم ما علمه الله ولا يعلم الغيب إلا بإذن الله، يخاطب العقول ولا يقسرها على التصديق بالخوارق والأعاجيب، ولا يملك لأحد نفعا ولا ضرا إلا ما يكسبه لنفسه من خير أو شر، نصدق الأنبياء حين نصدق نبينا ونصلي عليهم حين نصلي عليه، هم رسل الهداية، يبشرون وينذرون فلا يهلك أحد من خلائق الله بغير نذير ولا تفوته النجاة لأنه سبق في الزمان أو تأخر فيه بغير حيلة له في السبق أو التأخر، نصدق بالدين لأن عقيدته في الإنسان أنه مخلوق مسئول عن عمله، إن عمل صالحا فلنفسه وإن أساء فعليها، يؤاخذه الله بذنبه ولا يؤاخذه بذنب لم يقترفه وينجيه بتوبته ولا ينجيه بكفارة لم ينهض بثوابها، آسرة من ذكر وأنثى، أكرمهم عند الله أتقاهم، وأتقاهم لله أنفعهم لعباده، يتكاثرون بالأنساب فإذا نصب لهم الحساب فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون.

نصدق بالدين لأنه عهد بين الله وخالقه، أينما كان فثم وجه الله، محرابه حيث أقام الصلاة، لا حاجة به لكاهن ولا وسيط، فإذا احتاج الإنسان إلى دين- وهو لاريب محتاج- فأي عقيدة أجمل وأرفع وأولى بالاتباع من هذه العقيدة وهذا الدين؟.

لهذا كله يحق لنا أن نقول: إن التفكير يوجب الإسلام، وإن الإسلام يوجب التفكير.

الدعاة المبشرون

عمر سالم المطوع

عندما تكون في زيارة للطبيب لأعراض مرضية تشكو منها، وعند الفحص السريري يبدأ الطبيب يتلمس بعض الأعراض لمرض خطير جدًا.. حينها يطلب منك عينة من الدم للتأكد من خلوك من هذا المرض الفتاك، وبينما أنت تنتظر النتيجة إذ بالطبيب يتصل بك بعد أربعة أيام ويخبرك بضرورة عمل فحص من نوع آخر للتأكد بشكل أدق فلا تزال النتيجة الأولية غير واضحة، والتحليل الجديد يستغرق أسبوعين إضافيين، حيث إن التحليل يرسل إلى مختبر خارج البلد، وبينما أنت تنتظر تنتابك أفكار مزعجة، فالأهل قلقون، والحالة النفسية بين مدٍ وجزر، فتأتي أوقات تحس فيها بالتفاؤل، وأوقات بالتشاؤم الذي يجعل صدرك ضيقًا، وكأني أراك تكثر من الدعاء والاستغفار والرقية الشرعية، وهكذا إلى أن انقضت المدة.. وبعد وصول النتائج يتصل بك الموظف الذي يعمل بعيادة الطبيب ويخبرك بضرورة حضورك إلى العيادة، وذلك بناء على طلب الطبيب، وبينما أنت تستعد وتصلي ركعتين قبل الذهاب الى العيادة تدعو الله فيهما بالفرج القريب.. الآن وصلت إلى العيادة، وهأنت تدخل على الطبيب، وإذ به يقوم من كرسيه ويصافحك ويقول: «ألف ألف مبروك نتيجة التحاليل طلعت سليمة، فالحمد لله ما تحتاج إليه علاج بسيط من المضاد الحيوي»، وبينما أنت تسمع الخبر، إذ بوجهك ينبسط وتظهر عليك علامات الفرح، وتقول للطبيب لقد بشرتني عسى الله أن يبشرك بالجنة.. هل نظرت معي أخي القارئ إلى هذا الشعور الجميل الذي يظهر أثره على النفس البشرية عندما تسمع مثل تلك البشارات، رأيتك عرفت أثرها وجمالها افيا ليتنا نتحلى بها في تعاملاتنا ونكون مبشرين لا منفرين، فقد قال النبي ﷺ عندما بعث أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما إلى اليمن «يسرا ولاتعسرا، وبشرا ولاتنفرا، وتطاوعا ولاتختلفا» (رواه البخاري).

وما أجمل ما قاله الشاعر:

إذا قلت كنت للقول فاعلا
وكان حيائي كافلي وضميني
تبشرُ عني بالوفاء بشاشتي
وينطق نور الصدق فوق جبيني

البشارة والربانيون

البشارة خلق كريم يتحلى به الدعاة الربانيون، فيقومون ويبشرون الناس بعظمة وجمال شريعتنا الإسلامية الغراء، فالبشارة من من صفة الأنبياء والمرسلين، فقد قال الله تعالى:﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين...﴾ (البقرة: ٢١٣)

وقوله تعالى:﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (الأنعام: ٤٨)، فانظر ودقق فهمك، كيف أن الله عز وجل قدم البشارة على الإنذار، فما علينا إلا أن نُقدم أسلوب البشارة والترغيب في الدعوة إلى الله عز وجل، فالأصل في الحق أنه يبشر أصحاب النفوس الصحيحة ويحثها على فعل الخيرات، لأن تلك النفوس الصحيحة ما إن تسمع نداء الإيمان إلا وتتغير، فتصبح من أهل الإيمان، ويظهر البشر والانبساط على الوجوه بعد تذوق حلاوة الإيمان، والبِشارة يندرج تحتها معنى الجمال والحسن، فقد قال ابن فارس في تعريف البشارة لغة:«هو ظهور الشيء مع حسن وجمال، ويقول الرازي: «والبشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير، وإنما تكون بالشر إذا كانت مقيدة به كقوله تعالى:﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ (الأنشقاق: ٢٤). أما أصحاب النفوس السقيمة التى تبعت هواها وسبل الشيطان، فهو إنذار لهم من عاقبة الشرك بالله والغواية والانغماس في المعاصي والآثام.

مصادر البشارة

وسوف تجد أيها القارئ أن القرآن الكريم مليء بالآيات التي فيها بشارة للمؤمنين، ولن أحصيها في هذه المقالة، ولكن فكر معي في هذه الآية، يقول الله تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدىً ورحمة وبشرى للمسلمين﴾(النحل: ٨٩)، فالله الله في قراءة القرآن الكريم وتدبر معانيه، فوالله ستجد فيه كل البشارة والسعادة، وفي أحاديثه ﷺ

كاتب وباحث كويتي

إن على الدعاة الى الله ان يشيعوا جو البشارة فيما بينهم، وأن يستخدموه في وسائلهم الدعوية

ما يثلج الصدر ويشحذ الهمة، فهو نبراس الهداية والبشارة ﷺ، فما إن تمتزج روحك بفهم أحاديثه ﷺ إلا وتشمر عن ساعد الجد وتجتهد في الأعمال الصالحة التي يحبها الله تعالى ورسوله ﷺ مستبشرا بأثرها في حياتك الدنيا ورصيدها الوفير في الآخرة، وسوف تجد في أحاديثه ﷺ ما يحث على الزيادة في شكر النعم والصبر والاحتساب في البلاء، لذا أضع بين يديك طائفة من أقواله ﷺ آملاً منك تدبرها وقراءتها بتمعن.

قال النبي ﷺ: «بشر هذه الأمة بالسنا والدين والرفعة والتمكين، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب» (رواه الإمام أحمد).

قال النبي ﷺ: «أنا أول الناس خروجًا إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد يومئذٍ بين يدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر» (رواه

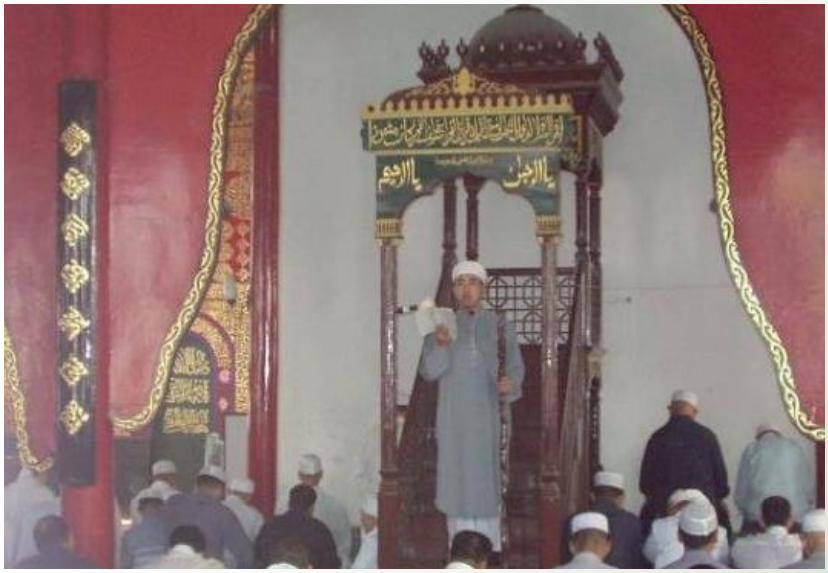

الترمذي).

قال النبي ﷺ: «بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة» (رواه أبوداود وصححه الألباني).

البشارة في الدعوة إلى الله

إن على الدعاة الى الله ان يشيعوا جو البشارة فيما بينهم، وأن يستخدموه في وسائلهم الدعوية، لما لذلك من أثر في بث روح التفاؤل في مجتمع الدعاة وتقريب المدعوين الى الالتزام بتعاليم الدين القويم، فللبشارة أثر كبير في رفع الروح المعنوية للدعاة، بل تساهم بشكل رئيسي في مضاعفة الجهد والإنجاز، فهاهو النبي ﷺ في شدة الظروف التي أحاطت بالمسلمين في غزوة الخندق يبشرهم ويقول: «والذي نفسي بيده ليفرجن عنكم ما ترون من الشدة والبلاء، وإني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمنًا، وأن يدفع الله عز وجل مفاتيح الكعبة، وليهلكن الله كسرى وقيصر، ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله» (سنن البيهقي الكبرى).

والطريق إلى تحقيق البشارة بين الدعاة إلى الله يكمن في ثقتنا بنصر الله وتمكينه للمؤمنين، وأن نشيع الأجواء الإيجابية التي تساعد على العمل الدؤوب والإنجاز، وأن نكون على حذر من إشاعة الأجواء والأخبار السلبية، فعادة مثل تلك الأجواء والأخبار تؤثر في نفسيات الدعاة وكيان المؤسسات الدعوية، فهاهو الرسول ﷺ لما أرسل سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وعبدالله بن رواحة وخوات بن جبير رضي الله عنهم، ليعرفوا موقف يهود بني قريظة في غزوة الخندق، قال: «انطلقوا حتى تنظروا أحقا ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقّا، فالحنوا لي لحنًا أعرفه ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس» (السيرة النبوية لابن هشام)، ولقد رأينا كثيرا من الآثار السلبية لمثل تلك الأجواء التي جعلتنا نتكاسل في سلوك الدعوة إلى الله، نعم قد تصيبنا بعض الأحداث السلبية والمحزنة، ولكن علينا أن ننظر إليها بروح إيجابية، فكثير من الأحداث عندما ننظر إليها بروح سلبية لا نجد لها حلا، ولكن عندما ننظر إليها نظرة إيجابية نجد لها كثيرا من الحلول والتصورات التي تجعلنا نحل المشكلة ونتقدم للأمام.

كتاب «رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام»

للإمام تاج الدين الفاكهاني المالكيّ (٦٥٤- ٧٣١هـ)

اسم الكتاب: «رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام».

المؤلف: الإمام تاج الدّين الفاكهاني المالكيّ.

الجهة الطابعة: إصدار مجلة «الوعي الإسلامي»، قطاع الشؤون الثقافية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، في خمسة مجلدات.

والكتاب من طباعة دار النوادر الكويتية.

ترجمة الإمام الفاكهاني

هو الإمام الفقيه الفاضل أبوحفص عمر بن علي بن سالم بن عبدالله اللخمي الإسكندراني المالكي، مَهَر في العربية، وكان إمامًا متفنّنًا في الحديث والفقه والأصول، وكان على حظّ وافر من الدين المتين، والصلاح، واتباع السلف الصالح، زار دمشق سنة ٧٣١هـ، واجتمع به ابن كثير (صاحب البداية والنهاية)، وقال: سمعنا عليه ومعه، وحج ورجع إلى الاسكندرية، وصُلّي عليه بدمشق لمّا وصل خبر وفاته، له كتب منها «الإشارة» في النحو، «المنهج المبين في شرح الأربعين النووية»، و«التحرير والتحبير» في شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، في فقه المالكية، و«رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام» في الحديث، وهو كتابنا هذا، و«الفجر المنير في الصلاة على البشير النذير»، و«الغاية القصوى في الكلام على آيات التقوى»، توفي سنة (٧٣١هـ)، ذكر ابن فرحون في الديباج في ترجمة الفاكهاني أنه لمّا حضرته الوفاة؛ قال صهره الفقيه ميمون: تشهّدت بين يديه؛ ففتح الشيخ عينيه وأنشد:

وغَدًا يذكّرني عهودا بالحِمى
ومتى نسيتُ العهد حتى أُذَكَّرا؟

أهمية الكتاب

يعتبر شرح الفاكهاني من أهم الشروح على كتاب العمدة، حيث إنه الشرح المالكيّ الأول من بين المطبوع منها، ولأنّ مؤلفه مالكي، وأكثر مَن شَرَحه إمّا حنابلة أو شافعية، كما أنه عُني في شرحه بمسائل ونكات عربية، وجمع من تقييدات أكابرِ شراح الحديث؛ كالخطابي والمازري وابن العربي والقاضي عياض والنووي وابن دقيق العيد، وغيرهم رحمهم الله جميعًا.

كما أنه حفظ لنا كثيرا من النصوص الفقهية وغيرها من كتبٍ فقدت، أو لا تزال مخطوطة لم تر نورَ الطباعة بعد، مثل: «رجال العمدة» للصعبي، و«شرح الأحكام» لابن بزيزة، و«البيان والتقريب في شرح التهذيب» لابن عطاءالله المالكي.

منهج الفاكهاني في شرحه

بيّن المؤلف في مقدمة كتابه ما قصد إليه من هذا التأليف، فذكر جملة أمور منها:

الاهتمام بشرح الغريب، فيذكر المفردة وجمعها وتصريفها ولغاتها، ويحشد لها أحيانا شواهد الشعر والنثر، معتمدا على كتاب الصحاح للجوهري وغيره.

التنبيه على نكت الإعراب، وهو من أجلِّ مزايا الكتاب، والتي تقدّم الكاتب بها على غيره من الشرّاح، وليس ذلك بغريب عليه، فهو الموصوف باللغوي المتفنن النحوي، وبأنه الإمام في العربية.

البيان للأحكام، يذكر الشارح الأحكام الفقهية، ويقدّم في بعض الأحيان بين يدي الكتاب أو الباب مقدمات ومسائل فقهية تتصل بموضوع الحديث المراد شرحه، وعند دراسة الحديث فقهيا يقدم مذهب مالك، فيذكر الروايات عنه والمسائل، وترجيحات متأخري المذهب، ثم يتبعه بذكر المذاهب الأخرى، خصوصا الشافعية، ولا يذكر الحنفية والحنابلة إلا قليلًا.

الاستدلال بالأحاديث، في أثناء الشرح يذكر بعض الاستدلالات والاستنباطات الفقهية، وبعض الفوائد المستقاة من الحديث، وقد كان رحمه الله متتبعا ألفاظ الحديث على الترتيب، كما التزم ذلك ونوّه به غير مرة.

الإيضاح للمشكلات، كدفع وهم التعارض بين الأحاديث، أو حل إشكال وقع في ألفاظ الحديث، أو مسألة فقهية اكتنفها الغموض والاستغراب.

التعريف بالرواة حسب الإمكان، فقد عرّف ببعضهم وأهمل بعضهم، وطريقته في ترجمتهم أن يذكر اسم العلم بلقبه وكنيته وقبيلته، وضبط ما اشتبه من الأسماء، ثم يذكر شيئا من مناقبه، وما اتفق البخاري ومسلم على إخراجه من حديثه.

كما أوضح الكتب التي يكثر النقل عنها، ومنها:

يعتبر شرح الفاكهاني من اهم شروح كتاب العمدة

إكمال المعلم للقاضي عياض، ورمز له بالرمز «ع»، وشرح مسلم للنووي، ورمز له بالرمز «ح»، وشرح العمدة لابن دقيق العيد، ورمز له بالرمز «ق».

وقد اشترط الفاكهاني، رحمه الله، على نفسه أن يعيّن من عدا أصحاب هذه الكتب ممن ينقل عنهم.

من موارد المؤلف في الكتاب:

في اللغة وغريب الحديث:

١- الصحاح للجوهري
٢-تهذيب اللغة للأزهري
٣-معجم مقاييس اللغة لابن فارس
٤-مشارق الأنوار للقاضي عياض
٥-غريب الحديث للخطابي
٦- غريب الحديث لأبي عبيد

في الفقه وأصوله:

١-المدونة
٢-العتبية
٣- جامع الأمهات لابن الحاجب
٤- التفريع لابن الجلاب
٥-عقد الجواهر الثمينة لابن شاس
٦-التلقين للقاضي عبدالوهاب
٧-شرح التلقين للمازري
٨- المقدمات الممهدات، والبيان والتحصيل؛ كلاهما لابن رشد الجد
٩-الرسالة لابن أبي زيد القيرواني
١٠-شرح الرسالة للقاضي عبدالوهاب
١١-المحصول للرازي
١٢-الإحكام للآمدي

في التفسير:

١- الكشاف للزمخشري
٢- مفاتيح الغيب للرازي
٣-أحكام القرآن لابن العربي
٤- المحرر الوجيز لابن عطية

في الحديث:

١- الكتب الستة
٢-الموطأ للإمام مالك
٣-المسند للإمام أحمد

في شروح الحديث:

١- التمهيد، والاستذكار؛ كلاهما لابن عبدالبر
٢- المنتقى للباجي
٣-القبس، وعارضة الأحوذي؛ كلاهما لابن العربي
٤-المُعْلِم للمازري
٥-إكمال المعلم للقاضي عياض
٦- معالم السنن للخطابي

في التراجم والتاريخ:

١-الاستيعاب لابن عبدالبر
٢-أسد الغابة لابن الأثير
٣-تهذيب الأسماء واللغات للنووي

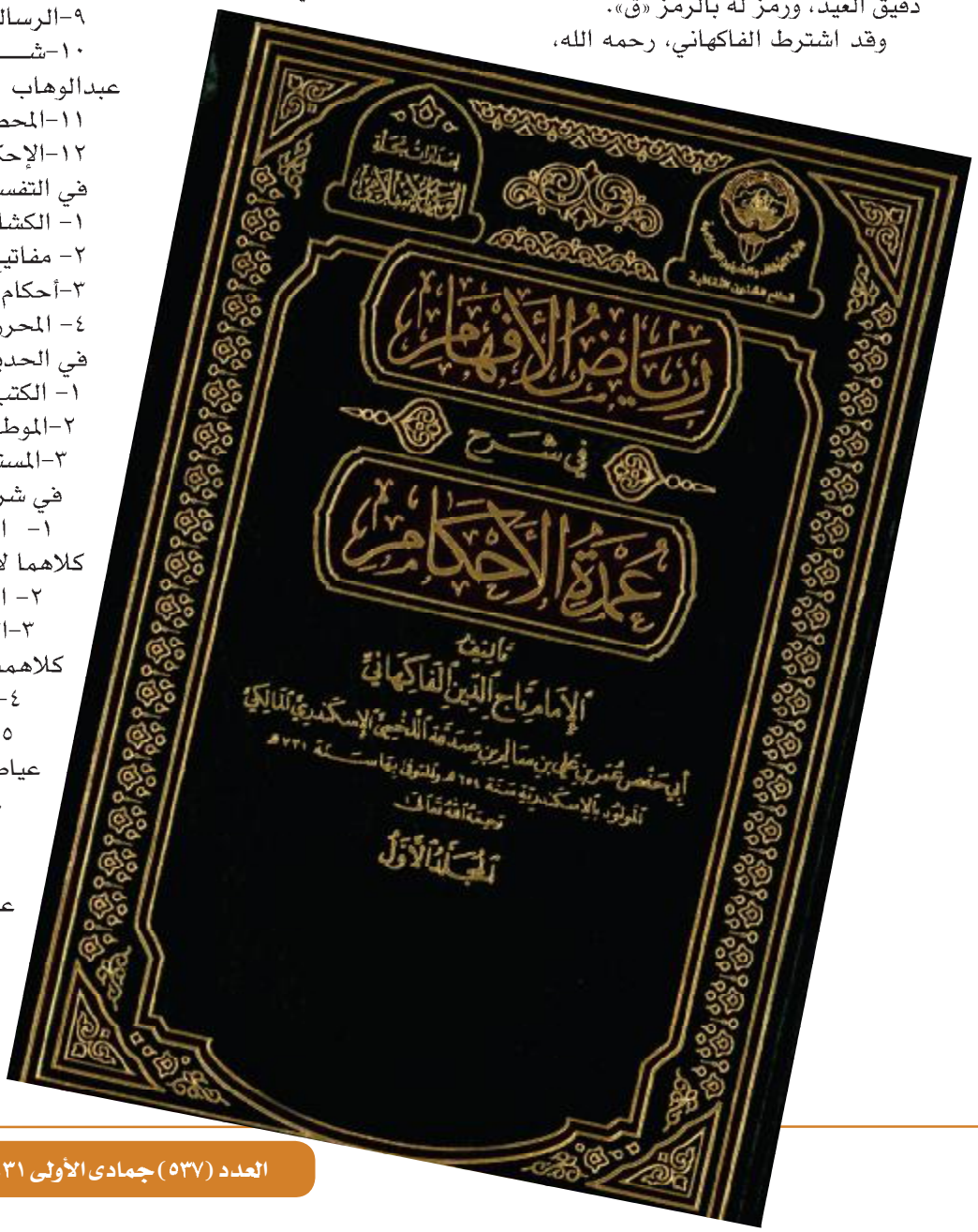

الخلاصة في الرد على المسلمين

د. محمود مسعود

إذا أردنا أن نتصفح الفكر الغربي في مقابل الفكر الإسلامي، لابد أن نضع في اهتمامنا منذ أول وهلة المقابلة بين علم اللاهوت الغربي وعلم الكلام الإسلامي، فكل من هذين العلمين نشأ للرد على المخالفين في العقائد والأفكار، سواء أكان هؤلاء المخالفون من جنس ودين واحد، أو من الأمم والديانات الأخرى التي تقابل صاحب هذا الدين أو ذاك.

ولو أردنا أن نبدأ من البيئة الإسلامية لكان هناك عشرات ممن لا تخطئهم عين، قاموا بهذا الدور منذ واصل بن عطاء وعمر بن عبيد إلى الإمام محمد عبده مرورا بالغزالي والرازي وابن حزم وابن تيمية... وغيرهم كثير من فرسان هذا المجال، ولو عرجنا على الغرب المسيحي- وهذا دورنا مع قراء مجلة الوعي المبجلين- لما كان لنا اختيار غير أن نبدأ بالقديس توما الإكويني الذي يُعد أهم من كتب في الرد على المسلمين، وفي ذات الوقت يُعد - هو نفسه- أهم من استفاد من الفكر الإسلامي في إقامة حجج لدينه وتقوية الإيمان في مذهبه عند أتباعه، بل يُعد هو أبرز من مد الغرب بظلال الفكر الإسلامي عبر نقده له، ولو أن الإكويني ظل يمدح عقيدته دون أن يمس عقائد الآخرين ما خصصنا له هذا المقال، لكنه أفرط في وصف المسلمين بالمادية والبعد عن الروحانية وفهم معانيها، لهذا آثرنا أن نبين وجهة نظره والرد عليها، لاسيما وأن النبرة التي يرددها منتقدو الإسلام اليوم من غير المسلمين هي ذات النبرة التي كان يرددها هذا القديس.

فقد ولد القديس توما الإكويني عام ١٢٢٥م في قصر روكاسيا بالقرب من أكوينو بجنوب إيطاليا، وكان أبوه حاكم تلك المدينة، وأرسله أبوه منذورا للخدمة في أحد الأديرة من غير أن ينتظم في سلك الرهبنة، ثم التحق بكلية الفنون بجامعة نابولي، فلما توفي أبوه قرر أن يدخل الرهبنة الدومينيكانية وهو في ريعان الشباب، وقد اعترض عليه بعض أقاربه لمنعه من الرهبنة وتم حبسه لعدة شهور، لكنه استعاد حريته ورحل إلى باريس ليتعلم من ألبيرت الكبير مؤسس الدومينيكان، والذي كان يعمل أستاذا في جامعة باريس، ثم رحل مع معلمه هذا إلى كولونيا لينشئا معهدا دومينيكانيا، ثم عاد إلى باريس وحصل على الليسانس، وصار أستاذا للاهوت بها وهو في الحادية والثلاثين من عمره، ثم عاد إلى إيطاليا مسقط رأسه ليصبح معلما في معاهد البلاط البابوي ما بين عام ١٢٥٩م وعام ١٢٦٨م، ودخل الإكويني معارك ضد الرشديين (أتباع الفيلسوف المسلم ابن رشد) في باريس وغيرها، ونتيجة هذه المعارك أعفي من التدريس عام ١٢٧٢م. وذلك لأن التيار الرشدي حينئذ كاد يهز أركان العقيدة الكاثوليكية في سلطة الباباوات، فالمؤمن يجب أن يتوجه إلى الله دون واسطة من أحد، وأن عقل الإنسان أعظم نعمة يجب الاستفادة منها. وتوفي في عام ١٢٧٤م.

أما كتابه الذي نحن بصدد تقديمه فهو «الخلاصة في الرد على الأجانب» (Somme centre les gentils) وهو يقصد بالأجانب المخالفين له في الدين خاصة المسلمين، وكلمة gentil كان يستخدمها قبله اليهود لتمييز غير اليهود، فقد حاول الإكويني في الفصل الأول والثاني أن يبين أهمية الحكمة، وأنها رأس كل أمر، لكنه رأى أن الحكماء القدماء مختلفين فيما بينهم في هذه الحكمة التي مصدرها العقل الإنساني، ثم أصبح من الصعب الوصول إلى مصادرهم الأصلية، خاصة أن بعض هؤلاء الحكماء كان يعيش مع عباد الأصنام، فلربما كانوا على دينهم أو كانوا متأثرين بعبادة الأوثان.

ولما كان بيان خطأ كل طائفة على حدة صعب المنال وربما مستحيل، كما أن بعض الملحدين من الوثنيين والمحمديين (يقصد المسلمين) ليسوا متفقين معنا على سلطة النصوص المقدسة، والتي بفضلها يمكن إقناعهم بعقيدتنا، كما كان من الصعب إقناع اليهود الذين ظلوا مؤمنين بالتوراة، ولم يؤمنوا ببشارة المسيح- الإنجيل- والتي جاءت مكملة لتوراتهم، ورأى الإكويني أن كل هؤلاء لا يصح الحوار معهم أو إقناعهم مستندا إلى نصوص الإنجيل، فلابد إذن من اللجوء إلى العقل الذي يتفق الجميع في كثير من أدواته، ومع أننا جميعا متفقون على قدرات العقل إلا أن هذا العقل غير قادر على أن يدرك الله كما يقول الإكويني، ثم حاول إقناع أتباعه بمسايرته في خطواته العقلية ليثبت أن دينه وعقيدته صحيحان من جهة العقل، وأن دين مخالفه وعقيدته مجافيان للعقل! لكنه كعالم لاهوت لا يغفل أن يطمئن أتباعه بأن نصوص الكتاب المقدس وحدها هي سبيل الإيمان، وأنه في مجاراته لغيره من غير النصارى إنما القصد منه إما إفحامهم أو دعوتهم للدخول في ملكوت الله (يقصد قبول فكرة الخلاص المسيحية)، تلك الفكرة التي يبني المسيحيون عقائدهم عليها، وهي أن المسيح هو المخلص من الذنوب والمطهر من المعاصي، فيكفي المسيحي أن يؤمن بالمسيح ليصبح طاهرا من كل أنواع الكفر والزيغ.

ثم يستلهم القديس توما الإكويني منهج أرسطو الذي استلهمه من الفلاسفة المسلمين خاصة ابن سينا وابن رشد ليؤكد صحة عقائده وبطلان عقائد غيره، ففي الفصل الثالث يبين كيف يمكن اكتشاف حقيقة الإله، فالحقيقة الأولى أن مقام

أستاذ الفلسفة في جامعة المنيا

الإلهية يتجاوز كل القدرات العقلية للإنسان، ويبين ذلك من خلال شرحه لفكرة الثالوث المقدس، حيث يقول إن العقل الإنساني لا يستطيع أن يدرك كيف يكون الإله واحدا وفي ذات الوقت ثلاثة، في حين يمكن للعقل أن يصل بسهولة لإثبات وجود الله وأنه واحد لا شريك له، حتى إن الفلاسفة ـــ بدون سند من وحي ـــ استطاعوا أن يبرهنوا على ذلك، فيبدو من هنا أن جزءا من الحقائق يمكن أن نلمسه بعقولنا وجزءا آخر لا يمكن للعقل أن يصل إليه، ومن هذا الجزء مسألة التثليث.

ثم حاول في الفصل الرابع إثبات أن العقل يمكنه البرهنة على شيء ولا يمكنه البرهنة على شيء آخر، فلو تركنا العقل حرا وجدنا ثلاثة اتجاهات.

الأول: أن قليلا من الناس يشغلهم أصلا البحث عن معرفة الله، وذلك لكونهم يعاقون بواسطة الجهل والشهوة والكسل عن البحث عن الله.

الثاني: أن الذين بذلوا جهدا كبيرا لمعرفة الله عن طريق العقل لم يستطيعوا معرفته معرفة يقينية، ثم إن الخطر في الذين يقتربون من الحكمة ولا يصلون إليها، فيدلسوا على الناس كما جاء في كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو، ثم إنه لو كانت معرفة الله لا تأتي إلا عن طريق العقل لظل الناس يتخبطون في ظلمات الجهل، لأن معرفة الله بهذه الوسيلة لن تجذب عددا كبيرا من الناس، حيث لا يستطيع جمهور الناس أن يمكثوا زمنا طويلا في التأمل العقلي.

الثالث: أن عقل الإنسان بطبعه يقع في الأخطاء بسبب الصور التي اعتاد عليها وألفها، كما أن غالبية الناس يجهلون قوانين البرهان العقلي، حيث إن كثيرا من الأمور التي نبرهن عليها يثبت خطؤها فيما بعد، ولذلك فالأفضل أن يتلقى الإنسان العقيدة من خلال الوحي.

يستلهم القديس توما الإكويني منهج أرسطو الذي استلهمه من الفلاسفة المسلمين

ثم يقترح القديس توما في الفصل الخامس أن يأخذ الإنسان الحقائق التي لا يمكن للعقل أن يصل إليها كمسلمات وأساس للإيمان، وذلك لأن الديانات المادية يمكنها أن تبرهن عن حقائقها، أما الدين المسيحي وهو دين روحاني يصعب البرهنة على حقائقه بواسطة العقل، حيث إننا لا نعرف الله إلا في اللحظة التي نعتقد فيها أنه يتجاوز كل مقدرة إنسانية لإدراكه وهو ما يسميه بعض الصوفية الإحساس بالعجز عن معرفته.

ويستمر في الفصل السادس في إثبات صحة العقائد المسيحية في أن الله يوحي للإنسان بالمعرفة عن طريق الأنبياء المؤيدين بالمعجزات، أو أن يتجسد بذاته في الصورة البشرية ويصنع المعجزات حتى يسهل القبول به عند البشر «وهذا ما لم يفهمه المحمديون (المسلمون) حيث إن محمدا جذب الناس وغرر بهم بواسطة اللذة الجسدية التي وعدهم بها في الدنيا بالدعوة للحرب، وفي الآخرة بالجنة» ثم أخذ توما يحقر من نظرة المسلمين هذه للدنيا وللآخرة، بل ادعى أن تلك الطريقة هي التي ساعدتهم للوصول إلى جمهور كبير من الناس إذ إن الناس لا يستطيعون أن يتخلصوا من شهواتهم بسهولة.

ثم بين في الفصل السابع أن العقيدة المسيحية لا تخالف العقل وأن الله- منذ تجسده- يحيا في الإنسان المسيحي وأنه جعل المعرفة به مفطورة في الذات الإنسانية، ولهذا فالإنسان إذا أراد أن يعرف الله فما عليه إلا أن يتوجه إلى ذاته ليكتشف الله فيها.

ثم أخذ الإكويني بدءا من الفصل التاسع حتى نهاية الكتاب في البرهنة العقلية على إثبات وجود الله وبيان صفاته السلبية وهي (القدم والوحدانية ونفي الجسمية) والصفات الذاتية من مثل: الحياة والقدرة والإرادة والعلم وغيرها.

ويبقى لنا هنا موقف من فكر القديس توما الإكويني ورده على المسلمين، حيث إنه **أولا**: انحاز -ولا نلومه على هذا الانحياز- لعقائد دينه الروحاني، ونسب إلى دينه موافقته للعقل، مع أن المتبصر في رد الإكويني على المسلمين يلحظ بسهولة أنه شمر عن ساعده واعترض على إثبات عقائده بالعقل، حيث يقول: إن الجانب الروحي يصعب البرهنة عليه بالعقل، فكيف يصعب البرهنة عليه بالعقل ثم لا تكون هناك معارضة بين معتقده وبين العقل؟!

ثانيا: إن الإكويني يرى أن عقيدة التثليث يصعب البرهنة عليها بالعقل، ومر على هذه المسألة بخفة قلم وبدون تفصيل رغم أنه ذكر صفات الله التي يجب أن يؤمن بها المسيحي وبرهن عليها تفصيلا، ومع ذلك لم يحاول أن يبرهن على مسألة التجسيد تلك، لأنها كما يقول تتجاوز قدرات العقل الإنساني، فما فائدة التجسيد إذن؟! ألم يكن من المعقول أن يرسل الإله معجزاته عبر رسول أو نبي من أنبيائه دون أن يتجسد هو ويخالف بنفسه قدرات العقل التي خلقها، بل هذا هو ما تحقق بالفعل -كما يؤمن المسيحيون- مع الأنبياء السابقين على عيسى وهو عينه ما يقول به نبي الإسلام الكريم ﷺ، فلم معارضته والرد عليه؟ فكان يجب على الإكويني أن يرد على الله في فعله السابق على التجسيد! هذا -بالطبع- لو سرنا مع العقل والبرهان العقلي.

ثالثا: كيف ينكر الإكويني حاجيات الجسد، والإنسان لا يقوم إلا بهذه الحاجيات، فهل يستطيع الإنسان أن يعيش بدون جسد؟ وإلا ما الفائدة من الإنسان؟ فهناك الملائكة النورانيون الذين يعيشون بلا جسد مادي، ولو أنه رفض مبالغات الناس في تثمين الجسد وتزويده بكل رغبة حسنة أو سيئة، حلال أم حرام لما كان لنا لوم عليه، أما إلغاء متطلبات الجسد فهو أمر مستحيل على طبيعة الإنسان، وإلا لماذا كان يأكل الإكويني نفسه؟ ولماذا كان ينام؟ ثم العجيب أن أتباع القديس توما من النصارى ليسوا كلهم رهبانا مثله، يكتفون من الحياة بقطعة من خبز وقضمة من فاكهة، وإلا لماذا يتزوج أتباع المسيح وينجبون؟ أليس من الأجدر أن يعيشوا جميعا رهبانا؟ ولكن القديس توما يعلم أنهم لو فعلوا ذلك لفنوا من الأرض خلال جيل أو نحوه، فإذا كان هذا هو حال أتباع المسيح الروحاني من حاجيات الجسد، فلم الإنكار على غيرهم؟!

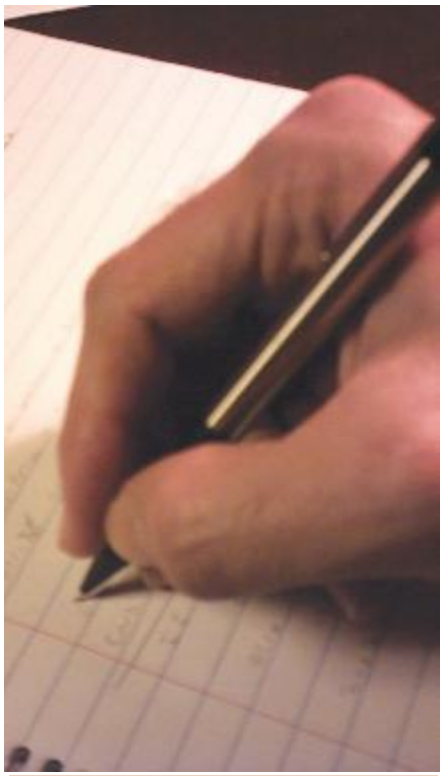

مقترحات

اقترح عليكم أن يكون هناك مجال للسنة النبوية المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم مثل «مأدبة القرآن» التي نشرت في السنوات الماضية، ويكون عنوانها «واحة السنة» بحيث تبدأ بالحديث النبوي الشريف «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

معاني المفردات

خيركم: أفضلكم.

تعلم القرآن: درس القرآن وعلومه مثل التجويد.

علمه: شرحه لغيره.

ما يؤخذ من الحديث:

١ - الحث على حفظ القرآن الكريم وتدبره.

٢ - الحث على السعي وراء العلم وتعليمه للناس.

محمود خالد حلمي

هل قوميتنا عربية.. أم إسلامية؟

لقد راهن الكثير من مفكري وزعماء العالم العربي على العروبة كأساس لوحدة وقومية تجمع العرب، والعرب فقط، منسلخين عن المحيط الإسلامي الكبير، ولقد برهنت الأحداث التي مرت بها المنطقة العربية على فشل اتخاذ العروبة كأساس قومي بعيدًا عن الإسلام، وأمامنا في ذلك مثال الوحدة العربية بين مصر وسورية، وما آلت إليه هذه الوحدة من فشل، كذلك الهزيمة الشنيعة التي أصابت العرب في يونيو عام ١٩٦٧م والتي سموها نكسة، فهي نكسة فكر وايدولوجيا. أقول لمن يرى أن العروبة هي أساس القومية والوحدة بين العرب:

هل كان للعرب قبل الإسلام حضارة أو ثقافة أو دين؟ هل فتح العرب فارس والروم بمعلقة ابن كلثوم؟ إن الحضارة العربية هي الحضارة الإسلامية ولا يصح أبدًا ان تقدم العربية على الإسلامية، فالإسلام يجمع المسلمين من العرب وغيرهم.

ولقد علم الاستعمار الغربي هذا، فزرع في الدويلات والدول العربية بذور الفرقة والنعرات القومية والعصيان القبلي حتى لا تجتمع أمة الإسلام أبدا، فنرى اليوم كثيرًا من الشباب المسلمين يستقبلون اخبار اخوانهم المستضعفين في الأرض بدم بارد بل مثلج، وكأنها مباراة كرة قدم تتخذها كل دولة معولًا لهدم الأخرى.

أحمد عبدالمنعم

قالوا عن الإسلام

● يقول أناتول فرانس: إن أفظع سنة في تاريخ فرنسا هي سنة (٧٣٢م) وهي السنة التي حدثت فيها معركة «بواتيه» والتي انهزمت فيها الحضارة العربية أمام البربرية الإفرنجية ويالیت يد شارل مارتل قطعت ولم ينتصر على القائد الإسلامي عبدالرحمن الغافقي، إن انتصاره أخر المدنية قرونا عدة.

● يقول أرنست رينان: لم يعتر القرآن أي تبديل أو تحريف وعندما تستمع إلى آياته تأخذك رجفة الإعجاب والحب، وبعد ان تتوغل في دراسة روح التشريع فيه لا يسعك إلا أن تعظم الكتاب العلوي وتقدسه.

● يقول الأميركي مايكل هارت: لا يوجد في تاريخ الرسالات كتاب بقيت حروفه كاملة دون تحوير سوى القرآن الكريم الذي نقله محمد.

● يقول العالم الفلكي جيمس جنز: سمعت العالم المسلم عناية الله المشرقي يتلو الآية الكريمة ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ فصرخت قائلًا: مدهش وغريب! إنه الأمر الذي كشف عنه بعد دراسة استمرت خمسين سنة! من الذي أنبأ محمدا به؟ وهل هذه الآية موجودة في القرآن حقيقة؟ لو كان الأمر كذلك فأنا أشهد أن القرآن كتاب موحى به من عند الله.

● يقول العلامة بارتلمي هيلر: لما وعد الله رسوله بالحفظ بقوله ﴿والله يعصمك من الناس﴾ (المائدة: ٦٧)، صرف النبي ﷺ حراسه، والمرء لا يكذب على نفسه فلو كان لهذا القرآن مصدر غير السماء لأبقى محمد على حراسته!

● يقول د.إيرنبرج أستاذ في جامعة أوسلو: لاشك في أن القرآن من الله ولاشك في ثبوت رسالة محمد.

● يقول البروفيسور يوشيودي كوزان مدير مرصد طوكيو: لا أجد صعوبة في قبول أن القرآن كلام الله، فإن أوصاف الجنين في القرآن لا يمكن بناؤها على المعرفة العلمية للقرن السابع.. الاستنتاج الوحيد المعقول هو أن هذه الأوصاف قد أوحيت إلى محمد من الله.

● يقول ليو تولستوى: أنا واحد من المبهورين بالنبي محمد ﷺ الذي اختاره الله الواحد لتكون آخر الرسالات على يديه وليكون هو أيضًا آخر الأنبياء.

● يقول فارس الخوري: إن محمدا أعظم عظماء العالم، والدين الذي جاء به أكمل الأديان.

محمد السيد عامر

الاعتماد المستندي

في أعقاب الحرب العالمية الأولى ومع ازدياد حركة التجارة العالمية بين الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأميركية، زاد الطلب على وسيلة مضمونة لتأمين حركة التجارة، وضمان حقوق المشتري والبائع اللذين يقيم كل منهما في بلد يبعد عن البلد الآخر آلاف الأميال، وعلى سبيل المثال: سافر تاجر مصري إلى الهند للتعاقد على شراء توابل وبهارات، وعندما تقابل مع تاجر هندي، تم الاتفاق بينهما على السعر والكمية والنوع، وتم تحرير عقد بالشروط كافة ولكن إلى هنا لم يتم دفع أي مبالغ إلى التاجر الهندي، وكذلك لم يتسلم التاجر المصري أي بضاعة، من هنا جاءت فكرة «الاعتماد المستندي» التي تقضي بأنه بعد رجوع التاجر المصري إلى بلده، يذهب إلى البنك الذي يتعامل معه، ويطلب وضع ثمن البضاعة التي اتُّفقَ على شرائها تحت تصرف التاجر الهندي، بشرط وصول البضاعة، أو شحنها من الهند، تحت رعاية البنك، وذلك بالتأكد من شحن البضاعة والتأمين عليها ضد مخاطر النقل البحري أو الجوي.

وفي الوقت نفسه يقوم بنك التاجر المصري بالاتفاق مع بنك التاجر الهندي ليكون مسؤولًا معه في إتمام الصفقة والتأكد من شحن البضاعة من الهند إلى مصر، ولا يتم دفع المبلغ المتفق عليه للتاجر الهندي إلا بعد وصول الشحنة إلى مصر بلد المستورد، وتكون مطابقة لشروط خطاب الاعتماد المستندي.

فالاعتماد المستندي هو: تعهد كتابي صادر من بنك إلى التاجر المصدر بناء على طلب المستورد، يتعهد فيه البنك بدفع قيمة البضاعة متى قدمت إليه مستندات شحن معينة مطابقة تمامًا لخطاب الاعتماد السابق تبليغه إلى المصدر، من خلال صلاحية بنود الاعتماد، أي تبادل المستندات والأموال والتأكد من شحن البضاعة ووصولها عن طريق بنكي المستورد والمصدر، وبذلك تكون المعاملات بين البنوك آمنة وسريعة وواضحة، وليس عن طريق الأفراد مباشرة، وقد سميت بهذا الاسم لأن المستندات الخاصة بعمليات التبادل تكون معتمدة من البنوك القائمة لذلك.

أهمية الاعتماد المستندي

تعتبر الاعتمادات المستندية من أهم العمليات المصرفية، فهي الأداة التي تنظم التجارة الدولية، وتسهم كثيرًا في سهولة وسرعة وضمان إتمام المعاملات التجارية بين الدول على اختلاف نظمها.

وبما أن البنوك تقوم بتمويل التجارة الدولية، فقد حقق ذلك النظام كثيرًا من المزايا منها: تقليل المخاطر في التجارة الدولية إلى الحد الأدنى، حيث إن التعهد الصادر من بنك المستورد يبعث على الاطمئنان، ويشجع المصدر (البائع) على إتمام الصفقة، ولذلك فالاعتماد المستندي وسيلة ضمان لطرفي الصفقة.

كذلك يستطيع المستورد أن يستغل رأس ماله بدلًا من تجميده لحين وصول البضاعة كما يستطيع المصدر الحصول على قيمة البضاعة من بنك المشتري فور شحنها، وغالبًا ما يقدم البنك تسهيلات بنكية للمشتري.

إبراهيم علي إبراهيم

الشمس مصدر الحياة

الشمس آية من آيات الله تعالى، ورد ذكرها في القرآن الكريم حوالي ٣٤ مرة منفردة ومجتمعة، وهي من مخلوقاته التي أقسم بها عندما قال ﴿والشمس وضحاها﴾ (الشمس: ١)، أي الضوء الساطع الذي أنار الكون وبدد الظلام، ومن حرارة اشعتها الضوئية وجدت الحياة على سطح الأرض ونمت وتعاظمت لأن الله سبحانه وتعالى جعلها ضياء لنا وقدر لها أن تمنح الدفء والخير ومحبة الحياة، فهي وسيلة لحساب حركة الزمن، ويؤكد ذلك قوله تعالى ﴿وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا﴾ (الأنعام: ٩٦)، أي علامة حساب لأن طلوعها وغروبها وما يظهر من تحولاتهما واختلاف مظاهرها كل ذلك مقدر بحساب.

إن هذه الكتلة الغازية تتألف من طبقات متباينة تدور الواحدة منها حول نفسها بسرعة خاصة بها، وهذا ما أكده علماء الفلك من جامعة كاليفورنيا برئاسة د.إدوارد رودس، وهذا الدوران يعرف بحركة الشمس الداخلية والتي يتأثر بها سطح الأرض.

ولو اختلتِ سرعة إحدى الطبقات في دورانها حول نفسها اختلالا ضئيلًا لا يزيد على ١٪ لكان في ذلك ما يكفي لتغيير مناخ الأرض من جليدي ثلجي إلى مناخ حراري ملتهب. كما أن حجم الشمس ودرجة الحرارة وبعدها عن الأرض كلها أشياء شاءت قدرة الله ان تكون محسوبة بدقة متناهية، فهي أقرب نجم إلينا حيث تبعد عن سطح الأرض ١٥٠ مليون كم، وهي أكبر من الأرض مليون و٣٠٠ ألف مرة، فلو كانت أقرب إلينا من ذلك لاحترقت الأرض بما عليها، وان بعدت الشمس قليلا لتجمدت الأرض وانعدمت الحياة عليها، فهي تجري كما قدر الله لها، كما جاء في قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾ (يس: ٣٨).

محمد حسين هيجل

إعداد: هالة محمد

درب التبانة في ثوب جديد

تواترت معلومات جديدة حول ماضي مجرتنا (درب التبانة) بفضل عمليات رصد النواة المضيئة المركزية فيها، وهي منطقة كان يصعب الوصول إليها فيما مضى بسبب غيوم الغبار الكثيفة المحيطة بها، وقالت دراسة علمية أجرتها جامعة بولونيا في ايطاليا: إن تاريخ درب التبانة محصور في اقدم أجزائها، اي في العناقيد النجمية وأنظمة النجوم الأخرى التي كانت شاهدة على تطور مجرتنا.

الكوليسترول زيت للسيارات!

أنتجت شركة أميركية في ولاية كونكتيكت زيتًا لمحركات السيارات من دهون البقر.

وذكرت صحيفة «سنتينال» التي تصدر في أورلاندو (فلوريدا) أمس الأول أن مدينة أوفيدو بولاية فلوريدا انضمت الآن إلى لائحة المدن الأمريكية التي تستخدم هذه المادة الجديدة التي تنتجها شركة «غرين إيرث تكنولوجيز أوف ستامفورد» بولاية كولورادو الأميركية.

وقال جيف لوخ الذي أسس الشركة في عام ٢٠٠٧: إن زيت المحركات الجديد جي أويل لا رائحة له وثمنه يماثل ثمن زيوت المحركات العادية.

وأضاف: إن معهد النفط الأميركي صدق على استخدام «جي أويل» لخدمة السيارات، وفي صناعة الصابون وبعض منتجات التجميل، وإزالة بعض البقع ومكافحة الحشرات في الولايات المتحدة لكونه صديقاً للبيئة، ولا يسبب التلوث.

وتستخدم مقاطعة تشينيتادي في نيويورك هذا الزيت في سياراتها، فيما قالت شركة «لي مانز» الأميركية لصناعة زيوت السيارات إنها سوف تستخدم الزيت الجديد في إطار تشجيعها للتكنولوجيا الصديقة للبيئة.

الغبار يؤثر في المناخ

تنقل الرياح أطنانا من الغبار من الصحراء الى مناطق العالم كله مجتازة آلاف الكيلومترات، مما يؤثر على المناخ ويمكن ان يحد من ارتفاع حرارة الأرض بما أن الغبار يحتجز اشعة الشمس.

وأوضحت عالمة المناخ ناتالي ماهوالد من جامعة كورنل (نيويورك) في مؤتمر سنوي للجمعية الأميركية لتطور العلوم ان «جزيئات الرمال الصحراوية قد تسافر آلاف الأميال في الجو، وخلال هذه الرحلة تتفاعل كيميائيا مع الغيوم والإشعاعات، فتحدث تغييرا على المناخ».

وأضافت «لقد أدخلنا الغبار الى نماذج مناخية مختلفة من اجل قياس تأثيرها، وتبين ان تغير الجزيئات مهم جدا لفهم تطور المناخ وفهم ما حصل في الحقبات السابقة او توقع ماذا سيحصل في المستقبل».

من جانب آخر، اطلق خبراء من الامم المتحدة نداء من أجل أخذ الدور الأساسي الذي تلعبه المحيطات في مكافحة الأضرار في الاعتبار أكثر لكونها خزانات كربون كبيرة، لذلك تم إطلاق «مبادرة الكربون الأزرق» بهدف تلبية الحاجة لإجراء دراسات معمقة حول المحيطات.

البحر الأحمر أكثر البحار دفئًا وملوحة

يصف القباطنة البحر الأحمر بأنه بحر تهب فيه العواصف العاتية، ويضم شعبًا مرجانية ومنطقة غنية بالأسماك الملونة والأحياء البحرية النادرة في العالم، والجزر المغمورة التي تجعل الملاحة فيه أمرًا محفوفًا بالمخاطر.

وذكر موقع «لايف ساينس» أن البحر الأحمر بالنسبة إلى الناس العاديين هو واحد من بين أكثر البحار دفئًا وملوحة وربما الأكثر احمرارًا في العالم.

ولكن .. هل هذا الحيز المائي الكبير الذي يمتد من خليج السويس وخليج العقبة شمالا إلى المحيط الهادئ جنوبًا أحمر اللون فعلا؟ أو أنه يميل إلى اللون الوردي الضارب إلى الحمرة كما يعتقد البعض؟

ويخالف هذه النظرية خبراء بحريون يقولون: إن البحر يمتلئ أحيانا بالطحالب البكتيرية الزرقاء « تريكودسميوم إيريثريوم»، مضيفين أنها عند نفوقها تحول لون المياه الزرقاء الضاربة إلى الخضرة إلى لون آخر مائل إلى الحمرة الخفيفة، وأنه ربما اكتسب اسمه بسبب ذلك.

التغير المناخي يزيد من قوة العواصف الاستوائية

أظهرت دراسة نشرتها مجلة «نيتشر» العلمية، ان العواصف الاستوائية قد تصبح اقل عددا لكن اكثر قوة بتأثير من التغير المناخي، وتركز هذه الدراسة على احد التأثيرات الأكثر خطورة المتعلقة بالاحترار المناخي، وهو جانب غير مفهوم جدا للتبدل المناخي، وهذه العواصف الاستوائية تهب عادة فوق البحار الحارة، ما يطرح السؤال لمعرفة ما إذا كان الاحترار المناخي سيؤدي الى زيادة وتيرتها وقوتها.

واستعان فريق من الباحثين بقيادة توم نوتسون وخبراء من المنظمة العالمية للأرصاد الجوية بابحاث أجراها علماء آخرون خلال السنوات الأربع الأخيرة، واعتمدوا في هذا الاطار السيناريو «ايه ١ بي»، وهو محاكاة وسطية عبر الكمبيوتر للأنماط المناخية، والذي ينص على ارتفاع متوسط حرارة الأرض ٢,٨ درجة بحلول نهاية القرن الحالي. ورأوا ان من المرجح ان تتراجع الوتيرة العامة للأعاصير أو تبقى على حالها، لكنهم حذروا في المقابل من ان هذه العواصف قد تترافق مع رياح أعتى بنسبة ٢ الى ١١ في المائة، ومع ازدياد في المتساقطات التي قد تشهد ارتفاعا يصل الى ٢٠ في المائة في شعاع مائة كيلومتر حول مركز الإعصار.

اضافة الى ذلك، يرى الباحثون ان من المرجح ان تشهد بعض مناطق الأعاصير عددا متزايدا من العواصف القوية.

وتطالب الدراسة بمجهود لسد الثغرات حول المعلومات المتوافرة بشأن تفاوت العواصف في الماضي، وتبعات الاحترار المناخي على تصرف الأعاصير في بعض المناطق المحددة.

الحبوب المنومة للأطفال ضارة بأدمغتهم

قال باحث طبي أميركي: إن إعطاء الأطفال مهدئات النوم يمكن ان يعوق قدراتهم على التعلم والتفكير والنمو، وأضاف د.مارتن فرانك ان هذه المهدئات والمنومات تمنع الأطفال من الراحة الجيدة خلال نومهم، وأظهر بحث د. مارتن، الذي أجراه على القطط، أن قدرة أدمغة القطط التي تحرم من النوم على التأقلم أقل من تلك التي تنام نومًا طبيعيًا.

ويقول هذا الباحث إنه في حال طبق هذا على نمو دماغ الإنسان، فإن إعطاء المهدئات المصممة أصلا لاستهلاك البالغين يمكن ان يعوق نمو أدمغة الأطفال. ويعتقد هذا الباحث أن ما لا يقل عن ربع الأطفال في بريطانيا يعانون اضطرابات في النوم، أو انهم يتعاطون نوعًا من أنواع الأدوية.

تطور لغة الطفل يعتمد على ثلاثة عوامل

قام الباحثون، في دراسة أجروها، بتحليل معلومات تم تجميعها عن ١٢٠طفلا في ١١ مركزا للعناية اليومية بأطفال انتظموا بالحضور من قبل بلوغهم عمر السنة، وتم تقييمهم عند سن سنتين وعند سن ثلاث سنوات، وتوصل الباحثون في النهاية إلى أن مدى تطور لغة الطفل يعتمد على توافر ثلاثة عوامل لها دور أساسي، الأول: هو تنوع الكلمات التي يستخدمها الأب والأم في حديثهما، والثاني: مستوى تعليم الأم، والثالث: نوعية الرعاية التي يتلقاها الطفل في مدرسة العناية اليومية. وعليه فقد أكدوا على أهمية اهتمام الوالدين بطريقة ونوعية الكلمات التي يستخدمونها أثناء الحديث بينهما ومع أطفالهما، كما يجب الاهتمام عند اختيار مركز الرعاية اليومي للطفل بأن يتضمن برنامجا تعليميا وكادرا مؤهلا.

من هنا وهناك

■ تشهد الأميركتان سلسلة من الكوارث الطبيعية من عواصف ثلجية في الولايات المتحدة الى موجة حر في البرازيل وفيضانات مدمرة في المكسيك وجفاف في الأكوادور سببها ظاهرة «ايل نينيو» على حد قول الخبراء.

■ صدر اخيرا كتاب «كيف يمكن للانسان التأثير في تغيير المناخ في المستقبل؟ من تأليف الكاتب دافيد أرشيه. ويعرض الكتاب الأبحاث التي تتناول مدى قدرة الإنسان في التأثير على التغيرات المناخية في الكرة الأرضية خلال المائة عام القادمة، ويركز على نظريات عدد من علماء الجغرافيا والباحثين في مجال البحار والمحيطات من مختلف أنحاء العالم، عارضا أبحاثهم.

■ ذكرت دراسة جديدة أن الإفراط في تناول مأكولات مضادة للأكسدة قد يكون مضرًا بالجسم، ويعطي النتيجة العكسية لها.

■ اكدت مجموعة من الخبراء أجرت اختبارات سريرية على مجموعة من المتطوعين ان القيلولة ليست مفيدة فقط لإراحة الجسم وازالة التعب بل وأيضًا لتعزيز قدرة الدماغ على الاحتفاظ بالمعلومات الجديدة التي يكتسبها الانسان، وبالمقابل يبطئ تقليل ساعات النوم من حركة العقل.

■ خطا الأطباء خطوة نحو الأمام في اتجاه اختراع بنكرياس صناعي للأطفال المصابين بالسكري، بعد أن تكللت تجارب باحثين بريطانيين من جامعة كامبريدج بالنجاح اثر استعمالهم لجهاز آلي يسمح بتوزيع الأنسولين وضبط جرعته في الوقت المناسب لدى عشرين طفلًا ومراهقًا يعانون السكري من النوع «١».

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبدالرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com

فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

دعوة لقيام الليل جماعات كل ليلة جمعة

«٢٠١٥» دعت جماعة إلى صلاة القيام في بعض المساجد، فأقيمت الصلاة بعد صلاة العشاء من مساء الجمعة، فهل هذه الصلاة مشروعة؟ وهل هي من قبيل البدعة والإحداث في الدين؟ وهل هناك محظور شرعي من الدعوة لهذه الصلاة وإعلانها؟ وجزاكم الله خيرًا

صلاة القيام بالصورة المسؤول عنها غير مشروعة، والمشروع في هذه الحالة هو القنوت في النوازل والدعاء.

وقف الزكاة

يرجى الإفادة بالرأي الشرعي حول صحة وقف أموال الزكاة.

لا يجوز أن يتبرع شخص بزكاة ماله لوقف خيري، بحيث تكون أموال الزكاة جزءا من الوقف المتبرع له، ويكون حكمها حكمه للأسباب الآتية:

- الأصل في مال الزكاة أن يصرف فور إخراجه إلى الأصناف الثمانية مع قيام الحاجة الماسة.

هذه الأموال ستكون جزءا من أموال الوقف لا يجوز التصرف فيه بالبيع والهبة، وبالتالي لا يمكن تسييل أموال الزكاة.

الدوام في مجال ربوي

خلال شهرين توقفت عن العمل بشركة مالية ربوية في (عمليات الودائع) مع حضوري يوميا إلى مقر العمل، من دون عمل، مع العلم بأن مدير الإدارة له علم بذلك، إلى حين ترتيب أمر انتقالي أو استقالتي، فما حكم راتبي خلال هذين الشهرين؟

لا بأس براتب الشهرين المذكورين، لأن المستفتية بحضورها إلى مقر عملها وتفرغها له تستحق الراتب ما دامت لم تكلف بإنجاز عمل آخر مشروع.

تعنت الأب في زواج ابنته

أنا فتاة مسلمة أخاف الله في نفسي وديني، وأبر والدي، كما أمرنا الله سبحانه وتعالى، ولقد أجبرني والداي، سامحهما الله، على الزواج مرتين لا لشيء إلا لكونهما يحبان المال حبًا جمًا، وقد طلقت مرتين، من الأول لأنه يتناول ما حرم الله، والثاني لأنه عاجز عن واجباته الزوجية، ولقد تقدم لخطبتي أخيرًا شاب مسلم، وقد أبدى والداي رفضهما المطلق حتى لمقابلته أو التعرف عليه؛ لذا أرفع الأمر للجنتكم الموقرة، راجية أن توافقوا على إعطائي فتوى شرعية تبيح لي الزواج من المذكور من دون طلب من المحكمة لإحضار والدي باعتبار القاضي هو ولي أمري.

نصحت اللجنة المستفتية باللجوء إلى أقاربها لإقناع والدها بالموافقة على الخاطب المتقدم لخطبتها، فإن لم يوافق فيمكنها اللجوء إلى المحكمة الشرعية للاختصاص.

عدة الوفاة

ما عدة المرأة بعد وفاة زوجها

مدة العدة أربعة أشهر وعشرة أيام من تاريخ الوفاة بالشهور القمرية، لا من تاريخ العلم بالوفاة أو الدفن، ما لم تكن حاملا، وعدة الحامل تنتهي بوضع الحمل، وعليها الإحداد في العدة وهو أنه لا يجوز لها أن تبيت في غير بيت الزوجية إلا لضرورة، ولا أن تخرج من بيتها إلا لقضاء مصلحة ملحّة تعود بعدها إلى البيت مثل (مراجعة الطبيب وإنجاز معاملة ما تحتاج إليه في المحاكم وما أشبه ذلك)، كما لا يجوز أن تخطب أو تتزوج أثناء العدة.

ويحرم التطيب ولبس الذهب والحرير والملابس ذات الألوان اللافتة للنظر، ويجوز للمعتدة أن تستمع إلى الإذاعة، خاصة إذاعة القرآن الكريم والبرامج الدينية، وأن تشاهد التلفاز فيما ينفعها في دينها ودنياها، ولا مانع من استعمال الهاتف، وأن تفتح الباب، ولا مانع أن يدخل عليها غير المحارم بشرط ألا تكون هناك خلوة، وأن تكون لابسة ملابسها الشرعية.

انحناء لاعب الكراتيه لمدربه

هل يجوز شرعًا أن ينحني لاعب الكراتيه بهيئة الركوع إلى المدرب؟

إذا كان الانحناء للتعظيم فهو محرم، وأما إن كان مجرد تقليد من دون قصد التعظيم للمنحنى له فإنه مكروه، وعليه فإنه يكره انحناء لاعب الكراتيه للمدرب.

تحويل العملات بدون تقابض

(٥٦٣١) هل يجوز تحويل الأموال إلى بلدي عن طريق الهاتف ثم فيما بعد يتم التقابض، أي ليس باليوم نفسه؟ أجابت اللجنة بما يلي:

إذا كان تحويل العملة بالتلفون إلى بلد آخر لا يتم فيه القبض فورًا، فإنه لا يجوز شرعًا سواء اتحد الجنس أو اختلف، لأنه يكون ربًا، لقوله ﷺ «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، مثلا بمثل، يدًا بيد والفضل ربا، فإذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدًا بيد» (رواه الشيخان)، أما إذا تم فيه القبض فورًا فإنه يجوز شرعا. والله أعلم.

الجمع بين وظيفتين براتب

(٥٦٦٢) مسؤول لديه صلاحيات واسعة، وتحت يديه سلطة اتخاذ القرار، يقوم بتوظيف من ليس بكفء في الأماكن الشاغرة بدائرته، دون النظر لكفاءة الآخرين وسلمهم الوظيفي، وربما عين موظفًا له وظيفة في دائرة أخرى يتقاضى عليها راتبًا فيكون قد جمع بين وظيفتين براتبين، فما الحكم في ذلك؟ أفيدونا مأجورين.

يجب على من ولي من أمر المسلمين شيئًا أن يولي الأكفأ والأصلح للقيام بمهام وظيفة من الوظائف التي يعين فيها، لقوله ﷺ «من استعمل رجلًا من عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين» (أخرجه الحاكم في المستدرك).

الزواج من امرأة بعد أن زنى بها

(٥٧٠١) رجل كانت له علاقة غير شرعية مع فتاة وحملت منه، ثم عقد عليها وتزوجها، وهي على وشك الولادة، فكيف نسبة هذا الولد لأبيه وأمه شرعًا؟ وما مدى صحة هذا الزواج الذي حصل بعد تلك العلاقة المحرمة؟

إذا استوفى العقد شروطه الشرعية فهو صحيح، ولا يؤثر في صحته أن الزوج قد زنى بهذه الزوجة قبل العقد، وأما نسبة الولد إلى هذا الزوج، فإن ولد بعد العقد بستة أشهر فأكثر فهو ابنه بالفراش، وإذا ولد قبل ستة أشهر من تاريخ العقد الصحيح فلا ينسب إليه، إلا إذا ادعاه وقال: هو ابني، ولم يصرح بأنه من الزنا. فإن ادعاه وقال: هو ابني ولم يصرح بأنه من الزنا، نسب إليه بالاقرار ولم ينسب إليه بدونه، والله أعلم.

الغش والتزوير في الأوراق الرسمية

(٥٨١٣) بعض أصحاب الصيدليات الخاصة يطلبون من الأطباء توقيع وختم وصفات طبية من غير اسم المريض ليتصرف بها الصيدلي كيفما شاء وذلك مقابل مبلغ أو التقسيم بالنسبة، علمًا بأن وزارة الصحة تمنع مثل هذه الأعمال.

هذا العمل غير مشروع، ولا يجوز لأي منهم مباشرته شرعًا - الطبيب والصيدلي والمريض - لما يحتوي عليه من تزوير في أوراق رسمية، وخيانة للأمانة، وإخلال بواجبات الوظيفة التي حملها إياه ولي الأمر. والله أعلم.

ينابيع المعرفة

إعداد: التحرير

أوّل مَنْ أحدث المصافحة

ينتسب الأشعريون إلى الأَشْعَر بن أَدَد بن زيد، فهم قحطانيون يمنيون، وقد تفرقوا بطونًا، فكان منهم بعد الإسلام في البصرة والكوفة بنو أبي موسى الأشعري، وفي قُم بنو علي بن عيسى، ولهم فيها رياسة، وفي إشبيلية بنو «بَلَج بن يحيى». قال النبي ﷺ يومًا لأصحابه: «يقدم عليكم غدًا قومٌ هم أرقّ قلوبًا للإسلام» فقدم الأشعريون وفيهم أبوموسى الأشعري، فلما دَنَوا من المدينة أخذوا يرتجزون ويقولون: غدًا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه فلما تقدّموا صافحوا مَنْ لقوا، فكانوا أوّل مَنْ أحدث المصافحة.

(الوسائل إلى معرفة الأوائل)

مقدور القضا

قال الشّافعي رحمه الله تعالى:

إنّ الطّبيبَ بِطِبِّـه ودَوائـه
لا يستطيعُ دفعَ مقدورِ القَضَا
ما للطّبيبِ يموت بالدّاء الذي
قد كانَ يُبرئُ مثلَهُ فيمَا مضى
هَلَك المُداوي والمُداوى والذي
جَلَبَ الدّواء وباعهُ ومَنْ اشترى

(ديوان الشّافعي)

إنّ العلم يُؤتَى ولا يأتي

قال هارون الرشيد للإمام مالك بن أنس مرّةً: يا أبا عبدالله، أريد أن أسمع منك «الموطّأ»، فوعده مِنْ غدِه؛ فجلس هارون ينتظره، وجلس مالكُ في بيته ينتظره؛ فلمّا أبطأ عليه أرسل إليه هارون فدعاه؛ فقال له: يا أبا عبدالله مازلت أنتظرك منذ اليوم؛ فقال مالك: «وأنا أيضًا يا أمير المؤمنين لم أزل أنتظرك منذ اليوم؛ إنّ العلم يُؤتَى ولا يأتي، وإنّ ابن عمّك ﷺ هو الذي جاء بالعلم، فإنْ رفعتموه ارتفع، وإنْ وضعتموه اتّضَع».

(كشف المغطى في فضل الموطأ لابن عساكر)

أفضل النّوم

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إيّاكم ونومَةَ الغَدَاة؛ فإنّها مَبْخَرَةٌ (تزيد في البخار)، مَجْفَرَةٌ (قاطعة النِّكاح)، مَجْعَرَةٌ (ميبسة للطبيعة)».

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «يُكْرَهُ للرّجُل أن يَنَامَ بَعْدَ العصر، يُخَافُ على عقْله».

قال الشاعر:

ألا إنّ نَوْمَاتِ الضُّحَى تورثُ الفتى
خَبَالًا ونَوْمَاتِ العُصُورِ جُنُون
ألا إنّ بيْنَ الظّهرِ والعَصْرِ نَوْمَـةً
تُحَاكِي لأَصحابِ العُقُولِ فُنُون

(شرح منظومة الآداب للحجاوي)

عيوب المجالس

«لو لم يكن في مجالس الناس إلا عيبان لكَفَيَا، أحدهما: الاسترسال عند الأُنس بالأَسرار المهلكة القاتلة، التي لولا المجالسة لم يبح بها البائح، والثاني: مواقعة الغلبة المهلكة في الآخرة، فلا سبيل إلى السلامة مِنْ هاتين البليتين إلا بالانفراد عن المجالسة جملة».

(مداواة النفوس)

هكذا كانوا

هذه رسالة من ملك إنجلترا إلى خليفة المسلمين بالأندلس هشام الثالث: «من جورج الثاني ملك إنجلترا والغال (فرنسا) والسويد والنرويج، إلى الخليفة ملك المسلمين في مملكة الأندلس صاحب العَظَمة «هشام الثالث» الجليل المقام، وبعد التعظيم والتوقير، فقد سمعنا عن الرُّقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة؛ فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل، لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يسودها الجهل من أربعة أركان، ولقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة «دوبانت» على رأس بعثة من بنات أشراف الإنجليز تتشرف بلثم أهداب العرش والتماس العطف لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم، وحماية الحاشية الكريمة وحدب من اللواتي سيتوافرن على تعليمهن، ولقد أرفقت مع الأميرة الصغيرة هدية متواضعة لمقامكم الجليل أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص، الإمضاء خادمكم جورج الثاني ملك انجلترا.

(الاستذكار لابن عبد البر)

لولاهم لدُرِسَ منار الإسلام

لولا أهل الحديث لدخل الدخيل في هذا الدين، ووجد الملاحدة والدجالون وذوو الأغراض الفاسدة والقلوب المريضة ألف سبيل وسبيل للتلبيس على الناس، وترويج الأباطيل في الأصول والفروع بما يضعونه من الأحاديث المنسوبة لرسول الله ﷺ التي تؤيد هواهم وآراءهم المزيفة؛ لأجل هذا قال الحاكم النيسابوري: «لولا الإسناد، وطلب هذه الطائفة له وكثرة مواظبتهم عليه لدُرِسَ منار الإسلام، ولتمكن أهل الإلحاد والبدع فيه بوضع الأحاديث وقلب الأسانيد، فإن الأخبار إذا تعرت عن وجود الأسانيد كانت بترا».

(معرف علوم الحديث للنيسابوري)

الأمر لله

جاءت امرأة إلى «بزرجمهر الحكيم» فقالت له: أيها الحكيم، ما بال الأمر يلتام للعاجز ويلثام (يقوى ويهيج) على الحازم؟! فقال: «ليَعلم العاجز أن عجزه لن يضرّه، وليَعلم الحازم أن حزمه لن ينفعه، وأن الأمر في ذلك إلى غيرهما».

(عقلاء المجانين للحسن بن محمد بن حبيب)

أتاكُم غَريبُ الدّار مَظْلومُ

استعمل عتبةُ بن أبي سفيان رجلًا من آله على الطّائف، فظلمَ رجلًا من أزْدِ شَنوءةَ (قبيلة عربية)، فَأتى الأزْديُّ عتبةَ، فمثلَ بين يديه، فقال:

أمَرتَ مَنْ كانَ مَظْلُومًا لأتيكُمْ
فقدْ أتاكُم غريبُ الدارِ مَظْلومُ!

ثم ذكر ظُلامَتَه وهي غَنَم فقال له عتبة: إنّي أراكَ أعرابيًا جافًا، والله ما أحْسبُكَ تدري كمْ تُصَلّي في كل يوم وليلة. فقال: أرأيتَ إن أنْبأتُكَ أتجعلُ لي عليكَ مَسْألةً؟ قال: نعم، قال الأعرابي:

إنّ الصلاةَ أربعٌ وأربعُ
ثم ثلاثٌ بعدهُنّ أربعُ
ثمّ صلاةُ الفَجْرِ لا تُضَيّعُ

فقال: صدقت فاسأل، فقال: كمْ فَقَارُ ظَهْرِك؟ فقال: لا أدري، فقال: أفَتَحْكُمُ بين النّاسِ، وأنتَ تجهلُ هذا مِنْ نَفْسِك! قال: ردُّوا عليه غُنَيْمَتَه.

(الكامل للمبرد)

يُقال: «وافَقَ شَنٌّ طَبَقَة»

كان «شَنٌّ» رجلًا من دُهاةِ العربِ وعقلائهم، قال يومًا: والله لأطوفَنّ حتى أجد امرأة مثلي أتزوجها.

فالتقى برجل في طريقه، فسأل الرجل عن عدة أمور غريبة، حتى قال له الرجل: ما رأيت أجهل منك. وعندما وصلَا إلى بيت الرجل ضيّفه وأكرمه وقصّ قصته لابنته، فقالت: يا أبت، ما هذا بجاهل! أما قوله كذا.. فكذا، فخرج الرجل إلى «شَنّ»؛ فحادثه وقال له: أتحب أن أفسّر لك ما سألتني عنه؟ قال: نعم، ففسّره، فقال «شَنّ»: ما هذا من كلامك، فأخبرني من صاحبه؟ فقال: ابنةٌ لي. فتزوجها «شَنٌّ» وحملها إلى أهله، فلما رأوْها قالوا: «وافق شن طبقة».

(مجمع الأمثال لأبي الفضل الميداني)

أمر عجيب وأصل ظريف

قال ابن الجوزي رحمه الله: «تأملت أمرًا عجيبًا، وأصلًا ظريفًا، وهو انهيال الابتلاء على المؤمن، وعرض صورة اللذات عليه مع قدرته على نيلها، وخصوصًا ما كان في غير كلفة من تحصيله كمحبوب موافق في خلوة حصينة، فقلت: سبحان الله، هاهنا يبين أثر الإيمان لا في صلاة ركعتين، و الله ما صعد يوسف عليه السلام ولا سعد إلا في مثل ذلك المقام، فبالله عليكم يا إخواني، تأملوا حاله لو كان وافق هواه، من كان يكون؟»

(صيد الخاطر)

حصان طروادة

كانت مدينة «طروادة» تحت إمرَة الأمير «بارس» الذي كان سببًا في الحرب بخطفه «هيلين» ملكة «إسبرطة»، فقام الإغريق بحصار المدينة لسنوات، لإنقاذ الملكة، وابتدع الإغريق حيلة جديدة؛ حصانًا خشبيا ضخمًا أجوف، بناه «إبيوس» ومُلِئ بالمحاربينَ الإغريق، أمّا بقيّة الجيش فظهر كأنه رحل، بينما في الواقع كان يختبئ في مكان قريب من المدينة، وقَبِلَ الطرواديون الحصان على أنه عرض سلام، وقام جاسوس إغريقي اسمه «سينون» بإقناع الطرواديين بأن الحصان هدية، بالرغم من تحذيرات البعض، وأمَر الملك بإدخاله إلى المدينة في احتفال كبير.

الختام مسك

عبدالهادي الصافي

متى نعود؟!

سؤال أطرحه باستمرار كلما قرأت خبرًا مؤلمًا عن تردي أوضاع هذه الأمة.

متى نعود إلى ديننا الحنيف، وأصالتنا القويمة، نستمد منها قيمنا ومبادئنا؟ متى نعود إلى عصر القوة والازدهار، ونراجع الأسس التي بنت لنا ذلك الماضي التليد المشرق المجيد؟ فنحزم أمرنا عليها، حتى نعود إلى جذورنا وتراثنا نستمد منهما كل مقومات التقدم والنجاح، وحتى نعيش عصر الحداثة بعقلية عربية إسلامية متفتحة، وبهوية عربية إسلامية تقف أمام تيارات التغريب، وتواجه عولمة العصر بكل جبروتها، متى يكون لنا كياننا المستقل وشخصيتنا الفذة؟ فلا نذوب في الثقافات الأخرى، ولا نرتمي في أحضان الغرب، ولكن نأخذ منه ما يسد الثغرات الموجودة عندنا، ونعطيه أرفع المبادئ الإنسانية والقيم.

لقد نجح الغرب في إحداث هذا الشرخ الكبير في شخصيتنا، فإذا نحن لا ننتمي لأي قوة، لا ننتمي إلى الغرب لأن هناك ما يشدنا إلى ديننا وماضينا، ولا ننتمي إلى ثقافتنا الإسلامية المتميزة، لأننا استهترنا بها ولم نقم لها وزنًا، فقد غدونا أمام هذا التحدي شخصية مهزوزة، لم نعلن ولاءنا للغرب ولا ولاءنا للشرق، فمَن نحن إذن أمام هذا التيار العاتي في عصر التيارات الثقافية المتلاطمة؟! لقد أتقنَّا قطيعة الماضي وتراثنا الحضاري، لقد أحكمنا الانفصال عن كل ما يحفظ وجودنا.

إن عدم انتمائنا إلى تاريخنا وديننا يعني أن الحياة تعصف بنا، فالمسألة لم تعد مسألة تخلف وضياع عن الركب الحضاري، لكنها أصبحت تتعلق بمصيرنا، ولابد أن نحمي أنفسنا وكياننا باتقائنا بهذا الدين الحق واعتصامنا بالحجة البيضاء، لنحمي أنفسنا أمام وجه طغيان الحداثة وتبعاتها.

إن الأزمات المتلاحقة التي تمر بأمتنا الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية جعلت الإنسان العربي يعيش حالة من الكآبة والإحباط قد يؤديان به إلى الانعزال عن العالم، والانطواء، والتفكير بحياته الخاصة، والنكوص إلى عالمه الداخلي، يجتر ذكرياته الأليمة، وهذا العجز الذي يعيشه، إن لم يكن متسلحًا بالإيمان، فإنه يؤدي به إلى الشك والعبث، لأنه لا يستطيع فعل شيء أمام هذا الخراب الهائل الذي يحدث لواقع أمتنا، وحتى لا يأخذنا اليأس والحزن والأسى إلى حيث العدمية والانهيار النفسي، يجب أن نعود إلى إيماننا نتزود منه بما يعيننا على المضي، وإلى ديننا نستمد منه القوة والحياة.

جديد

إصدارات الوعي الإسلامي

دُرر المقالات الحصرية على صفحات « مجلة الوعي الإسلامي »
للعلامة المفكر الشيخ / محمد الغزالي - رحمه الله
وهي ٤٨ مقالة ممتعة في مواضيعها وأفكارها.

من اصدارات

الوعي الإسلامي

الإصدار الثالث عشر

(كتاب رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام)

للإمام تاج الدين الفاكهاني المالكي (٦٥٤ - ٧٣١ هـ).